

تأليف

محمد محمد يوسف

إمام وخطيب مسجد وزارة الأوقاف

بالريدانية . دقهلية : سابقا

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

الطبعة الثانية

الناشر

مكتبة القاهرة

لصاحبها - علي يوسف سليمان

شارع الصنادقية - ميدان الأزهر بمصر

ص.ب ٩٤٦ تليفون ٩٠٥٩٠٩

الكتاب به ميل من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمداً لله على نعمائه . وصلاة وسلاما على رسله وأنبيائه .

وبعد ، فكتابنا هذا فيه لكل واعظ غنية ، ولكل خطيب بغية . ولكل راغب وفى الوعظ والإرشاد منية . كما أنه لغير أهل العلم عظة وذكرى : وحسبنا أننا بذلنا فيه جهداً عظيما فى جمعه من صفوة كتب الوعظ والإرشاد مع الأمانة الكاملة فى النقل وحسن التصرف فيما يباح فيه التصرف : ولم نكتف بهـذا بل اضطررنا أحياناً إلى الإسهاب فى كثير من الموضوعات بحسب المناسبات : وقصدنا بذلك تدريب من يريد الخطابة على تلخيص المعنى ، وتمكينه من التعبير عن المراد بأسلوب سليم يناسبه : ولهذا مزاياه التى لا تقل عن مزايا الاستنباط :

ونسأل الله تعالى أن يسدد خطانا ويلهمنا التوفيق والسداد ويوفقنا إلى ما فيه الخير والرشاد .

محمد محمد يوسف

بعض أهوال يوم القيامة

التي توجب الفزع والخوف من الله

قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها . وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » .

. . . سأقص عليكم في هذا اليوم عظة دينية ، تبعث في النفوس الرهبة وتدعو كل إنسان التفكير في المصير : فيها بعض المناظر ، التي تصور ما رسمه القرآن الكريم لليوم الآخر : وأسأل الله جلت قدرته أن يهيء لنا ما نصل به إلى السلامة والنجاة من هول ذلك اليوم الخطير ، إنه على كل شيء قدير .

للعالم كله : « سماواته وأرضه حيوانه ونباته وجماده » . أجل مضروب ووقت محدود إذا حل . ازال بناؤه واختل توازنه . وتصادم بعضه ببعض . فاذا الأرض غير الأرض . والسماوات غير السماوات وإذا بالنفوس وجلة حائرة . وبالأبصار خاشعة . وبالعقول ذاهلة ، طائرة : وإذا بالسماء منشقة مائرة . وبالأرض مندكة زائلة . وبالجبال منسوفة طائرة . وبالنجوم منطمسة مظلمة ، وبالبحار جافة مسجرة . وبالأحياء ذابلة مندثرة : « يوم تبدل

الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار» والأجل المضروب هو يوم القيامة . يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

وقد دل القرآن الكريم فى مواطن كثيرة على أن ذلك اليوم ، آت لاشك فيه : وفيه تكون الأمور الحقة من بعث ونشر . وسوق وحشر . وعرض وحساب . وثواب وعقاب .

ولا يأمن شر ذلك اليوم إلا من آمن به . وأعد العدة له . من إيمان راسخ . وخلق كامل . وعمل صالح .

أما من كذب به فويل له فى هذه الحياة . وسعير فى الحياة التالية مصداقاً لقول الله تعالى : واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً فيجب الايمان بذلك اليوم . والصدق بما سيقع فيه ، لأن ذلك يردع النفس عن الشر . ويبعدها عن الظلم . ويرغبها فى أعمال الخير التى يعود نفعها على الناس . رغبة فى ثواب الله . وخوفاً من عقاب الله .

ياله من يوم شديد الهول : إنه يوم الفصل . وما هو بالهزل : فيه تذهل كل مرضعة عما أرضعت . وتضع كل ذات حمل حملها . وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

فى هذا اليوم تبيض وجوه وتسود وجوه : تبيض وجوه : حين تنظر فتجد ما عملت من خير محضراً : وتسود وجوه حين ترى ماعملته من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً .

وفى هذا اليوم يحاسب الله عباده على أعمالهم ويجازيهم على خيرها وشرها . ويوفى كل عامل جزاء عمله من خير وشر . فهذا قد

حوسب حساباً يسيراً . وانقلب إلى أهله مسروراً . وهذا قد حوسب حساباً عسيراً فعاد خاسراً يدعو ثبورا .

وفى ذلك اليوم توضع صحائف الأعمال بأيدى العاملين فترى المجرمين جميعاً نادمين من قبيح أعمالهم . وسىء أقوالهم وأفعالهم كما تراهم خائفين من عقاب الحق : ومن الفضيحة أمام الخلق : وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون : هل إلى مرد من سبيل .

ويطلب الكافرون العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً . ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . وإنهم لكاذبون .

وفى يوم القيامة يسعد من يسعد . ويشقى من يشقى . يسعد من يسعد لا بالمال . ولا بالجاه . ولا بالسلطان : وإنما بالعمل الصالح الذى قدمه بين يديه . ويشقى من يشقى بما قدم من سوء وما عمل من شر : وما ربك بظلام للعبيد .

تلك بعض صور من الصور التى رسمها القرآن لليوم الآخر : ولولا خوفى الإطالة عليكم لذكرت لكم كثيرا منها .

هذا وقد أجاد القرآن الكريم فى تصوير النار تصويراً يبعث الرهبة فى النفوس . والهلع فى القلوب . والخوف من أن يكون المصير إليها : فتلجأ إلى العمل تتقى به لظاها . وتتخذه ستاراً بينه وبين لفحها .

قال تعالى : « إن جهنم كانت مرصاداً . للطاغين مآبا . لابثين فيها أحقابا، لايذوقون فيها برداً ولا شرابا ، إلا حميا وغساقا . جزاء وفاقا»

وكأنى بأهل النار يوص بعضهم فيها رصاً إلى جوار بعض . لا يكادون يجدون متسعاً للحركة ولا الانتقال . ويزيد من ضيقهم أنهم مقيدون فى السلاسل . مقرنون فى الأغلال . يسحبون على وجوههم، ويلقون فى النار .

قال تعالى : « إذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً» وقال جل شأنه : « إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » .

وليس ذلك لضيق فى النار ، ولكن للتضييق على ساكنيها . أما النار فتتسع أكثر من داخليها .

قال تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد »

وكان بودى أن أتكلم لكم على ما يتمتع به أهل الجنة من النعيم فى طعامهم ، وشرابهم وفرشهم . ونسائهم . ولباسهم . وحليهم ومجالسهم وأحاديثهم . ولضيق الوقت والخوف من السآمة والملل أرجى ذلك إلى فرصة أخرى إن شاء الله .

نسأل الله السلامة . من أهوال القيامة . ونسأله التوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم .

« عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهون أهل النار عذاباً رجل فى أخمص (١) قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل(٢) بالقمقم » رواه البخارى .

---

(١) أخمص القدم : باطنها .

(٢) المرجل : القدر . والقمقم : تصوير له .

الله خالق كل شيء . وهو على كل شيء قدير

قال الله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما . ثم أنشأناه خلقا آخر : فتبارك الله أحسن الخالقين » . « المؤمنون »

. . خلق الله الانسان فى أحسن تقويم . وصوره فأحسن صورته . وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل . وبين له الضار من النافع . وأنعم عليه بنعم لاتحصى . فتبارك الله رب العالمين :

الله جلت قدرته

رب الانسان : من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره . الله جلت قدرته رب الانسان . ورب طعامه وشرابه . صب سبحانه الماء صبا . ثم شق الارض شقا فأنبت فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا . كما جاء فى القرآن الكريم : وإليهم المعنى على سبيل الاجمال .

صب سبحانه الماء صبا وأنزله من المزن . السحاب إنزالا شديداً . ثم شق الارض شقا بعد أن كانت متماسكة الاجزاء : شقها شقا مشاهدا مرئيا لمن نظر إليها . بعد نزول الماء عليها .

وإنما اقتضت حكمة الله تعالى أن تشقق الارض . ليدخل الهواء

والضياء إلى جوفها فيخللان أجزاءها ويهيئانها لتغذية النبات .

صب الماء صبا . ثم شق الأرض شقا . فأنبت فيها حبا . وهو كل ماحصد كالحنطة . والشعير . والأرز : وقدم الله هذا النوع فى الآيات الكريمة التى ذكرها فى القرآن الكريم والتى نحن بصدد تفسيرها وبيان معانيها قدمه على غيره مما سنذكره لكم لأنه الأصل فى التغذية .

« والعنب » معروف . وإنما ذكر بعد الحب لأنه غذاء من وجه وفاكهة من وجه آخر .

« والقضب » ما يؤكل من النبات غضا . وسمى بذلك لأنه يقطع مرة بعد مرة .

« والزيتون والنخل » معروفان ومنافعهما كثيرة .

« والحدائق » البساتين ذات الأشجار المثمرة التى عليها حوائط تحيط بها .

« والغلب » جمع غلباء . وهى الضخمة العظيمة .

« والأب » هو المرعى .

والذى عدد من النعمة : منه ما يتمتع به الإنسان كالحب والفاكهة . ومنه مايتمتع به الأنعام وكل ماينتفع به الإنسان من أنواع الحيوانات .

الله جل جلاله : هو رب النفس . ألهمها فجورها وتقواهـــا . وأطعمها وسقاها . وأمرضها وشفاها . وأضحكها وأبكاهـــا . وأماتها وأحياها .

وهو رب الأرض : أخرج منها ماءها ومرعاها . وجعلها بساطا ومهاداً ، انسلك منها سبلا فجاجا . ولنضرب فى مناكبها نبتغى من فضله ورزقه .

الله جل جلاله : رب الجبال . جعلها فى الأرض رواسى . تحفظها من الزلزال . وتنحت منها كهوفا وطرقا ومنازل .

وهو رب السماء : يمسكها أن تقع على الأرض إلا باذنه . وزينها بالنجوم مصابيح وعلامات .

ورب الفلك : تجرى فى البحر بأمره .

ورب الرياح : يرسلها لواقح . أو مواطر . أو قواصف .

إنه هو الله رب العالمين : «كل شىء هالك إلا وجهه» . «له الخلق والأمر» . وإن من شىء إلا عنده خزائنه : وإن من رحمة إلا هو مرسلها أو ممسكها . ولا مرسل لما أمسك . ولا ممسك لما أرسل. ولا مضل لمن هدى . ولا هادى لمن أضل .

الله جل جلاله رب كل شىء : يؤتى الملك من يشاء . وينزع الملك ممن يشاء . ويعز من يشاء . ويذل من يشاء . يداول الأيام بين الناس. غنى اليوم فقير الغد . ومظلوم اليوم كان ظالم الأمس .

وهذه المقبرة كانت حديقة . وهذه المدرسة كانت مزبلة .

أفغير الله إذن نبغى ربا وهو رب كل شىء .

الله جل جلاله رب كل شىء : مختار فى كل ما يفعل . يخلق القوى والضعيف . والذكى . والغبى . والجميل . والدميم . وقد نرى الفقر مع الذكاء . والغنى مع الغباء . والحب مع الامامة . والكره مع

الجمال . والنصر مع الضعف والقلة . والهزيمة مع القوة والكثرة : وهكذا .

الله جل جلاله رب كل شيء . مختار في كل ما يفعل : يميز بلاداً عن بلاد . ويجعل الأرض خصباً وبعضها أجاديب .

وليس هذا مطبقاً على الأشياء والأشخاص فقط . وإنما هو مطبق عن الأزمان أيضاً . فبعض الأزمان محظوظ . وبعض الأزمان منكوب . فذلك جيل من الناس في زمان . خال من المتاعب والمصاعب . لاتفسد الحياة فيه حروب . ولا أمراض ولا كروب وقد أظله الرخاء . فالأرض تغيث . والسماء تمطر . والأرزاق تجرى . والناس متمتعون بكل خيرات الأرض . يأكلون منها ويدخرون . أو يأكلون ولا يدخرون . لأنهم آمنون . لايخافون للأقوات نفاذاً . ولا يخشون إقلالا : وهم في صحة وعافية وسلامة . فلا طاعون ولا كوليرا . ولا تيفود . ولا رمد . ولا بلهارسيا . ولا انكلستوما . ولا حمى رجعية . ولا شوكية . ولا غير ذلك من الأمراض . ولا زلازل ولا فتن ولا خصومات تثير الشحناء وتبعث الأحقاد والبغضاء .

بينما نرى جيلا آخر : في زمان آخر . كأنما تحالفت على أهله المصائب والنكبات . وأحاطت بهم المشقيات المؤلمات من كل جانب . فهم يقضون حياتهم أياماً وراء أيام . لايدركون لها طعماً ولا يحسون فيها براحة وهم مكافون بجهاد عنيف في كل ناحية . أو جهاد يحفظون به أنفسهم . وجهاد يحصلون به أرزاقهم . وجهاد

فى إصلاح أبنائهم وأهليهم . وجهاد هنا وجهاد هناك . تنقضى معه الحياة وكأنها جولة أو جولات فى ميدان رهيب من ميادين الحرب والجلاد .

وإذا كان هذا كله من آثار اختيار الله فى الخلق والتكوين ظاهراً واضحاً نراه بأعيننا ونلمسه بأيدينا فإن هذه سنة الله أيضاً فيما يختار من الرسل . فيفضل بعضها على بعض . وفيما يضيف إلى بعض الأماكن من حرمة فيجعلها مقدسة ويأمر الناس بقصدها والحج إليها . وفيما يخص به الأزمان من تكريم . فينزل فى بعضها كتابه . ويشرع صومه . ويجعل بعضها ظرفاً لحج البيت واعتماره . ويجعل هذا عيداً وهذا موسماً . فيكون ذلك اصطفاء للأزمان . كما يصطفى الله من الأشخاص والأماكن والأشياء .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا المعنى الذى من شأنه أن يطمئن قلوب المؤمنين فى كثير من المواضع التى تكلم فيها عما خلق وعما قسم .

« ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون » . و « الله يعلم وأنتم لا تعلمون » . « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » الآية « هم درجات عند ربهم » « نرفع درجات من نشاء . وفوق كل ذى علم عليم » . « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » .

. . . دعوا الظالمين فى ظلمهم

ودعوا المترفين فى ترفهم .

ودعوا المتكبرين فى كبريائهم .

ودعوا المحرومين فى حرمانهم .

دعوا الظالمين فى ظلمهم . فسينتقم الله منهم .

ودعوا المترفين فى ترفهم فسيبدل الله ترفهم شظفاً وفقراً .

ودعوا المتكبرين فى كبريائهم فغداً يخفض الله رءوسهم إلى الحضيض .

ودعوا المحرومين فى حرمانهم فغداً ينفس الله كروبهم ويشفى قلوبهم .

إنه رب كل شىء : أهلك الظالمين . ودمر الباغين . ونصر المهزومين وجعل العاقبة الحسنى للتقوى وحدها . لا لحسب ، ولا لنسب . ولا لمال وكذلك يفعل الله أبداً ولا تبديل لخلق الله .

أجل : أغير الله نبغى رباً وهو رب كل شىء . رب الزرع الذى نحرثه . ورب الماء الذى نشربه . ورب النار التى نوريها . ورب أسماعنا وأبصارنا وأفئدتنا . إن شاء أذهب أضواءها وقواها . وإن شاء ختم عليها .

فلماذا ندعو غيره : أو نرجوه . أو نخشاه .

ولماذا نذل فى طلب الخير من الغير .

ولماذا نخزى فى خوف الضر من سواه .

إنه إن يمسسنا الله بضر فلا كاشف له إلا هو . وإن يمسسنا بخير فهو على كل شىء قدير .

وبعد : أفغير الله نبغى رباً وهو رب كل شىء أفغير الله نبغى حكماً

وهو الذى أنزل الكتاب مفصلا .

فراقبوا الله فى أعمالكم . فلا يتوجه مخلوق إلى غير خالقه ، ولا يقصد محتاج سوى القابض على ناصيته . الملك الأعلى الواحد الديان، مدبر الأكوان . له الأمر فيما كان وما يكون ، لا إله إلا هو له الحكم وإليه ترجعون .

استمعوا إلى آيات بينات من كتاب الله الكريم اخترتها لتقرير التوحيد . فيها موعظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

يقول الله تعالى : « أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ، بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزاً ، أإله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله ، قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ، أإله مع الله ، تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» .

بهذه الآيات الكريمات يجب أن ندعو إلى التوحيد . وبهذه الآيات الكريمات نستطيع أن ننجح فى تكوين الموحدين . وبهذه

الآيات الكريمات آمنت أنا بالله ووحدته وقدسته ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . «هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به ، وليعلموا أنما هو إله واحد ، وليذكر أولو الألباب» .

* * *

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : تفكروا فى الخلق ولاتفكروا فى الخالق ، فانكم لاتقدرون قدره .

سلامة الصـــدر

قال الله تعالى : «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» .

. . . يسمو قدر الإنسان وتعلو درجته ومنزلته عند الله وعند الناس بقدر ما يكون له من طهارة قلب ، وسلامة صدر ، وحب للخير وبعد عن الأذى والشر ، وجهاد وتضحية بالنفس والمال فى سبيل الصالح العام .

فقد امتدح الله سبحانه وتعالى نبيه الخليل إبراهيم عليه السلام على ما كان له من سلامة قلب، وعزة نفس، وصدق عزيمة، وقوة إيمان .

امتدحه بقوله تعالى : «وإن من شيعته لإبراهيم. إذ جاء ربه بقلب سليم» ، ومن دعائه صلوات الله وسلامه عليه : «ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم» .

وسلامة القلب خلوصه من الشرك . والشك . والنفاق . والرياء ، وخلوه من المكر السيء . ومن الغل والحسد والحقد والكبر والعجب

والخيلاء ، ونحاؤه من الأمراض التي تكدر الصفو وتشتت الشمل وتخل بالنظام والأمن ، وتقطع الروابط والصلات بين الناس ، وتورث الضغائن والأحقاد ، وتولد العداوة والبغضاء .

اكتفى الخليل إبراهيم عليه السلام بذكر سلامة القلب ، لأن القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، لأن القلوب إذا سلمت — سلمت الجوارح واليد واللسان من الأذى ، وسلمت أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم، وقلت الجرائم والشرور والآثام .

ومن الأمراض الخطيرة الضارة بالفرد والمجتمع ، التي عنى الإسلام بمحاربتها : « الوشاية » . فشر ما يصاب به المجتمع من الأمراض « الوشاية » . ونقل كلام الناس على سبيل الإفساد والسعاية .

فهي بلا شك خلق مذموم ، يوغر الصدر ، ويؤلم النفس ، ويثير الغضب ، ويوقظ الفتن ، ويولد العداوة والبغضاء ، ويورث الضغائن والأحقاد ، ويفرق بين الأصحاب والأصدقاء ، ويقطع الصلة بين العشيرة والأهل والأقرباء .

وقد أحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعاً في محاربة هذا الداء الخطير . حيث وصف دواءه ورسم طرق الوقاية منه ، فكان عليه الصلاة والسلام لا يسمع لقول واش ولا يصغى لحديث نمام ، خشية أن يمتلىء قلبه من أصحابه غيظاً فيمرض عليهم — ويقطع صلته بهم ، وفي ذلكم تعكير لصفو الجماعة — وتفكيك لعرى المودة والمحبة والأخوة الإسلامية التي أكد الله المحافظة عليها بقوله: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يذكر أخاه فلم

يسمع لوشايته ولم يصغ لحديثه ، ونصح وأرشد إلى أدب عظيم فقال : « لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر » .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من خلقه الكريم أن يحمل قلبه لأحد من أصحابه غلا ولا حسداً ، ولا حقداً ، ولا يحمل صدره غيظاً ولا بغضاً ولا كرها .

وإنما كان من خلقه أن يمتلىء قلبه محبة ومودة وشفقة وعطفاً ، وأن يكون كما قال الله تعالى في شأنه : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » .

مع هذا الإرشاد النبوي الكريم — والعلاج الشافي لجماعة الواشين والنمامين — والمغتابين والحاقدين — مع هذا كله فإننا نجد من الأشرار وضعفاء الإيمان من يختلط بالأسر والعائلات ويقف على أحوالها — ثم يعمل على قطع الصلة بين الأخ وأخيه ، وبين الإبن وأبيه ، وبين المرء وزوجه ، ويكون في ذلك أمهر من الجان — وأخطر على الإنسانية من الشيطان .

كذلك نجد من الأشرار من يحقد على من يظن أنه يزاحمه في تجارة أو صناعة أو زراعة أو في أي شأن من شئون المعيشة ، أو عمل من أعمال الحياة

فإذا لقيه أظهر له خلاف مايبطن ، وقابله بوجه طلق .

وإذا توارى عنه دبر له السوء وبيت له الشر : ذلكم شرير منافق توعده الله بقوله : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل . والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد » .

كذلك نجد من الأشرار من يكثر من اتخاذ الأصدقاء . ثم يتظاهر لهم بالمحبة والإخلاص والوفاء . ثم يأتي هذا بوجه . وهذا بوجه . ولا يتحاشى قالة السوء ، وحديث الزور . حتى يملأ القلوب بالغل والحقد ، ويقطع حبل الصلة والود .

كذلك نجد من الأشرار من يظن بالناس السوء . ثم يتتبع عوراتهم ، ويتجسس على دخائلهم وأحوالهم ، ثم يظهر عيوبهم ويفشي أسرارهم .

هذه كلها أمراض فاشية بيننا . لها سوء نتائجها وقبح عواقبها في الأفراد ، وفي الجماعات .

وخير ما جاء به الإسلام من نصح وإرشاد للسلامة من هذه الأمراض والنجاة من شرها ، أن يتقي الواحد منا ربه ، وأن يخاف عقابه ، وأن يتأدب بآداب الدين ، وإذا بلغه حسد حاسد ، أو وشاية واش ، أو حديث مغتاب أو نمام - فليقابل الجهل بالعلم - والسفاهة بالحلم . والشدة باللين ، والإساءة بالصبر والعفو والصفح الجميل ، عملا بقول الله تعالى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

جعلنا الله من المتحلين بمكارم الأخلاق ، المحبين لفعل الخير - وجنب مجتمعاتنا شر هؤلاء المفسدين .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » .

رواه مسلم

من مظاهر النفاق

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل . والله لايحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد » .

. . . فى هذه الآيات الكريمات — يصور الله سبحانه وتعالى لعباده عيباً من أخطر العيوب الاجتماعية — من شأنه إذا تمكن من أمة من الأمم — أن يزلزل قواعد مجدها — ودعائم عزها . ذلك العيب هو : مخالفة القول للعمل.

ومخالفة القول للفعل — لون من ألوان الخداع . بل هو أول ألوانه. إنك لترى كثيراً من الناس يتزين الواحد منهم بزى الصالحين . وينطق بكلام أهل الحكمة والموعظة الحسنة . فتسمع كلاما معسولا وألفاظا خلابة : فتظن أنها « صادرة » من قلب طاهر مخلص . وعن ضمير نقى صاف، فتركن إليه وتعامله وتقبل على معاشرته أو مصاحبته آمناً مطمئناً .

فإذا تمكن منك ووجد الفرصة سانحة للظهور بحقيقته التى كان يخفيها — أذاقك الويل والثبور . وعظائم الأمور . عندئذ تشعر بلوعة عضة وتشعر بأسى يملك عليك نفسك . وتنظر إلى الحياة نظرة المتشائم الذى يشك فى كل ما حوله . ويخاف حتى من ظله .

فهذا المخادع لم يسىء إليك وحدك . ولكنه أساء إلى نفسه . وأساء إلى المجتمع : أساء إلى نفسه لأنه نفرك من معاملته . وقطع ما بينك وبينه من حبال الثقة والمودة . وأساء إلى المجتمع لأنه خوفك من الناس . وباعد بينك وبين الناس .

إننا نلاقى أكبر العنت والمشقة من هـــذا الصنف من المنافقين المخادعين . وقد أصبحنا فى عصرنا الحاضر موضع بلاء شديد منه . واصطلحت تقاليدنا الحديثة على توطيد هذا الشر . وترسيخ أقدامه فيما بيننا .

يلاقيك الرجل من بلدك أو ممن تعدهم من أصحابك من بلدة أخرى فترى له وجهاً باشاً — وكلاماً عذباً جميلا . ويسألك عن صحتك . وعن أولادك . وعن أهل بيتك . وعن أحوالك فى عملك وفى خارج عملك . ويبدى لك اهتماماً عظيماً بشخصك . وعناية كبيرة بأمرك . يفعل كل ذلك فى ابتسام ورقة ولطف ، والله يعلم أنه يحمل بين جنبيه نفساً ممتلئة بالحقد . والحسد . والعداوة . والبغضاء . فهو يتمنى لك الفشل فى عملك . والاضطراب فى حياتك . ويسره أن تصاب فى نفسك . وتصاب فى أولادك . وتصاب فى أموالك . بل إنه ليعمل على هذا جاهداً من وراء ظهرك . وأنت سليم النية ، حسن الطوية ، لا تعرف ما انطوى عليه قلبه من جهتك .

يفعل كل هذا ولا يخشى ربا . ولا يرعى خلقا . ولا يرتدع برادع .

ولقد وصلت جهالة هذا الرجل ومن على شاكلته من الناس . ووصلت غباوتهم — وبلغ جهمم وسفههم أنهم بمعاملاتهم هذه لا يخدعون الناس فقط — بل هم يخدعون الله ورسوله : فعاب القرآن عليهم طريقتهم هذه وبين عاقبة أمرهم ، وسوء منقلبهم .

فقال : وقوله الحق « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا : إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

والقصص القرآنى غنى بأمثلة هؤلاء — وأشباه هؤلاء . نذكر لكم من بينها قصة واحدة لثعلبة بن حاطب — وقد أظهر الإسلام وأخفى الكفر — وقال بلسانه ما ليس فى قلبه . ولازم الجمعة والجماعة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذات يوم قال يارسول الله : سل الله أن يوسع على رزقى — وأن يعطينى مالا . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ياثعلبة : قليل تؤدى شكره — خير من كثير لا تطيقه . فأعاد الكرة قائلا : والذى بعثك بالحق لئن آتانى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه . فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم . « وهو مجاب الدعوة » — فاشترى غنما فنمت حتى ضاق بها الوادى . وأول شىء تقدم به وفاءا بوعده وبرا بيمينه وقسمه أنه كفر بأنعم الله . فترك الجمعة والجماعة : فسأل عنه



الرسول ﷺ كعادته في تفقد أصحابه . فقيل له : كثر ماله فقال ﷺ : ياويح ثعلبة ! !

ولما مر عليه عام كامل أرسل له النبي ﷺ رجلين يطلبان منه زكاة ماله . فقال لهما : هذه جزية : إرجعا حتى أرى رأيي فيها .

فلما رجعا ابتدرهما النبي ﷺ بقوله : ياويح ثعلبة : وأنزل الله تعالى فيه قوله :

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » .

ترون أن هذا الكاذب الآثم قد سجل الشقوة على نفسه بسبب كذبه — ومخالفة قوله لفعله — ونقض عهده ووعده . وباء بغضب من الله ورسوله . وحقت عليه كلمة العذاب . وصدق الله إذ يقول : « إن الله لايهدى من هو مسرف كذاب » .

بعد هذا كله لا أكون مبالغا إذا قلت لكم : إن زماننا زمان ضاعت فيه الأخلاق . وكثر فيه النفاق .

فسأل الله الكريم الخلاق أن يجعل بواطن قلوبنا — كظواهر ألسنتنا . وأن يحبب إلينا الحق — وييسر لنا سبيل الحق . ويهدينا إلى الصراط الحق . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(البر لايبلى . والذنب لاينسى . والديان لايموت . إعمل ماشئت . كما تدين تدان)

الصبر دواء لكل داء

قال الله تعالى : واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، . . . الدنيا كلها متاعب وبلايا ومصائب : والناس فيها ما بين فرح ومحزون . فلا تجد سروراً خالصاً ، ولا خيراً خالصا . وإنما تجد الخير مخلوطا بالشر . وتجد الفرح — ممزوجا بالترح — وترى البلاء قد أحاط بالناس من رءوسهم إلى أقدامهم . فترى هذا مصابا بالعلل والأسقام — كلما برىء من علة — أصابته علة . وكلما شفاه الله من مرض جاءه مرض آخر .

وتجد هذا مصابا بعقوق الأبناء — لأنهم خرجوا على الصراط المستقيم — وسلكوا طريق الشيطان الرجيم .

وتجد هذا مصابا بسوء خلق زوجته . أو عدم صلاح ذريته . أو فساد فى عشيرته .

وتجد هذا مصابا بجيران السوء الذين يكتمون الحسنات . وينشرون السيئات ويكشفون العورات .

وتجد هذا مصابا بكساد فى تجارته . أو بوار فى زراعته . أو صناعته . أو فقر وضيق فى ماليته .

وترى هذا لاحظ له فى الحياة . يجد ويجتهد ولا ينال مناه . ويشقى ويتعب ولا يحصل على مبتغاه .

وهكذا إلى نهاية سلسلة من الآلام التى لا تقف عند حد ، ولا يحصيها عد . ولقد صدق من قال :

كل من فى الكون يشكو دهره .
ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟ !

فإذا كان الأمر كذلك فما الخلاص من هذه الآلام ؟ ! ! وما سبيل النجاة من تلك الشدائد ؟ ! ! لن تجد بعد البحث والتنقيب منقذا من البلاء — ولا عاصما من هذا الشقاء — سوى الاعتصام بالصبر الجميل . لأن الصبر دواء لكل داء . ولأن الصبر راحة كل حى . وفرج كل شدة . ونور كل ظلمة . ودواء كل فتنة .

الصبر : أن تلجأ إلى الله — وتسلم الأمر إلى الله . وتفوض كل شىء لله . وأن تعتقد أن ما أصابك لم يكن ليخطئك . وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك .

الصبر : أن تعتصم بالإيمان والدين عند الفزع .

وأن تلتزم السكينة والطمأنينة عند الجزع . وأن تقول عند نزول المصائب : إنا لله وإنا إليه راجعون . قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا . وعلى الله فليتوكل المؤمنون . . وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

فإذا قلت ذلك عند نزول الحادثة التى تنزل بك بنفس راضيـــة وعقيدة صادقة ، امتلأ قلبك بالإيمان واليقين — وابتعدت عنك وساوس الشياطين .

فاتقوا الله أيها المسلمون فى أنفسكم . واصبروا على ما أصابكم .

ولا تحزنوا على ما فاتكم . فالله جل شأنه يقول وقوله الحق :
« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

واعلموا أن النصر مع الصبر . وان الفرج مع الشدة . وأن مع العسر يسرا . وأن الصبر عاقبته فى الدنيا حميدة . وللصابرين يوم القيامة جنات النعيم . وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور .

جعلنا الله من الصابرين . ووفقنا إلى العمل بشريعة سيد المرسلين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما يصيب المؤمن من نصب (تعب) ولا وصب (مرض) ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه .

مما يقال فى الخطبة الثانية

. . . « الصبر : هو حبس النفس على ما تكرهه . أو حبسها عما تحبه .

وهو ركن من أركان الدين . ولعظم شأنه ذكره الله سبحانه وتعالى فى أكثر من سبعين موضعاً فى القرآن الكريم ، وجعله سبباً

النصر فى الحروب . كما جعله سبباً فى توفر النعم وزيادتها

الصبر أنواع ثلاثة :

النوع الأول : الصبر على التكاليف الشرعية التى ألزم الله بها عباده ومعنى الصبر عليها استدامة فعلها . واحتمال المشقة فى أدائها : فى الغنى . والفقر . والصحة . والمرض . والفرح . والحزن . والسلم . والحرب .

النوع الثانى : الصبر على المكاره وما يؤلم النفس من مصائب الدهر : ويدخل فى ذلك الفقر بعد الغنى . والمرض بعد الصحة . وفقد الأهل والولد . والمصيبة فى النفس والجوارح .

النوع الثالث : صبر الإنسان على ما يحب : فإذا تاقت نفسه رغبة من رغبات الدنيا وخالف هواها وصبر على هذه الأمنية . نال بذلك ثواباً عظيماً : فاتقوا الله فى أنفسكم . واصبروا على ما أصابكم . فإن ذلك من عزم الأمور .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات . والمسلمين والمسلمات . إنك على كل شىء قدير . وأنت نعم المولى ونعم النصير .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات . والمسلمين والمسلمات . إنك على كل شىء قدير . وأنت نعم المولى ونعم النصير .

اللهم وفق ولاة أمورنا لخير البلاد والعباد ، وألهمهم الصواب والرشاد . وأيدهم بالحق . وأيد الحق بهم . وانصرهم على أعداء العرب والمسلمين . وارض عناء واغفر لنا . وارحمنا . يا أرحم الراحمين .

عباد الله : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .

صنائع المعروف

قال الله تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض - يأمرون بالمعروف - وينهون عن المنكر - ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، أن الله عزيز حكيم».

. . . أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة . وأهل المروءة والنجدة فى هذه العاجلة . هم أهل المروءة والنجدة فى الحياة الآجلة .

أهل المروءة هم أهل الله . وأهل المعروف هم جيران الله . وأهل الهمة العالية هم صفوة خلق الله : سيهديهم الله ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم. ذلك لأنهم صنعوا المعروف مع غيرهم . وقدموا مصلحة إخوانهم . وآثروهم على أنفسهم ، وشاركوهم فى بأسائهم . وأعانوهم على شدائد حياتهم . وفرحوا لفرحهم . وحزنوا لحزنهم. وأحبوهم من كل قلوبهم ، وأخلصوا لهم فى السر والنجوى . فعاشوا إخواناً فى الله . متوكلين على الله . مفوضين أمورهم لله . الذى لا يحمد على مكروه سواه .

فقل لى بربك أيها المسلم هل تستطيع أن ترى بيننا الآن من يقوم بصنائع المعروف . ومن ينهض لإغاثة الملهوف . هل تستطيع أن ترى بيننا من يقضى للناس الحاجات ؟ . ابتغاء رب الأرض

والسموات ؟ هل ترى بيننا الآن من يأخذ بيد الضعفاء ؟ ويواسى من نزلت به الضراء ؟ ! !

هل ترى بيننا من قام بسد حاجة أخيه ؟ وأعانه على كل ما يقاسيه وما يعانيه ؟ هل ترى بيننا من يستر العورات ؟ . ويعفو عن السيئات ؟ هل تحس(1) منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً(2) ،

إنهم ماتوا وسكنوا إلى جوار ربهم . يتنعمون بنعيم معروفهم . وثواب مروءاتهم .

إنهم ماتوا وتركونا بين أقوام لا يعرفون المروءة سبيلا ولا المعروف طريقاً . ولا المجاملة طعماً .

إنهم ماتوا وتركونا بين قوم ذهب الخير من قلوبهم . والمعروف من نفوسهم . وجلت المروءة عن أرضهم . فلا يخافون من الله . ولا يعملون لوجه الله . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أيها الأخ المسلم : إن كان كلامى هذا فيه صعوبة على نفسك . ولم يرق فى نظرك . فدلنى على من يسعى للناس ابتغاء وجه الله . وعلى من يصل عيش الناس طالباً لمرضاة الله ، دلنى على من يحب لأخيه كما يحب لنفسه - ويكره له ما يكره لنفسه . .

نعم قد تجد من يعاونك ولكن بعد المعاونة يفضح . وتجد منهم

---

(1) تشعر منهم من أحد وتراه .
(2) صوتاً خفيا .

يساعدك ولكن يمن عليك !! وإذا قضى لك حاجة فإنه ينتظر منك أن تقضى له حاجات . وإذا أسدى إليك معروفا قاضاك الأجر وإذا ضحى لك فى مصلحة يشترط عليك الثمن .

فالناس الآن يسيرون على عرف المادة . لا على عرف المعروف . ولا على خطة المروءة .

ولا أكون مبالغا إذا قلت لك : ذهب المعروف بين الناس . وإنه وإن ذهب المعروف الآن بين الناس . ولكن ثمن المعروف غال عند رب الناس — وأجر المروءة كبير عند رب الناس يقدمه إليك فى أخراك . إذا قدمته للناس فى دنياك . يقدمه إليك فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فاتق الله أيها الأخ المسلم : واصنع المعروف إلى كل الناس . وإن كان فى أهله فقد وضعته فى موضعه ، وإن كان فى غير أهله كنت أنت أهله . وتودد إلى الناس بحسن الخلق . وجميل العشرة . ولين الجانب فإنك بذلك تستميل القلوب . وتنال كل مطلوب . ويحفظك علام الغيوب . ويحفظك الله ممن يعملون بما يعملون .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله خلقا خلقهم الله عز وجل لحوائج الناس . يفزع الناس إليهم . أولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة .

وقال عليه الصلاة والسلام : إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة . وإن أول أهل الجنة دخولا الجنة : أهل المعروف .

الدين حسن الخلق

قال الله تعالى : وإنك لعلى خلق عظيم .

. . . الإسلام دين يقدر الإنسان بخلقه ونبله . ويزن الشخص بفضله وأدبه لا بكثرة ماله وجاهه . ولا بقوة جسمه وحسن جماله . ولا بوفرة علمه . وشرف آبائه . وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ومن أبطأ به عمله . لم يسرع به نسبه .

وإذا تكونت الأمة من شباب صالح مستقيم ومن رجال ذوى سيرة طيبة . حسنت صفاتهم . وكرمت طباعهم . فتراحموا وتحابوا وابتعدوا عن الفحشاء والبغضاء والخصام . وأحبوا السلام والوئام . بقيت (الأمة) بقاء الدهر وعاشت فى ظل ظليل . من الخلق الجميل

وإذا رزقت الأمة بأفراد شرفت أخلاقهم . وذهبت الجفوة من قلوبهم . عاشت عزيزة الجانب . لا يدخلها الشيطان من أى باب .

فرسالة الإسلام رسالة أخلاق . ورسول الإسلام ما بعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق . ولا يقدر الإسلام شيئاً فوق مكارم الأخلاق .

فمكارم الأخلاق . ترضى الكريم الخلاق . وترضى الناس على الإطلاق .

فالصدق فى القول . والإخلاص فى العمل . والرفق فى الأمور وطلاقة الوجه . وسماحة النفس . كل أولئك من مكارم الأخلاق .

والحلم . والتؤدة والأناة والصبر فى الشدائد . والاحسان فى المعاملة والتأدب فى المخاطبة . كل أولئك من مكارم الأخلاق .

وكظم الغيظ عند المغاضبة . والتودد إلى الناس . والعفو . والصفح عند الإيذاء . وأخذ الناس بالشفقة والرحمة . والنظر إليهم بعين الاحترام والاجلال كل أولئك من مكارم الأخلاق

فاتقوا الله وتجملوا بمكارم الأخلاق . وتحلوا بأحسن الصفات . وأحبوا لين الجانب . وسهولة الخلق وطلاقة الوجه وهدوء الطبع وقولوا للناس حسنا : تعيشوا فى أمان واطمئنان . ويرضى عنكم الله الكريم المنان . واعلموا أن الدعوة الاسلامية شقت طريق نجاحها على أساس الأخلاق الكريمة لأن صاحبها صلوات الله وسلامه عليه كان على خلق عظيم .

فمن أراد منكم أن يكون محموداً عند الله، ومحموداً عند الناس فليتجمل بالأخلاق الكريمة . وليتكمل بالطباع السليمة . وليكن له فى رسول الله أسوة حسنة .

وفقنا الله إلى العمل بأحكام الدين . وأزال عنا وساوس الشياطين . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وخياركم خياركم لأهله) رواه أبو داود .

التوبة الى الله

قال تعالى : «ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا(١) عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى (٢) والذين آمنوا معه(٣) نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم . يقولون(٤) ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير» .

. . . كلنا مذنب . وكلنا مقصر . وليس هذا بعيب . والمعاصى قد ركبتنا من رءوسنا إلى أقدامنا . وليس هذا بعيب . فالعصمة للأنبياء الذين عظمهم رب السماء .

---

(١) نصوحا من أمثلة المبالغة . وفيها مجاز عقلى حيث أسندت للتوبة . والمراد أصحابها .

(يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) خالصة لوجه الله ليست لغرض أبداً . توبة بالغة فى النصح — ينصح بها صاحبها نفسه . توبة تنصح الناس وتدعوهم لأمثالها — لظهور أثرها على صاحبها .

والتوبة النصوح تستدعى الاقلاع من الذنب . والندم عليه . لكونه ذنبا ندما قلبيا يدعو إلى الحزن والأسف على ما فرط . وهذا بلا شك يستلزم العزم على عدم العودة مرة أخرى . فإن كان الذنب فى حق الله اكتفى الحال بذلك . وإن كان فى حق آدمى لزمك ارجاع الحق إلى صاحبه . أو طلب عفوه ومغفرته عنه ولو بالجملة .

(٢) بل يكرمه ويعزه لأنه الحبيب المصطفى .

(٣) ولا يخزى من معه من الذين آمنوا .

(٤) أى لما رأوا غيرهم يضلون : ربنا أتمم لنا نورنا — الآية .

إنما العيب كل العيب . والإساءة كل الإساءة أن نعصى الله ولا نتوب . وأن نسيء . وألا نرجع إلى علام الغيوب . وأن نسرف في الذنوب . ونسوف في التوبة ولا نتوب .

فإذا أذنبت أيها المسلم فعد إلى ربك سريعاً . فإنه يغفر الذنوب جميعاً . ولا تقنط من رحمة الله الذي يقول : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم »

حقاً إن الله غفور لمن استغفره . رحيم لمن استجار برحمته . مقبل على من أقبل عليه مجيب لمن دعاه . فاحذر أن تعصاه فيراك في غير ما يرضى لك .

أيها المسلمون : من فرط في جانب الله وزلت به القدم . فليسرع إلى التوبة وإبداء الندم ولا ينبغي أن يسوف إتكالا على العمل فإن الإنسان لا يدري متى ينتهي الأجل : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »

فمن وقع في العصيان فليقلع . وإلى ربه يرجع . وليحسن ما بقي من عمره . وليجدد التوبة . لأن الموت يأتي بغتة . وعندئذ يبكي المذنبون . ويتحسر المقصرون . ولا ينفع التحسر ولا يفيد البكاء ويقولون ليتنا نرد فنعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل . فيقول لهم ربهم «أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير . فذوقوا فما للظالمين من نصير »

فالتوبة ترفع الدرجات . وتمحو السيئات . ويبدلها حسنات . يقول الله تعالى : « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك

يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً » .

فبادروا بالتوبة حتى لا تتمكن من أنفسكم ظلمة المعصية . ولا تحيط بكم الخطيئة .

قال الله تعالى : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال : إنى تبت الآن . ولا الذين يموتون وهم كفار . أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » .

فيا أيها الغارقون فى ذنوبهم إلى الأذقان . ويا أيها المغلقون آذانهم من دعوة القرآن . ويا أيها المبتعدون بركبهم عن طريق الرحمن إلى أى غاية تسيرون . وإلى أى هدف تقصدون . وكيف من الله فى النهاية تفرون ، إنه بيده نواصيكم وإليه مرجعكم . فأين المفر ، أين المفر ولإله الطالب . أين المفر والأرض كلها له ، فأين تذهبون ، أين المفر والسموات مطويات بيمينه . فأين تهربون . فالداء معلوم . وطريق الدواء مفهوم . هو التوبة خالصة إلى الله . والرجوع عن رضى إلى رحاب الله . وعدم القنوط من رحمـــة الله : فاللهم وفقنا لطاعتك . واهدنا بهديك . واجعلنا من عبادك التائبين العـــابدين . الخائفين الراجين .

الحديث : (كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .

ثمرة التقوى

قال الله تعالى : «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت المتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين».

التقوى أساس صلاح الأعمال . وروح الإخلاص . وعليها تستقيم الأحوال .

وقد رفع الله عز وجل شأن المتقين . وأعد لهم متاعا حسنا . أعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . فيها مالا عين رأت . ولا أذن سمعت . ولا خطر على قلب بشر : إقرأوا إن شئتم واسمعوا ما شئتم قول الله تعالى : « إن المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

المتقون هم الذين يراهم الله حيث أمرهم . ولا يراهم حيث نهاهم يعترفون بالحق قبل أن يشهد عليهم . ويعرفونه ويؤدونه . وينكرون الباطل ويجتنبونه . يخافون الرب الجليل . ويعملون بالتنزيل . ويستعدون ليوم الرحيل .

المتقون هم الذين تركوا الحرام ، واجتنبوا الآثام . وأطاعوا الله ذا الجلال والاكرام . ولا يخونون فى الامانة . ولا يرضون بالذله والإهانة . ولا يؤذون جيرانهم ولا يضرون إخوانهم . يصلون من قطعهم ، ويعطون من حرمهم ، ويعفون عمن ظلمهم . الخير عندهم مأمول والشر من جانبهم مأمون

المتقون : هم الذين يتمسكون بالكتاب . ويعملون بالسنة المطهرة ويخافون سوء الحساب . إن بغى عليهم صبروا حتى يكون الله هو الذى ينتقم لهم . ويكظمون غيظهم . ويفوضون لله أمورهم . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ، وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

تلك بعض صفات المتقين . تلك بعض صفات المؤمنين المخلصين . تلك بعض صفات الذين يخشون ربهم بالغيب . وهم من الساعة مشفقون

(فأين أنتم معشر الحاضرين من هؤلاء الابرار . أين أنتم من هؤلاء السادة الاطهار . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

أيها المسلمون : لو تحلى كل فرد بالتقوى لحسن عمله . وخلصت نيته واستقام على الهدى ، وابتعد عن المعاصى والردى . وكان يوم القيامة من الناجين .

ولو تذوق الغنى طعم التقوى . لاعطى واتقى وصدق بالحسنى وأعطى الفقير والمسكين . واعان الارملة واليتيم . وأقرض الله قرضاً حسناً .

ولو أدرك الشعب معنى التقوى لما وقعت جريمة وماشاعت فتنة . ونزعت الأحقاد من الصدور . وابتعدت من بين الناس الشرور وعاشوا فى أمان واطمئنان . وأصبح كل إنسان محباً لجميع إخوانه فافهموا ذلك واعملوا به تكونوا فى دنياكم من الفائزين ، وتكونوا عند ربكم يوم القيامة من المقربين . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اتق الله حيثما كنت . وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) .

قضية للناس فى الدنيا وقضيتهم فى الآخرة

قال الله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ؛ أولئك هم الفاسقون . لايستوى أصحاب

---

(١) لقد ظن كثير من المسلمين اليوم أنهم من الأتقياء لمجرد صلاتهم ودخولهم المساجد . والله يعلم أن صلاتهم كلها مليئة بالرياء . والعجب والخيلاء لا جزاء لهم عليها ولا ثواب . ما دامت غير خالصة لوجه الله . وما دام أصحابها قد انغمسوا فى اللذات . واتبعوا الشهوات . وامتلأت قلوبهم بالأحقاد والحزازات . وتفننوا فى الأكاذيب والخزعبلات : جهل كثير من الناس معنى التقوى وفهموا أنها كلمة تلوكها الألسن فأصبحنا نراهم من الحرام يطعمون . ومن عذاب الله لا يخافون فلا حول ولا قوة إلا بالله .

النار وأصحاب الجنة . أصحاب الجنة هم الفائزون ، .

. . . نشاهد فيما بيننا أن أحدنا إذا جاءه إعلان من أى محكمة من محاكم الدنيا ليحضر فى يوم ما من أجل قضية مدنية أو غير مدنية . نشاهده يفكر فى شأنها . ويظل بالغ الاهتمام بها حتى يحين موعدها . ولا يدع وسيلة يبلغ بها غاية الطمأنينة إلا توسل بها وحرص عليها . ثم يمضى هكذا مهموما مشغولا لا يفارق شبح القضية عينيه . حتى يخرج منها له أو عليه . أو لا له ولا عليه .

هذا شأننا فى الدنيا فى القضية الصغرى . وهذا حالنا عند إعلانها .

وهناك قضية كبرى لايكاد يدركها الذاكرون . أو يفكر فيها المفكرون .

هى قضية الآخرة . التى يشير إليها رسول الله ﷺ فى أول خطبة خطب بها بعد أن بعث إلى المسلمين حيث يقول : « والله لتموتن كما تنامون . ولتبعثن كما تستيقظون . ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا : وإنها والله لجنة أبداً . أو لنار أبداً » .

وقضية الآخرة فيها كل معالم قضايا محاكم الحياة الدنيا : فيها المنذر « أو مايسمونه المحضر » . وفيها موعد المحاكمة وزمانها . ودار المحكمة . والشهود . والمستندات . والقاضى . والحكم .

وهناك فرق بين القضيتين : فقضية الآخرة ليس فيها زيف . ولا هوى . ولا محاباة ، ولا مراء ولا جدل . أما قضية الدنيا فلا يبعد أن يكون فيها شىء من ذلك .

وقد صور القرآن الكريم قضية الآخرة فى صور كثيرة . فذكر

المنذر . وهو محمد رسول الله ﷺ . يحمل إلى الناس إعلان هـذه القضية . وينذرهم ويذكرهم بهذه الجلسة الإلهية . إذ يقول تبارك وتعالى :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضـلاً كبيراً » .

وليس ذلك الإعلان - الذي يحضره المحضر لصاحب القضية - إلا القرآن . قال تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

ويحمل الإنذار أو الإعلان في آية من كتاب الله تعالى هي قوله جل شأنه : « إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا . ومن يأته مؤمناً قد عمـل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العـلى »

وصور القرآن الكريم موعد المحاكمة وتاريخها في قول الله تبارك وتعالى : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » .

ألا وإن دار المحكمة - هي أرض المحشر .

وشهود هذه القضية — أيها الناس — لا يكذبون : كانوا دائماً مع المتهم يراقبونه . ولا يملك لهم رداً ولا تكذيباً . فشهودك منك . وبينتك فيك . قال تعـالى : « ويوم يحشر أعداء الله إلى النـار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجـلودهم لم شهدتم علينا . قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون » ..

ومستندات تلك القضية مدونة فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة.

قال تعالى : (وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها ، اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) .

أما قاضى هذه المحكمة فإنه لايخاف ، ولا يرهب . قاضى هذه المحكمة لايطمع فى جاه أو منصب ، قاضى هذه المحكمة هو الله رب العالمين ، «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار »

قاضى هذه المحكمة ، هو أحكم الحاكمين : «رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ، لينذر يوم التلاق. يوم هم بارزون ، لايخفى على الله منهم شىء ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لاظلم اليوم ، إن الله سريع الحساب . وأنذرهم يوم الآزفة ، إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه لايقضون بشىء ، إن الله هو السميع البصير ».

«أما الحكم فهو والله حكم ناقض مبرم ، ولو أنه كان ألماً يحتمل لجاز لنا أن نتغاضى عنه ، ولو أنه حكماً بالاعدام لهان الخطب به ، فإن فى الموت راحة تضع دائماً حداً للآلام ، ولكنه حكم أبدى خالد ، هو النعيم أبداً ، أو الجحيم أبداً ، نعيم الأبد للمحسنين ، وشقاء الأبد للمسيئين .

وفى ذلك يقول الحاكم الأعظم فى كتابه الكريم :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه . إنى ظننت أنى ملاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية »

« وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ماحسابيه . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ههنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون »

فإذا لم تفكر يا أخى فى هذا المصير ! ولم تشتغل بحساب نفسك قبل أن يحاسبك العليم الخبير ، فكيف تضمن لنفسك أن تكون من الناجحين أو تفوز بالبراءة يوم الدين !!

إن الصالحين من عباد الله والعارفين من خاصة خلقه يقضون الليل خائفين ، ويقضون النهار مشفقين ، ويقطعون أوقاتهم نادمين على تقصيرهم ، باكين على أنفسهم ، مفكرين فى مصيرهم ، فاخلع يا أخى ثوب الغفلة ، واعمل لآخرتك ولا تسوف ، فالوقت يمضى وأنت لا تشعر وما فات من الأوقات لن يرد عليك ، وقد نصحت لك وذكرتك فإن قبلت النصيحة ، وجددت التوبة الصحيحة ، وأقبلت على مولاك بصدق وإخلاص ـ وضح لك سبيل الخلاص ، وإن أعرضت فأمرك إليك ، ولا لوم إلا عليك ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

الحديث « من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكى » .

أثر الاستقامة فى إصلاح المجتمع

قال الله تعالى :

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون . نزلا من غفور رحيم » .

. . . الاستقامة — وفقنا الله إليها — هى الاعتدال فى جميع الأمور من الأقوال والأفعال - والمحافظة على جميع الأحوال التى تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها : فلا يظهر منها قبيح — ولا يتوجه إليها ذم ولا لوم ، وذلك إنما يكون بالمحافظة على الشرع الشريف ، والتمسك بالدين — والوقوف عند حدوده مع التخلق بالأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة .

وإن الحصول على الاستقامة ليس من الأشياء الصعبة على النفس بل من السهل الهين القريب . فإن الإنسان إذا عود نفسه أن تراقبه عند كل عمل يريد أن يعمله أن الله تعالى مطلع عليه وعلى جميع أفعال عباده وأنه يجازى من أطاعه برضوانه وينزل غضبه وسخطه على من عصاه — إذا عود الإنسان نفسه على ذلك — سهل عليه أن يفعل ماأمر الله به . ويجتنب مانهاه عنه من غير مشقة ولا تعب . ثم إذا حدثته نفسه بمعصية من المعاصى ردها وزجرها ، وذكرها بأن الله

مطلع عليه ويعلم السر والخفى .

متى تصور الإنسان ذلك وعود نفسه عليه لايقدم على منكر ولا يقصر فى مطلوب منه . فتصير الاستقامة له عادة ينتقل بها من حضيض الهوان إلى أرقى السعادة .

وإذا لم يعود الإنسان نفسه على ذلك غلب على نفسه حب الشهوات كما هى عادتها . فتراه يترك لها العنان فى اتباع الشهوات وغيرها . ولا أدب يزجره - ولا حياء يمنعه - ولا دين يقف عند حده .

أيها المسلمون : من استقام وصلح فى عمل الدنيا - نجا من الذلة والهم والكرب . ومن استقام وصلح فى قوله وعمله نجا من أسر المسئولية - وعاش سعيداً موفقاً . ومن استقام وصلح فى أمر دينه سلم من المحرمات وسعى إلى ماينجيه - وابتعد عما يرديه .

فإذا استقامت الأفراد - قاربت السداد . وصار أمرها إلى رشاد وصلح المجتمع وحفظ من الآثام والضلال والفساد .

فإن أردتم النجاة والسلامة ، والأمن فى الدنيا وفى يوم القيامة فاستقيموا . ولا تطلقوا ألسنتكم بالطعن فى أعراض الناس . أو بالوشاية والإفساد بينهم . ولا تمدوا أيديكم بالسوء إليهم . ولا تأكلوا بالباطل أموالهم . وابتغوا عند الله الرزق فيما أحل لكم وراقبوا ربكم فى كل أعمالكم . فإنه لايخفى عليه خافية منكم ولا من غيركم . وتعاونوا جميعاً على فعل الخير ودفع الشر . وليكرم بعضكم بعضاً . وليحب بعضكم بعضاً . فإن المؤمن لايبلغ درجة الايمان الخالص إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه كما جاء فى

الحديث الشريف .

فاتقوا الله - وأطيعوا الله ، واستقيموا على طريق الله . واتبعوا هدى الله . تكونوا فى دنياكم من الفائزين . وتكونوا يوم القيامة عند ربكم من الناجحين المقربين .

وفقنا الله إلى الاستقامة . وجعلنا من سعداء الدارين :

روى مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال .

قلت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك .قال : «قل آمنت بالله ثم استقم» .

أثر الاستقامة فى نجاح الأعمال

قال الله تعالى :

« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير » سورة هود ١١٢ .

فى هذه الآية الكريمة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه من المؤمنين بالاستقامة . وقال لهم : سيروا على النهج الذى بيناه لكم . ولا تحيدوا عنه . فإنى مطلع عليكم ومحاسبكم على كل ما تأتون وتذرون .

والمراد من الاستقامة التزام حدود الله - وتحليل ما أحل - وتحريم ما حرم .

ويكون ذلك باستعمال كل عضو من الأعضاء فيما خلق من أجله . وبمخالقة الناس بالأخلاق الحسنة .

فالرجل المستقيم لا يمشى إلا على خير : كالذهاب إلى المساجد للصلاة والسعى فى الأرض لطلب الرزق من الوجوه المشروعـــة . وصلة الرحم . وإصلاح ذات البين ، ومواساة الفقراء ، وعيادة المرضى وغير ذلك .

الرجل المستقيم لا يفعل بيده أو يتناول بها إلا ما أحل الله ، فلا يسرق ، ولا يؤذى ، ولا يستخدمها فى الغش والتمويه والتغرير بعباد الله ، بل يستخدمها فيما يعود عليه أو على غيره بالخير ، من دفع ضرر أو جلب منفعة مشروعة .

الرجل المستقيم لا يستخدم لسانه إلا فى الحق والخير ، من ذكر الله - والثناء عليه - وقول الحق - والنصح لعباد الله . أما الكذب والافتراء ، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن ، والتملق والنفاق فإنه يفر منها كما يفر من النار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

الرجل المستقيم لا يستخدم بصره وسمعه وجميع حواسه ومشاعره إلا فيما أحل الله .

وقد جمع الله كثيراً من صفات المؤمنين المستقيمين وعدهم مفلحين مستحقين للخلود فى جنات النعيم فى قوله عز وجل :

« قد أفلح المؤمنون الذين فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى

وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

هذا هو معنى الاستقامة : وهو يتناول كل عمل يزاوله الإنسان بأى جارحة من جوارحه : سواء من ذلك مايعود أثره إليه — وما يعود أثره إلى غيره .

ولا يكون المرء كذلك إلا إذا كان نقى القلب ، طاهر السريرة ، متحليا بكل خلق كريم : فإن القلب إذا صلح كان منبعاً للخير - وباعثاً على كل عمل نافع جليل .

ويستطيع الإنسان أن يكون مستقيما . بأن يعتاد من صغره العمل بأوامر الدين الحنيف - والبعد عن مناهيه . مع العلم بأن الله مطلع على كل ما يعمل - ومحاسبه عليه : يستطيع الإنسان أن يكون مستقيما : بأن يثقف عقله بالعلم الذى ينير له سبيل الخير - ويبصره بالعيوب التى يجب البعد عنها : وأن يصاحب الأخيار - ويبتعد عن الأشرار . ويقتدى فى أعماله بالصالحين ذوى الأعمال المرضية .

يستطيع الإنسان أن يكون مستقيما : بأن يحاسب نفسه دائماً على كل خطأ يقع فيه : فيؤنبها ويتوب إلى الله . والله يقبل التوبة عن عباده ولا يضيع أجر المحسنين :

الحديث : (قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان . وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا . ونفسه مطمئنة . وخليقته مستقيمة) .

[م – ٤]

الفلاح السعيد

ركب أحد الملوك جواده وخرج يتنزه فرأى فلاحاً يحرث الأرض وهو مسرور يغني في نشاط وابتهاج : فوقف الملك وقال له : أيها الرجل . أراك مسرورا بعملك في هذه الأرض . فهل هي أرضك؟ فقال الفلاح : لا ياسيدي إنني أعمل فيها بالأجرة — لأنني فلاح فقير — ولست من الفلاحين الأغنياء ؟ قال الملك : وكم تأخذ من الأجر على كل هذا التعب ؟ قال الفلاح : أربعة قروش كل يوم : قال الملك : إنها أجرة قليلة — فهل تكفيك أيها الرجل ، قال الفلاح : إنها تكفيني وتزيد : قرش أصرفه على عيشي . وقرش أسدد به ديني وقرش أسلفه لغيري . وقرش أنفقه في سبيل الله . قال الملك : هذا لغز غير مفهوم . فهل أستطيع أن أفهمه ؟ قال الفلاح : أنا أشرح لك يا سيدي:

أما القرش الذي أصرفه على عيشي فهو قرش أعيش منه أنا وزوجتي.

وأما القرش الذي أسدد به ديني — فهو قرش أنفقه على أبي وأمي. فقد ربياني وأنا صغير . وأنفقا علي وأنا محتاج ، وهما الآن شيخان كبيران لا يقدران على العمل ، فأنا بهذا القرش أنفق عليهما كما كانا ينفقان علي.

وأما القرش الذي أسلفه لغيري — فهو قرش أنفقه على أولادي : أربيهم . وأطعمهم . وأكسوهم . فإن تعلموا وكبروا فإنهم يردونه

لنا هذا السلف . فينفقون علينا كما أنفقنا عليهم .

وأما القرش الذى أنفقه فى سبيل الله — فهو قرش أنفقه على أختين مريضتين .

فقال الملك : أحسنت أيها الرجل ، وإنى لمعجب بك — وأريد أن أصاحبك — فهل ترضى بصحبتى ؟

فقال الفلاح : هذا شىء يشرفنى . ولكنى لا أعرفك ياسيدى : فهل أستطيع أن أعرف من أنت ؟

قال الملك : ألم ترنى قبل الآن؟

فقال الفلاح : لم أشرف برؤيتك قبل الآن .

فقال الملك : إنك ستراني الآن خمسين مرة .!!

قال الفلاح وهو مدهوش : هذا لغز لا أفهمه ولا أستطيع حله .

فقال الملك : أنا أحله لك . ثم مد يده وأعطى الفلاح خمسين جنيها من الذهب — على كل جنيه صورة الملك .

حينذاك عرف الفلاح أن الذى يخاطبه هو الملك نفسه : فشكر له معروفه ودعا له بطول العمر : فسلم عليه الملك وقال له :

« إذا كان أحد فى الدنيا سعيدا فأنت السعيد لقناعتك واستقامتك »

فما أحسن الاستقامة وأجلبها للخير . وأدرها للرزق . وما أحسن من يتصف بها وأجله فى العيون . وأعظمه فى الأنظار .

وفقنا الله جل شأنه إلى ما فيه الخير . ورزقنا الاستقامة . وجعلنا سعداء فى الدارين . وحسبنا الله وكفى .

الخوف من الله وأثره فى الحياة

قال الله تعالى:

«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى».

... الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب توقع مكروه فى الاستقبال.

والخوف من الله شعار المقربين — وقرين المهتدين الصالحين. وطريق لهداية القلوب الحائرة — وسبيل لسلوك النفوس النافرة.

فمن خاف الله سلم. ومن خشى ذنبه غنم. من خاف الله استقام واهتدى — لأنه علم أن العمل اليوم وأن الحساب غدا. من خاف الله وخشى سوء العاقبة أقبل على ما يرضى الله — وتباعد عما يغضب الله.

فالمؤمن هو الذى يخاف ربه. ويخشى ذنبه. ويحاسب نفسه فى دنياه حسابا يسيرا — قبل أن يحاسبه مولاه حسابا عسيرا.

أيها المسلمون: من عرف أن الله مطلع على جليات الأمور وخفياتها — وأنه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء — وأنه عزيز ذو انتقام — وأنه غنى عن كل ما سواه — لا تنفعه من عباده طاعة — ولا تضره منهم معصية — من عرف ذلك — لم يقترف أى ذنب من الذنوب ولم يقدم على أى معصية من المعاصى التى نهى عنها علام الغيوب.

ومن عرف أن النفس أمارة بالسوء ميالة إلى الشهوات —

مستعد لسلوك طريق الغواية والضلالات - خاف أن توقعه نفسه فى الردى فيحل عليه غضب العزيز الجبار فيهوى به فى النار وبئس القرار:

ورد أنه لما أرادت امرأة العزيز أن تراود يوسف عن نفسه قالت له : ما أحسن شعرك ! ! فقال لها عليه السلام هو أول ما يتناثر من جسدى ، ثم قالت . ما ألطف جسمك ! ! فقال لها : هو للتراب يأكله والدود ينهشه . فقالت له : هيت لك . قال : معاذ الله — إنه ربى احسن مثواى — إنه لا يفلح الظالمون .

هذا هو الخوف من الله . فمن خاف من الله فى دنياه — أذاقه الله حلاوة الامن فى أخراه .

أيها المسلمون : والله والله والله لو آمن الإنسان حقاً بالله الواحد القهار — ووثق يقيناً بما بعد الحياة من الجنة والنار — وخاف وعيد الله كما يخاف وعيد أحد الأشرار — لما اجترأ يوما أن يتخطى شريعة الله أو ينتهك محارم الله التى حذره من تخطيها بقوله عز وجل .

« ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

فاتق الله أيها المسلم : وعظ نفسك فى كل وقت بما بعده من الشدائد والعقبات . وحاسب نفسك على كل ما تقترفه وتفعله من السيئات : واتخذ لك من تقوى الله ستراً يقيك من غضب الله وعذابه . واجتهد فى الأعمال الصالحة التى توصلك إلى جنته وثوابه . وإياك أن تطمع فى رحمة الله بغير عمل فإن ذلك من ضعف الإيمان - ودسائس الشيطان . والله تعالى يقول « إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

نسأل الله تعالى أن يؤمننا من الخوف عند لقائه . وأن يكرمنا بنعمائه وآلائه ، إنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية »

الهجرة القلبيـــــة
أو العمل على تحويل القلوب إلى الله

قال الله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة . ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان غفورا رحيما »

. . . يخيل إلى الآن أنكم حين سمعتم منى تلاوة هذه الآية الكريمة المتقدمة ، ظننتم أنى سأتكلم لكم فى هذا اليوم على « الهجرة النبوية » . ولكنى قد تكلمت لكم عليها فى أول هذا العام الهجرى كما تعلمون . كلا : وإنما أريد فى هذا أن أتكلم لكم كلمة فى الهجرة القلبية أو العمل على تحويل القلوب إلى الله : وإليكم كلمتى فاسمعوها . ونصيحتى فانتفعوا بها .

الهجرة نوعان : هجرة بدنيـة . وهجرة قلبية : فانتقال الإنسان من أرض إلى أخرى هجرة بدنية . وانتقال القلب من ظلمة الشرك

إلى نور التوحيد - وانتقاله من الغواية إلى الهداية ، ومن الشر إلى الخير ، ومن الجهل إلى العلم - انتقاله من حالة إلى أخرى ، كما سمعتم : يكون هجرة قلبية .

دل على هذا قول رسول الله ﷺ :

« والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

ولعل أوضح ما يدل على ما لهجرة القلب من قيمة وأثر — وأن الرسول ﷺ : الغى هجرة من هاجر معه بالبدن دون القلب : لأن الإسلام هو دين القلوب والنوايا الصالحة ، ولم يكن فى أى وقت من الأوقات دين المظاهر الكاذبة والعناوين الخادعة والأقوال البراقة .

ولولا أن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة كانت مبنية على هجرة القلوب - صادرة من أعماق النفوس والأرواح - مقصودا بها وجه الله ومبتغا بها مرضاته — لولا أنها كذلك - لما نظر الله إليها . ولا زكاها ولا أنجح أصحابها :

وقد هاجر قوم لغير هذا الغرض الشريف - فلم يقبل الله هجرتهم - ولم يعبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بها : كمهاجر أم قيس الذى أراد بهجرته أن يتزوجها — والذى يشير إليه وإلى أمثاله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنما الأعمال بالنيات — وإنما لكل امرىء ما نوى : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها — أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »

وإن فينا لكثيرين من مهاجرى أم قيس : يصومون كثيراً ويصلون كثيرا . ويزكون . ويتصدقون . ولكنهم إنما يفعلون ذلك ليقول الناس

فعلوا . لا يريدون وجه الله . وإنما يريدون المظهر - ويريدون الجاه - يريدون القربى إلى الناس - والزلفى إلى عباد أمثالهم . طمعا فيما عندهم - ورغبة فى أعراض الدنيا الزائلة :

وأحب الآن وقد فاتتنا فضيلة الاشتراك فى هذه الهجرة البدنية الموقتة مع رسول الله ﷺ : وصحبه الأبرار - أحب أن لا تفوتنا فضيلة الهجرة الباقية فينا إلى يوم القيامة — أو بعبارة أخرى - إلى أن تقوم الساعة — ويرث الله الأرض ومن عليها .

فليهاجر كل مسلم بقلبه ونفسه من الشهوات إلى الطاعات ، ومن عبادة هواه — إلى عبادة ربه ومولاه .

هاجر أيها المسلم من الباطل إلى الحق . ومن الفساد إلى الصلاح . ومن الشر إلى الخير - ومن الرذيلة - إلى الفضيلة .

هاجر أيها المسلم من البخل إلى الجود . ومن القسوة - إلى الرحمة ومن الغش إلى النصح .

هاجر أيها المسلم من الرياء إلى الاخلاص . ومن الخيانة إلى الأمانة - ومن الغدر إلى الوفاء ، ومن الملق إلى الصراحة . ومن الجبن إلى الشجاعة .

جاهد أيها المسلم من الذل إلى العز ، ومن الأثرة - إلى الإيثار . ومن الشقاق إلى الوفاق .

ثم قف فأوص نفسك بما أوصى به رسول الله ﷺ : من سأله أن يوصيه ويعظه فقال له : « إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته . فإن كان خيرا فأمضه . وإلا فانته عنه » .

ثم حاسب نفسك كل يوم : حاسبها وقل لها : (مثلا) يانفس . ليس لى رأس مال إلا العمر ، ومتى فنى العمر فقد فنى رأس مالى ووقع اليأس عن طلب الربح من طريق العمل : وهكذا . . .

ثم إذا أوصيتها وحاسبتها فراقبها : راقبها مراقبة من يعلم أن الله مطلع على الضمائر - عالم بالسرائر . رقيب على أعمال العباد .

إنك إذا فعلت ذلك فقد غرست فى نفسك بذور التقوى : وحينئذ فلا تقدم على منكر ولا تقصر فى مطلوب منك ، وتمت لك أسباب السعادة ، وكانت لك الحسنى وزيادة ، وذلك هو الفوز العظيم .

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحاسب نفسه كل يوم : ويراقب ربه فى كل لحظة من اللحظات .

رجع رضى الله عنه مرة إلى منزله ليلا ومعه بضع دريهمات كان يريد إيداعها فى بيت مال المسلمين فوجده مغلقاً فبقيت معه .

ولما أوى إلى فراشه لم يستطيع النوم . وأحس أن تحته ناراً موقدة يتقلب عليها . ثم أجهش بالبكاء . فاستيقظت زوجته ، وسألته عن السبب فى بكائه . فقال لها : معى بعض مال المسلمين ، وقد أردت وضعه فى بيت المال فوجدته مغلقاً . وأنا الآن لست هادىء البال - ولا مستريح الضمير فقالت له : ما مقدار هذا المال ؟ قال : بضع دريهمات أخشى أن أموت فى ليلتى هذه وهى معى . فقالت : أتركها معى . وسأردها إلى بيت المال - ونم أنت هادىء البال . فقال لها : أخشى أن تستهينى بها - أو يشغلك شاغل عنها وبات ليلته وهو على أحر من الجمر . لا تغمض له عين . ولا يقر له جنب حتى أصبح . ورد المال إلى بيت المال .

وأى سلطان قاهر كان يخشاه ويراقبه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إن لم يكن يراقب ربه حين يقسم الغنائم بين المسلمين . فتناول ابن له صغير تفاحة فانتزعها من فمه . فبكى الطفل . وسعى إلى أمه يطلب منها تفاحة . فأرسلت إلى السوق . فاشترت له تفاحا فلما رجع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ووجد ريح التفاح قال لزوجته : يافاطمة : هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟فقالت : لا والله ثم قصت عليه القصة .

فقال : والله يافاطمة . لقد انتزعت التفاحة من ابنى وكأنما انتزعتها من قلبي . ولكن كرهت أن أضيع نفسى بتفاحة من فيء المسلمين .

فاتقوا الله أيها المسلمون فى أنفسكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لها من الأعمال الصالحة يوم عرضكم على ربكم . واعلموا أن الله تعالى عالم بجميع أحوالكم وأعمالكم . لاتخفى عليه خافية منكم فيجازيكم عليها إن خيراً فخير . وإن شراً فشر . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم . إن فى ذلك لذكرى لقوم يعقلون .

وروى ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال :
المهاجر من هجر السيئات . والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

التوبة إلى الله

قال الله تعالى : «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء(١) «بجهالة» (٢) ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما»

التوبة : هي ترك الذنوب . والعمل بأوامر علام الغيوب ، فمن أطاع الله - وأدى ما أمره به مولاه وابتعد عما عنه نهاه فقد أرضى الخالق ، وحبب فيه الخلق ، وفاز بالسعادة في الدارين .

---

(١) السوء : العمل القبيح الذي يسوء فاعله . فيشمل الصغائر والكبائر .

(٢) « بجهالة » المراد بها الجهل والسفه بارتكاب مالا يليق بالعاقل . لا عدم العلم . وذلك يكون عند ثورة الشهوة — أو الغضب . وكل من عصى الله فهو جاهل .

المعنى : إنما قبول التوبة والغفران واجب على الله لسابق وعده الكريم فقد : (كتب ربكم على نفسه الرحمة . أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) من سورة الأنعام .

قبول التوبة متحقق للذين يعملون المعصية ويلمون بها ولم يصروا عليها . لأنهم فعلوها بدافع الهوى والشيطان حتى إذا ما ثابوا لأنفسهم ورجعوا لعقولهم أدركوا أخطاءهم وأنبوا أنفسهم وتابوا الى الله توبة نصوحا . هؤلاء هم الذين يعملون السوء أي المعصية في ثورة الجهل والسفه والغضب حتى إذا زالت تلك الحال تابوا من قريب أي بعد وقوعها بسرعة . فأولئك يتوب الله عليهم .

وقد دعا الله المؤمنين وأمرهم بالتوبة فقال : « يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » .

والتوبة النصوح : هي الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإصرار على أن لا يعود المرء إلى معصية .

أما المستغفر باللسان — المصر على ارتكاب الذنوب والعصيان — فهو كالمستهزىء بربه . وسيكون من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وكما دعا الله المؤمنين وأمرهم بالتوبة — كذلك بين ما لهم من الكرامة والأجر فقال « عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار » وأخبرهم أنه غفار لذنوب التوابين فقال عز شأنه « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » .

فالتوبة عن الذنوب — بالرجوع إلى ستار العيوب — وعلام الغيوب — مفتاح استقامة الطالبين — ومبدأ طريق السالكين . والباب الموصل لكل خير .

كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه من الذين أسرفوا على أنفسهم في المعاصى وكان من قطاع الطريق . ثم تاب إلى الله ورجع عن قطع الطريق — ودخل في طريق أهل السعادة والتوفيق وصار من أكابر الصوفية .

قيل له مرة : يافضيل : أخبرنا . كيف جذبتك يد التوفيق - من قطع الطريق : وكيف نقلت من طريق الشقاوة إلى أسعد طريق ؟ فقال ياقوم : كنت ضالا عن الطريق — بعيداً عن التوفيق فأنقذنى مولاى من بحر الآثام — وغمرنى بالإحسان . فقالوا : كيف كان ذلك ؟ قال : بينما أنا يوماً قد خرجت لأقطع الطريق على المارة تقودنى إلى الشر نفسى الأمارة — فذهبت لأنهب الركاب إذ سمعت قارئاً منهم يقرأ قول الله تعالى . « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » .

فألقيت له سمعى . وأثر ذلك فى رجوعى إلى ربى . وقلت بلى « والله — لقد آن وحان رجوعى إلى الرحمن وخوفى من العصيان ولكن لابد للخائف من أمان . فجاءت بشائر القرآن بترجمان — « ولمن خاف مقام ربه جنتان » فرجعت عن قطع الطريق — ودخلت فى طريق أهل السعادة والتوفيق . وعدت إلى ربى تائبا منيباً — ونادماً مطيعاً » .

وباب التوبة الآن لازال مفتوحاً . فإذا تاب العبد بعد معصيته قبل الله توبته . فلا ينبغى للانسان أن ييأس من رحمة الله . فإن الله تعالى يقول . « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

ولابد أن تكون التوبة صادقة لتكون كفارة للذنب . أما من يتوب — ثم يعود إلى ارتكاب المعاصى ثم يتوب ثم يرجع وهكذا . فإن توبته هذه تسمى توبة الكذابين . ولا يقبلها الله رب العالمين .

والمبادرة بالتوبة واجبة خشية تراكم الظلمة على القلب من كثرة المعاصى .

ومثل المسوف فى توبته كمثل رجل أراد قلع شجرة فرآها قوية فأخرها إلى سنة أخرى . والواقع أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها فى الأرض . وهو رأى الإنسان ، كلما طال عمره يزداد ضعفه . أو بلغه الموت . وعلى هذا فحماقة المسوف فى توبته أعظم حماقة فى الدنيا .

قال لقمان لابنه . يابنى لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتى بغتة . ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين . أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصى حتى تصير رينا وطبعاً فلا يقبل المحو . وثانيهما — أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو فيأتى ربه بقلب غير سليم — ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويجب على كل مسلم ألا يمتنع عن التوبة خشية وقوعه فى ذنب مرة أخرى . فإن هذا ظن يدخله الشيطان فى قلبه ليؤخر التوبة . ولربما يقول أحدنا لنفسه : سأستمر فى المعاصى أيام شبابى وصحتى ثم أتوب بعد أن أتمتع بلذات الدنيا وهكذا يسوف ويؤخر . وإذا بالمرض أو الموت يفاجئه ، كما ذكرنا ، فلا يجد متسعاً للتوبة . وفى هذا يقول رسول الله ﷺ . « هلك المسوفون » .

هذا . وليعلم كل واحد منا أن لذة الدنيا سريعة الزوال . وأن كثرة الذنوب تبعد صاحبها عن رحمة الله الكبير المتعال . فعلينا أن نجتهد ونسعى فى الطاعة — ونبتعد عن المعاصى والسيئات جهد الاستطاعة لنكون من عباد الله المتقين — الفائزين برحمته ورضوانه يوم الدين .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده التائبين . وأن يبعد عنا نزغات الشياطين . وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »

لماذا لا نرضى بالقضاء والقدر؟

قال الله تعالى : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » — ٥١ التوبة.

المؤمن حقاً لا يسخط من قضاء الله وقدره إذا أصابه في دنياه مكروه : بل يقابل كل ما نزل به بصدر رحب — وبقلب منشرح . لأنه يعلم أن ذلك بتقدير العزيز العليم . وأن ما نزل به إن لم يعد عليه من جهة الدنيا بفائدة فلا أقل من أنه سينال في الآخرة ثواباً عظيماً جزاء بلائه وصبره . فالله تعالى يقول : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له . وليس ذلك إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

ولو قدر المسلمون هذه النصائح الجليلة حق قدرها — وعملوا بها —

لما رأوا معنى السخط على المقدور . ولما فتح عليهم الشيطان هذا الباب الخبيث . حتى قادهم إلى اليأس والقنوط وأسلمهم إلى الجنون . فكانت عاقبتهم جهنم وبئس المصير :

والله الذى لا إله إلا هو لو كان المسلمون متمسكين بمبادىء دينهم لعاشوا فى سعادة لاتعادلها سعادة . وطمأنينة لا تعادلها طمأنينة . سواء أكثرت أموالهم أم قلت . وسواء أحلت بساحتهم المصائب أم عافاهم الله منها !!

لا يجمل بالإنسان أن يجزع إذا مسه بعض ما يكره من دنياه . فقد جعل الله الدنيا محفوفة بالمكره والشرور — ومزوجة بالفرح والسرور . ولا قدرة لمخلوق مهما أوتى من قوة وبطش وسلطان أن يدفع عن نفسه وغيره ، مانزل به . وما الشكوى لغير الله إذا نزلت نازلة أو ألم خطب إلا ضرب من ضعف الإيمان — ونزغ من نزغات الشيطان . فأفزع أيها المسلم إلى الله . والجأ إليه وحده فى رد ما أهم — وكشف ما نزل . على أن فى الشكوى لغير الله ما ينافى الصبر . والصبر نصف الإيمان وثوابه الجنة . وفى الشكوى لغير الله ما يشعر بعدم الرضاء بقضاء الله ولا يتفق ذلك مع قوة اليقين . والتسليم لرب العالمين .

شكا رجل إلى آخر شدة الفقر . فقال له . ياهذا تشكو من يرحمك — إلى من لا يرحمك !!

وقال الأحنف بن قيس : شكوت إلى عمى (بعض ما أجد) وجعاً فى بطنى فنهرنى . ثم قال : يا ابن أخى : لا تشك إلى أحد ما نزل بك . فإنما الناس رجلان صديق تسوؤه ، وعدو تسره .

يا ابن أخي : لا تشك إلى مخلوق مثلك — لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن أشك إلى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك .

يا ابن أخي : إحدى عيني هاتين ما أبصر بها سهلا ولا جبلا من أربعين سنة . وما أطلعت على ذلك امرأتي — أو أحد من أهلي ، وإنما أشكو بثي وحزني إلى الله » .

وقال شقيق البلخي رضي الله عنه : من شكا مصيبة نزلت به إلى غير غير الله — لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً .

ألا فليعلم المرء أن عدم الرضا بما قسم الله له من صفات الكافرين . وأن الشكوى لغير الله من صفات المنافقين . وأن إظهار الفقر والاحتياج إلى الناس من عمل الأذلاء السافلين . وأن الرضا بقضاء الله وقدره من علامات المؤمنين الصادقين . جعلنا الله تعالى ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وهدانا جميعاً إلى الصراط المستقيم .

قال رسول الله ﷺ : « ما أعطي أحد عطاء خيراً أوسع من الصبر » من حديث متفق عليه .

لماذا لا تتعظ؟

قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه . وما نهاكم عنه فانتهوا . واتقوا الله . إن الله شديد العقاب) .

. . . بم أعظك !! وكل شيء تحس به فيه عظات وعبر . أمامك قبر يناديك . ووراءك موت يسوقك . وتحتك أرض هي مضجعك الأخير . وعن يمينك فتن واضطرابات . وعن يسارك أمراض وأسقام وعلل . ولا تفكر عندك في شيء من ذلك ولا اعتبار !! .

لقد خلق الله الموت سيفاً قاطعاً ونحن عنه غافلون . حتى بدل الله حالنا . وغير ما بنا والله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . فأصبح التاجر يشكو من حالته — وكساد تجارته . وأصبح الصانع يتألم من ضيق عيشه . والزارع قد قل محصوله وصار مسخراً في خدمة أرضه ، فلا بركة ، ولا رخاء ، وزيادة : ولا نماء . وإنما ضيق ونقص في الثمرات .

ولو فكرت أيها العاقل قليلا لوجدت أن ما فيه المسلمون اليوم من كساد في التجارة - وبوار في الزراعة وفساد في الأخلاق - لو فكرت في ذلك قليلا لعلمت أن كل ما حل بهم - وإنما هو من إهمالهم تعاليم دينهم . فإن ما اقترفته يد الإنسان من المعاصي والآثام - سبب فيما حل به من بؤس وشقاء وآلام . مصداقا لقول الله عز وجل : (ما أصابك من حسنة فمن الله . وما أصابك من سيئة فمن نفسك) .

فبتقواك أيها المسلم تروج صناعتك . وتربح تجارتك . وتجود زراعتك . وتمطرك السماء فتجود الأرض وتخرج للناس بإذن ربها حبا وثباتا .

هاك أيها المسلم دليلا على قساوة قلوب المسلمين، وانصرافهم عن طاعة رب العالمين.

أرأيت يوماً نعشاً محمولا على الأعناق فلان قلبك وتذكرت أنه

سيأتى عليك يوم تسافر فيه ذلك السفر الطـويل الذى لازاد له إلا التقوى ؟!

أمررت يوما على قبر فتذكرت أن لك منزلا غير الذى أنت فيه اليوم تطول فيه إقامتك وثواؤك .. ويفارقك أحباؤك وعلمت أنك ستنام فيه فريدا وحيدا !!!

أذهبت يوما إلى المحكمة فتأملت فى هيبتها .! وقد جلس القاضى وتقدم المحامون . وكتب الكاتب . ونادى الحاجب . واحضر الجانى وقد اصفر وجهه ـ وتلجلج لسانه ـ وغارت عيناه ـ وارتعشت رجلاه وتفكرت كيف تكون الحال إذا جاء ربك والملك صفاً صفا وجىء يومئذ بجهنم .! لاأقول بقفص الحديد ـ وإنما أقول : بجهنم ترمى بشرر كالقصر ـ كأنه جمالة صفر .! ثم يوضع الكتاب ـ لا الدفتر وإنما هو الكتاب الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها : ثم يحكم الحاكم الاعظم ـ وهو الله الواحد القهار ؟!

أيها المسلم : أنت فى المحكمة يدافع عنك المحامى وتجادل عن نفسك فهل تكون كذلك فى محكمة قاضيها أحكم الحاكمين ؟! لاوربك فإنك لاتسمع حينئذ إلا قول الله تعالى :(لاتختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد. مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) .

تأمل ذلك أيها المسلم عسى أن يهبك الله السلامة . ويوفقك إلى الاستقامة . إنه عليم بذات الصدور .!

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال . «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا يارسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ـ ومن عصانى فقد أبى» .

تصوير وتبصير لذوى الأحلام

بما فى الدنيا من عبر وآلام

قال الله تعالى : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا).

... يعيش الإنسان ماشاءت له المقادير أن يعيش ويسير الإنسان فى الأرض ويتقلب فيها - ويرى حلوها ومرها . ويأخذ فيها حظاً من الشقاء وحظاً من السعادة بمقدار ما كتب له وما قدر عليه . ولكن لكل هذا نهاية . ولكل ذلك غاية . كل نفس ذائقة الموت .

أيها المسلم : عش ما شئت فإنك ميت . وأحبب من ماشئت فانك مفارقه . فالبقاء فى الدنيا محال . هذه الدنيا جسر . هذه الدنيا معبر . هذه الدنيا طريق إلى الدار الآخرة .

ومن الناس من يتخبط فى هذه الطريق ويتعثر فيها . ومن الناس من يسلكها مستقيما لايلوى على شىء إلا على زاد يدخره . وأمل يهدف إليه فى تلك الدار الباقية . وذلك الهدف هو رضى الله عز وجل الذى فيه كل النعيم . الذى فيه كل الهدوء والاطمئنان . والذى فيه الفوز والنجاة .

تلك حال من اعتبروا فنفعتهم العبرة . ولمسوا الموعظة من دروس الحياة وأحداثها فاهتدوا وزادهم الله هدى . تلك حال من اعتبروا

قلفتهم العبرة وجعلوا التقوى إلى الله أمامهم لا يحيدون عنها . يخافون ربهم ويخافون سوء الحساب . (ومن يخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) .

فليعش الانسان ما شاءت له المقادير أن يعيش . وليتسع له الأجل ما شاء أن يتسع له . ولكن لكل أجل كتاب . ولكل شيء نهاية : (كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) .

أيها المسلم . لقد خرجت من ظلمات . وستنتهى إلى ظلمات . خرجت من ظلمات الارحام — وتنتظرك ظلمات القبور . خرجت من أحشاء أمك . وستستقبلك احشاء أخرى أقوى وأعظم . دفعك جوف يحن عليك إلى جوف الأرض الذى لا يحن ولا يرحم . وبين الجوفين أمور وأمور . ففى الدنيا السراء والضراء . والسعادة والشقاء إنك تخرج من شدة إلى رخاء . ومن رخاء إلى بلاء . وتصادفك فى سبيلك عقبات بعد عقبات . وتتغير أحوالك من حالات إلى حالات فمن ذل إلى عز ومن عز إلى ذل . ومن غنى إلى فقر . ومن فقر إلى يسر . ومن صحة إلى مرض . ومن مرض إلى عافية . ومن راحة إلى تعب .

هذه هى الدنيا . وهذه أحوالها . عزها لا يدوم . ورخاؤها لا يبقى .

(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير) .

فحاسب نفسك أيها المسلم قبل أن تحاسب . وزن أعمالك قبل أن

توزن عليك . وراقب مولاك الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء . وتب إلى الله الذى يقول :

(وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاثم اهتدى) .

قال رسول الله ﷺ :

«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» .

مقابلة السيئة بالحسنة

قال الله تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)

. . . الدين الاسلامى الحنيف ألفة وصفاء — ومحبة وإخاء : فمن الحق وقلة العقل أن يكيد المسلم لأخيه المسلم بكل مايستطيع من كيد ، سراً أو جهرا . وخفية وعلانية .

من الحمق وقلة العقل أن يسخر المسلم من أخيه المسلم ويهزأ به ، ويتحين الفرص لينال منه . ويفعل معه كل ما يثير غضبه : غير مدخر جهداً للايقاع به والانتقام منه : ومدفوعاً إلى ذلك بعامل الإحن والأضغان . من الحمق وقلة العقل أن يفعل معه كل ذلك ولا يخاف من الله شديد العقاب . إنه لمؤلم حقاً أن تتمكن الأحقاد بين الناس

بسبب التافه والأمر الحقير . لأن ذلك يولد الخصومات والمشاجرات والمنازعات التى لا تحمد عقباها . ومن وراء كل أولئك خراب ديار وسوق رجال إلى غياهب السجون ثم بذل وإعطاء فى أتعاب المحاماة ورسوم القضاء : وهكذا تضيع الأموال . ويصبح الخصمان لا باليمين ولا بالشمال :

فى مكنة كل امرىء أن يكون رجلا كامل الاسلام . ورسولا من رسل السلام : يقابل السيئة بالحسنة والذنب بالمغفرة . والقطيعة بالصلة . والإيذاء بالصفح والاعتداء بالعفو . والجفاء باللين .

فقد ورد : من أراد خلع القبول أن تفاض عليه — فليطعم من حرمه . وليعف عمن ظلمه . وليحسن لمن أساء إليه .

أيها المسلم : يجب إذا اعتدى عليك أن تهون عن نفسك ولا تحاول أن تتسرع لتأخذ حقك بيدك . بل عليك بالتروى والاطمئنان — ولا تندفع لمقابلة الشر بالشر . والذنب بالذنب . والجرم بالجرم . والعنف بالعنف . إذ الخير كل الخير فى التروى وعدم التسرع . فإن ذلك يساعد على تسكين الفتنة . وتهدئة الثورة . وإخماد اللهب . فتزول الأحقاد ويذهب الغضب . ويحل الوئام — محل الخصام .

ولكى تحول دون تفاقم الخطر — يلزم أن لا يكون فى نفسك إثارة من ضغن . فإن معظم النار من مستصغر الشرر .

ولا تظن أن ذلك ضعف وعجز . وخور فى العزيمة وجبن . ومذلة وهوان . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . «ليس الشديد بالصرعة — إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» .

فالمؤمن من الحق الذى يسامح أخاه إذا هفا . ويتقرب إليه إذا

جفا . ويلين له في الكلام — ويقرئه السلام . ويباعد بينه وبين الخصام . فالله سبحانه وتعالى يقول : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ينادى مناد يوم القيامة من له أجر على الله عز وجل فليقم . فيقوم العافون عن الناس » . ثم تلا : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى العمل بأوامر الدين . وأن يجعلنا يوم القيامة من الناجحين . وأن يدخلنا الجنة بفضله وكرمه مع الداخلين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ابتلى فصبر — وأعطى فشكر . وظلم فغفر . وظلم فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » وقال صلى الله عليه وسلم . « صل من قطعك . وأحسن إلى من أساء إليك . وقل الحق ولو على نفسك » .

الاستحياء من الله

قال الله تعالى . (ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

. . . . الحياء من أفضل صفات النفس الممدوحة . وهو انقباض النفس من فعل شيء أو تركه مخافة الذم الذي يعقبه . ويترتب عليه كل الفضائل التي يسعد بها الناس في دنياهم وآخرتهم .

الحياء من الإيمان . وقلته من قلة الايمان . وضياعه مجلبة للذلة والهوان . ومن لا حياء فيه — لا خير فيه . الحياء يدفع صاحبه إلى طاعة الله . ويمنع عن عصيان الله . فإذا اتخذه المؤمن من شعاره — وجعله في تقربه إلى الله مناره . فقد هدى إلى صراط مستقيم — وظفر في دينه ودنياه بالخير العميم .

الحياء من خصائص الانسان - لأنه لا يوجد في غيره من الحيوان . وقد جعله الله في الانسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من الموبقات . فمن كساه الحياء ثوبه — لم ير الناس عيبه .

وأعلى درجات الحياء ما كان ناشئا عن الشعور بمراقبة الله تعالى وعظم حقه على الانسان . فإن هـــذا يقيم المرء على صراط الحق . لا يلتوي عنه يمنة أو يسرة . وقد يتولد الحياء من الله تعـــالى من التقلب في نعم : فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته .

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه . وحث المؤمنين عليه . وبين أسبابه ومقوماته — وفصل وسائله وأوضح غاياته — حيث قال في جوامع كلمه : « استحيوا من الله حق الحياء . قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : من حفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى . وذكر الموت والبلى . وترك زينة الحياة الدنيا . وآثر الآخرة على الأولى فقد استحيا من الله حق الحياء » .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما الانسان إلا رأسه

وبطنه . يجتمع فيهما حواسه وشهواته — وتفجر منهما ميوله وخطراته ففي رأسه عقله وسمعه . وبصره . وفمه ولسانه .

وفي بطنه أوعيته وشرابه وطعامه وأخطر جوارحه فإذا حفظ هذه الأشياء وصانها عن العبث ووجهها إلى الدين والخير — وابتعد بها عن طريق الضلال والشر فقد أرضى الله ووقف بها عند حكمته . وأحسن شكره على نعمته .

وحفظ العقل يكون بإبعاده عن وساوس الشيطان . ومنعه عن البحث في ذات الرحمن . ويكون بالتفكير في جلال الله وعظمته — وإدراك أسراره وحكمته . وإعطائه ما تستحقه الربوبية — من إخلاص العبادة وصدق العبودية .

وحفظ السمع يكون بإعراضه عن اللغو — وبعده عن الهجر . وبذلك يكون أصم عن الشر — سماعاً للخير .

وحفظ البصر يكون بتوجيهه إلى آيات الله في الكون ليعتبر . وبغضه عن محارم الله حتى تستهوى الفرص .

وحفظ الفم يكون بكفه عما حرم الله . والقصد فيما أحله .

وحفظ اللسان يكون بألا ينطق إلا بالحق — ولا يتكلم إلا بالصدق .

وحفظ البطن يكون بحمل ما يستقر فيها من الطعام والشراب ، بالقدر الذي يمسك الأود ويقيم الأصلاب . بهذا تحفظ الغريزة البهيمية من حق يدفعها إلى الفاحشة ، ويزين لها المواقف الطائشة .

ولقد بين الرسول الكريم في الحديث المتقدم ما يعين المؤمن على حفظ هذه الأشياء ويسهل له السيطرة عليها ليتحلى بالحياء . فدعا

المؤمن إلى ذكر الموت . وفى ذكره تبصير بالمصير الذى ينتظر كل العالم وتنبيه إلى الغاية التى يسير إليها كل مخلوق . فمتى أيقن الانسان بحتوم الأجل . زود نفسه بالتقوى وتدرع بصالح العمل .

ومتى جعل الانسان نصب عينيه أن كل نعيم لا محالة زائل . وأن كل شىء ما خلا الله باطل . فقد سخر من الدنيا وزهرتها . وآثر الآخرة على الأولى وزينتها . وجعل همه من دنياه . أن تكون مزروعة لأخراه . فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء — وفاز من رحمة الله بأحسن الجزاء .

أما قلة الحياة . فهى الداء العياء . فإذا فقدت الحياء فقد فقدت كل شىء من كرامة واستقامة — وانحدرت إلى شر تهلكة فى حسرة وندامة . جملنا الله بأحسن الآداب . وأحسن عاقبتنا يوم الحساب . (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أنا من المجرمين منتقمون) .

القلب السليم

قال الله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل . والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) .

. . . من الناس جماعة يضمرون الشر ويؤذون خلق الله .

ويحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . وإن رأوا حسنة كتموها — وإن رأوا سيئة أذاعوها ونشروها . لا يخافون من الله ولا يستحيون منه . ولا يوقرون كبيراً . ولا يرحمون صغيراً ، وإذا أمرهم آمر بالمعروف أو نهاهم ناه عن المنكر ، أعرضوا عنه ولووا رءوسهم وأخذتهم العزة بالاثم . وقالوا : (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) . دعوا الخلق للخالق . واتركونا وشأننا . إن قلوبنا سليمة ومعاملاتنا للناس مستقيمة . ونفوسنا بالناس رحيمة . وربنا رب قلوب . ينظر إلى قلوبنا . ولا ينظر إلى صورنا وأعمالنا والدين المعاملة . والعبرة بالخواتيم إلى غير ذلك من الكلام الحق — الذى أرادوا به باطلا من المعاذير التى أرشدهم إليها شياطينهم وبها قادوا زمامهم . ووعدوهم ومنوهم . وزينوا لهم ما كانوا يعملون .

يقولون ذلك ويستهزئون بتعاليم الدين ، وبأعمال المؤمنين . ويعتقدون لجهلهم — أن الله سيتجاوز عن سيئاتهم : أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون .

ونحن ننصح هؤلاء الناس — الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً — ننصحهم ونقول لهم ، أما قولكم إن قلوبكم سليمة مع عدم تمسككم بالدين فهذا من جهلكم وسوء فهمكم تعالوا : قولوا لنا ما هو القلب السليم . هل القلب السليم فى عرفكم هو قلب من ترك عبادة خالقه ورازقه ومن بيده أمره ؟ ! هل القلب السليم فى عرفكم هو قلب من اتخذ إلهه هواه واشتغل بدنياه وترك وراءه ظهره أخراه وعبد المال ؟ ! — هل القلب السليم فى عرفكم هو قلب من عبد المال ، ولم يبال أمن حرام جمعه أم من حلال ؟ .

هل القلب السليم فى عرفكم هو قلب من تنطوى نفسه على السر كما ينطوى ضميره على الخبث ولا يتقى فعل المحرمات ولا يخاف من خالق الأرض والسماوات . !

اسمعوا اسمعوا: ليس القلب السليم هو قلب من يتبع الشهوات — ولا قلب من يسير فى ظلمات الضلالات والجهالات . إنما القلب السليم هو القلب الذى سلم من الشرك المنافى توحيد الله : القلب السليم هو الذى سلم من الشهوة المخالفة أمر الله . القلب السليم هو الذى سلم من الغفلة المناقضة ذكر الله . القلب السليم هو الذى سلم من الهوى الذى يعارض الاخلاص لله .

القلب السليم هو الذى سلم من البدعة التى تضاد سنة رسول الله .

فهذه خمسة حجب تحول بين المرء وربه : وهى كما سمعتم : الشرك . والشهوة . والغفلة . والهوى . والبدعة ، فمن سلم قلبه من هذه الخمسة فقد هدى إلى الصراط المستقيم . ومن تلبس قلبه بشىء منها فبقدر تلبسه به يبعد عن الصراط المستقيم . ولن نستطيع أيها الاخوان أن نخلص منها جميعا . فلنعمل ما استطعنا مستعينين بالله رب العالمين — حتى يهدينا إلى الصراط المستقيم عملا بقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

بقى علينا أن نبين لهؤلاء الناس خطأهم فى فهم ما نطقوا به من الالفاظ التى القيتها على مسامعكم - فى أول الموضوع - فنقول لهم .

وأما قولكم (الدين المعاملة) فهذا قول حق - كلام صدق . ولكنكم أردتم به باطلا : نعم إن الدين المعاملة . معاملة الخالق جل شأنه . ومعاملة المخلوق . فما لكم أيها المغرورون بنعمة الله تجحدون

وعن أوامر الدين تعرضون . ولحلوفات الله تؤذون ولا تبالون . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وأما قولكم . إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم . ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . فهذا أيضاً كلام صدق — وقول حق — ولكنكم تريدون به باطلا .

حقا إن الله تبارك وتعالى ينظر إلى قلوبنا ليعلم (وهو عليم بكل شيء) أنها سليمة . تسلك بصاحبها سبيل الهدى وطاعة الله فيجازيها بالحسنى . أو مريضة تسير بصاحبها إلى طريق الضلال ومعصية الله فيجازيها بما تستحقه : (ولا يظلم ربك أحـــدا) ولكنه لاينظر إلى صور أعمالنا مادامت صورا لاروح فيها ولانية ولا إخـــلاص : هذا ولانطيل القول فى الرد على هؤلاء الناس الذين لايعملون بأوامر الدين . بل يعملون كل ما سولت لهم به نفوسهم . بل نكتفى بأن نقول لهم : واتقوا الله فى أعمالكم واجتهدوا أن تكون قلوبكم سليمة حقاً . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون .

الحديث « من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكى » .

الهجـــرة النبوية

قال الله تعالى : (ومن يهاجـــر فى سبيل الله يجـــد فى الأرض مراغما(١) كثيراً وسعة(٢) ومن يخرج من بيتـه مهاجرا إلى الله

(١) المراغم : المهرب والخلاص والحصن . (٢) أى اتساعا فى الرزق .

رسوله ثم يدركه الموت فقد وقـــع أجره على الله(١) وكان الله غفورا رحيما) .

إن غدا لناظره قريب . وإن غدا ستحتفل الأمم الاسلامية . الخ . . . قبل(٢) . . . من يومنا هذا احتفلت الأمم الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها بعامها الجديد . لتتذكر بذلك تلك الهجرة المحمدية — التى هى مبدأ تاريخ الاسلام — وإليها ينسب ذلك العام: فاذكروا أن فى مثل هذا اليوم منذ ألف ونيف من السنين . هاجر نبينا صلى الله عليه وسلم هاربا بدينه من مكة إلى المدينة لتأسيس دعائم الدين لاخوفا من الكافرين ولما أحس المشركون بعزمه على الهجرة عقدوا اجتماعا فى دار يقال لها دار الندوة . وتآمروا على قتل الرسول الكريم . فنزل جبريل على الرسول فأعلمه بما اتفقوا عليه . وأخبره بأن الله قد أذن له بالهجرة من مكة إلى المدينة . وأمره أن لا يبيت فى فراشه . وأن يصحب فى هجرته أبا بكر الصديق : ولما حاصروا البيت النبوى — قضت حكمة الاله الحق — الذى لا تأخذه سنة ولا نوم — أن يغشيهم النعاس — ثم يغرقهم فى النوم فرقدوا حتى أصبحوا : وفى تلك الليلة خرج المصطفى صلى الله عليه وسلم . ورعاية الله تحفظه — وعين العناية تلحظه — ونظر إلى مكة متأثراً لمفارقة وطنه وقال: « والله إنك لأحب أرض الله إلى — وإنك لأحب أرض الله إلى الله . ولولا أن أهلك أخرجونى ماخرجت منك » ونجاه الله سبحانه وتعالى من كيدهم — ورده فى

(١) أى لقد ثبت أجره عند الله كثبوت الأمر الواجب . فان الوقوع والوجوب متقاربان . (٢) يقول الخطيب قبل يومين أو أسبوع حسب التاريخ .

محرم . وفى هذه الحادثة نزل قول الله تبارك وتعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

وفى الصباح استيقظ المشركون المتربصون فهاجموا الدار النبوية فلم يجدوا الرسول صلى الله عليه وسلم . فجزعوا جزعا شديدا وتحققوا خروجه . وشق عليهم الأمر لتخوفهم من عواقبه . فنادوا فى القبائل : ألا من قتل محمدا أو أسره فله مائة ناقة : وبثوا قصاص الأثر فى كل وجه يتأملون فى أثر الأقدام فى الرمل . فعثر فريق منهم على أثر لأقدام أبى بكر . وفرحوا بهذا الاكتشاف . وأقبل فتيان قريش بعصيهم وسيوفهم وتتبعوا الأثر بكل دقة حتى أوصلهم إلى باب الغار — الذى فيه ثانى المختار . ولكن الواحد القهار — قد حجبت الرسول وصديقه من هؤلاء الطغمة . فوقفوا على باب الغار متحيرين وفى أمورهم متخبطين . لأن الله قد أنبت شجرة على باب الغـــار فسدته وحجبت باطن الغار — عن أعين الفجار . وأوحى الله إلى العنكبوت فنسجت خيوطها على جذوع تلك الشجرة . وألهم حمامتين فعششتا على بابه . حتى ظن المشركون أنه مهجور لم يدخله أحد : وانصرفت جموعهم : وصرفهم الله عن الغار : وخرج الرسول مع صاحبه حتى وصلوا إلى المدينة سالمين .

وأعز الله الاسلام وأعلى مناره بهذه الهجرة المباركة .

ولعظم شأنها جعلها الخليفة عمر بن الخطاب مبدأ لتاريخ الاسلام تؤرخ به السنون العربية إلى يومنا هذا .

إن يوم الهجرة يوم عظيم من أيام الله يطالعنا فى كل عام فيذكرنا

بالجهاد الحق فى سبيل الله يذكرنا بافتداء العقيدة بالنفس والأهل والمال والولد . يذكرنا برجال خرجوا عن ديارهم لله . يبغون الحرية — وينشدون فى أرض الله الواسعة العزة والكرامة يذكرنا كيف يقذف الله الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . وينتصر الصلاح على الفساد والحرية على الاستعباد . يذكرنا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه . أوذوا فى سبيل الله فصبروا . فتنهم المشركون عن دينهم فلانوا . إفتن أهل الجبت والطاغوت فى تعذيبهم وإيذائهم فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .

يذكرنا هذا اليوم الكريم بتلك المدينة الفاضلة التى أقامها المسلمون على أساس من دينهم . وهدى نبيهم — يوم أن كانوا قادة الامم وفى جميع شئون الحياة مضرب المثل .

وفى الحق أن فى الشريعة الإسلامية العلاج الناجع والدواء الشافى من مشاكل الحياة ، فيها تهذيب النفوس وتأليف القلوب وقضاء على الأمراض الاجتماعية .

فيها ما يحقق الامن وينشر ألوية السلام فى مشارق الأرض ومغاربها .

أيها المسلمون :

لنأخذ العبرة من حادث الهجرة . فنتواصى بالحق — ونتواصى بالصبر . ونتفانى فى نصرة المثل العليا والمبادىء القويمة . ونتعاون على البر والتقوى ، وندعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . ولنتخذ من رسولنا الأعظم وسلفنا الصالح القدوة الطيبة ، والمثل

الكريم فى نصرة الحق وأهله . وإعلاء كلمة الله (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

وفق الله الأمة الإسلامية إلى ما فيه صلاحها . ورفع شأنها . إنه قوى عزيز .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« لغدوة (١) فى سبيل الله أو روحة (٢) خير من الدنيا وما فيها » .
(الحديث)

ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ، أو يرده بها عن ردى .

الأخوة الصادقة وكيف تكون

قال الله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم) .

. . . مما يرفع العبد عند الله درجات . ويكون سبباً فى نزوله

---

(١) الغدوة : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس . ا هـ مختار الصحاح ص ٤٩٥ الطبعة الأولى — سنة ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م

(٢) الروح : بالفتح من الاستراحة .

الرحمات ، اتخاذ إخوان فى الله يتعاون معهم على نصرة الدين ، ويعمل معهم على إصلاح شئون إخوانه المسلمين ، لأن صحبة الأخيار يورث الخير — وصحبة الأشرار تورث الشر . ومتى علمت أيها المسلم ذلك فلا تصاحب إلا رجلا تنتفع به . أو تستفيد منه . أو ترجو بركة دعائه

ولقد أحسن الذى قال : إن الأخ الصالح خير لك من نفسك . لأن النفس أمارة بالسوء ، والأخ لا يأمر إلا بخير . والصديق المرافق — خير من الشقيق المنافق ، وفى الأمثال العربية : « رب أخ لك لم تلده أمك ، ومدح أعرابى صديقاً فقال : مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ، ومؤاخاته كريمة ، فإذا ظفرت بصديق كانت محاسنه أكثر من مساويه رزقك الله ودا منه فتمسك به وإذا هفا صديقك هفوة فاغتفر له هفوته لتكون ذا ود صحيح ، وقلب مستريح : وغض الطرف عن عيبه — ولا تعاتبه فى كل وقت عما صدر منه لك فقد قيل : من صحت مودته ، احتملت جفوته ، ومن عاتب فى كل وقت أخاه — جدير أن يمله ويقلاه .

وقال ابن سيرين : إذا بلغك عن صديقك ما تكرهه فالتمس له عذرا فإن لم تجد فقل : لعل له عذراً وأنت تلوم .

وقالت امرأة يحيى بن طلحة له : أما ترى أصحابك إن أيسرت لزموك وإن أعسرت تركوك ؟ فقال لها : هذا — والله — من كرمهم ، يأتوننا فى حال القوة منا على الإحسان لهم ، ويتركوننا فى حال الضعف عنهم ،

ها نحن قد بينا لك حدود الأخوة ، ووضعنا لك الصاحب الصادق

فإن لم تجده فلا تصاحب إلا نفسك . والزم بيتك . ولا تخالط الناس إلا بقدر الضرورة . وإن أردت الصاحب فالله يكفيك . وإن أردت الرفيق فرفيقاق رقيباك . وإن أردت أنيسا فالقرآن يؤنسك . وإن أردت واعظا فاذكر الموت يعظك . واعلم أن نسيان الموت ضلال مبين . وإن أكثر الناس لا خير فيهم . وأنه لا بد منهم . فإذا عرفت ذلك فعاملهم بمقتضى هذه المعرفة .

فقد ورد : « ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا بد له من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا » .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى التآخي والمحبة . والألفة والمودة . إنه سميع مجيب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء . يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله تعالى » قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها . فوالله إن وجوههم لنور . وإنهم لعلى منابر من نور . ولا يخافون إذا خاف الناس . ولا يحزنون إذا حزن الناس » . ثم تلا هذه الآية : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) .

الاخلاص (١)

قال الله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء(١) . ويقيموا الصلاة ويؤتون الزكاة وذلك دين القيمة(٢)).

... الإخلاص : هو إحسان العمل فى السر — كإحسانه فى العلن قياما بالواجب وإرضاء لله والضمير .

وهو خلق إسلامى كريم ، له مقداره عند الله وآثاره فى الناس :

أما قدرة عند الله فيه يتقبل الله الأعمال ويرتضيها . وبه ينظر إليها ويزكيها فالله لايقبل من الأعمال إلا ماكان خالصاً وابتغى الفاعل به وجه الله سبحانه وتعالى .

يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » .

وأما آثاره فى الناس ، فمن أخلص فى النية — وراقبه فى السر والعلانية . يسر الله له الأمور ، ودفع عنه الشرور ، وأعطاه مناه — وفاز برضاه ، وعاش نقى القلب طاهر الطوية . سليم السريرة والنية .

وناهيكم بأن الإخلاص سبب من أسباب النصر على الأعداء . يدل على ذلك قول الرسول ﷺ لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه

---

(١) أى مائلين عن العقائد الزائفة . يقال : حنف بكسر النون ، يحنف حنفا بفتحها أيضاً ، أى : مال عن الزيغ .

(٢) دين الملة القيمة ، أى وذلك هو الدين القويم .

ولما أراد أن يعلو على من دونه من الصحابة ، ويعتقد أن له فضلا عليهم : قال له : « ياسعد . إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وصلاتهم » .

والتاريخ أكبر شاهد على ذلك . وأمامنا ما أصاب المسلمين يوم غزوة الخندق وقد أحاط بهم الكفار من داخل المدينة وخارجها . وجاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى بلغت القلوب الحناجر . وكانوا فى أحرج موقف. ولكن الله تعالى ثبتهم فى ذلك اليوم بإخلاصهم فجاهدوا فى الله حق جهاده . وبذلوا أرواحهم رخيصة فى سبيل الله ، فكتب الله لهم النصر المبين ، وأثنى عليهم وعلى إخلاصهم . فقال تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فمنهم من قضى نحبه. ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

كذلك الاخلاص يفرج الكروب ، ويخلص من الشدائد . ويفتح أمام من تمسك به مغاليق الأمور .

فهذا سيدنا يوسف عليه السلام . وقد راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب. وأملت عليه إرادتها وهو وحيد غريب . ولكن الله تعالى نجاه من كيدها . وحفظه من شرها . وصرف عنه السوء والفحشاء لأنه مخلص .قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) .

والاخلاص سبب فى النجاح والسعادة فى الدنيا والآخرة .

ويدلكم على ذلك ماقاله عبد الله بن دينار رضى الله عنه حيث قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه نريد مكة ، فنزلنا ليلا فى بعض الطريق طلبا للراحة ، فانحدر علينا راع من الجبل . فقال له عمر :

يعنى شاة : فقال . إنها لسيدى وانا مملوك . فقال له عمر - ممتحنا له - قل لسيدك أكلها الذئب . فقال له الراعى : وأين الله ؟ فبكى عمر . وفى الصباح ذهب فاشترى هذا الغلام وأعتقه . وقال له . لقد أعتقك الصدق فى الدنيا ، وأرجو أن يعتقك فى الآخرة .

والإخلاص سبب من أسباب إجابة الدعاء وقضاء الحاجات . فقد ورد أن رجلا سأل الله تعـــالى أيام موسى عليه السلام فلم يجبه الله تعالى . وألح فى السؤال فلم يلتفت الله إليه . فابتهل سيدنا موسى إلى الله تعالى . أن يبين له حقيقة الامر ، وسر عدم الإجابة .

فأوحى الله أليه :(أن يا موسى انه يدعو وقلبه عند غنمه) ولا غرابة فى ذلك فالعمل من غير اخلاص وبال . وعاقبته الخسران والنكال .

والقد ضرب المسلمون الاولون المثل الاعلى التمسك بالإخلاص فى سرائهم وضرائهم . وفى يسرهم وعسرهم . وفى خوفهم ورجائهم. فغيروا مجرى التاريخ ــ وحولوا سيرة الوجود. ودانت لهم الممالك. وأصبحوا سادة العالم . وحكام الدنيا ، واستخلفهم الله فى الأرض . ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم .

ومن يوم أن ترك المسلمون الاخلاص - ضعف فيهم حب التضحية وفقدوا الصدق فى القول والعمل ، وسدت فى وجوههم سبل السعادة وأوصدت أمامهم أبواب الخير . ووقعوا فيما يرهبون . وحرموا كل ما يرغبون ، وأصبحوا بعيدين عن مطالبهم الروحية - من راحة البال وهدوء الخاطر - وسكون النفس .
ولا سبيل لصلاح حالهم . إلا برجوعهم الى الاخلاص كما كان سلفهم

ونكتفي الآن بما ذكرناه ، ونعدكم بإتمام هذا الموضوع في الجمعة المقبلة ان شاء الله .

ونسأله تعالى أن يرزقنا الاخلاص في السر والعلن وأن يطهر قلوبنا وصدورنا من الرياء والنفاق ، وأن يجنبنا موارد الهلكة ، وأن يشرح صدورنا لقبول الهدى وأن يهيء لنا من أمرنا رشدا .

روى الحاكم وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال ، « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله راض عنه »

الاخلاص (٢)

قال الله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة) .

قد تكلمت لكم في الجمعة الماضية على فضيـــلة الاخلاص ، ومقداره عند الله ، وآثاره في الناس ، وأنه سبب من أسباب النصر على الأعداء ، وقضاء الحاجات وإجابة الدعاء ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، كما انه يفرج المكروب ، ويخلص من الشدائد ، ويفتح أمام من تمسك به مغاليق الأمور ، وضربت لكم الأمثال في ذلك ، وفي هذا اليوم - ان شاء - الله سأتمم لكم الكلام على هذا الموضوع ، فأقول وبالله التوفيق :

نحن مأمورون بالإخلاص فى كل شىء حتى نستحق رضاء الله تعالى وننال ثواب أعمالنا . لأن رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصـــا وابتغى به وجهه » . نحن مطالبون بالاخلاص فى العبادة .

فيجب على المصلى منا - حين يقوم فى صلاته - أن يوجه قلبه إلى خالقه . طالباً مغفرته ، مناجيا له فى دعائه وقراءته . منظفا قلبه من كل وسواس ، مطهراً نفسه من كل رجس .

يجب علينا - حين نهم بطاعة أو عبادة - أن يكون مقصدنا الأهم إرضاء الله واتباع سنة رسوله . فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أما أن يقف المصلى فى صلاته منصرف القلب موزع النفس - متذكراً كل شىء إلا الله فهذا هو الرياء بعينه والعياذ بالله فى جميع العبادات .

يجب على المزكى والمتصدق أن يقصد بإنفاق المال إعانة المحتاج التوسعة على الفقير ومواساته . لأن بهذا ، أمر الله ، وفيه طاعة الله . أما أن يقصد الرجل من زكاته أمراً من متاع الدنيا فهذا هو الرياء لأن العمل الخالى من الإخلاص - كما ذكرنا - نفاق ورياء . كما أن الحياة مع الجهل ، تعاسة وشقاء .

لقد كبرت العبادة على كثير من الناس . وثقلت الطاعة عليهم فلا يعبدون ربهم إلا أمام الخلق ووسط الناس .

فإذا انفردوا وحدهم بالعصيان والجحود . وطاعة الشيطان والقعود .

(يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) :

لقد صلى المسلم تظاهرا . وتصدق تفاخرا . وصام رمضان خوفا من الانتقاد . وحج البيت ليتعاظم ويتفاخر به على العباد . واتخذ هيئة الصلاح ليتسلط على عقول البسطاء . وأعلن عن نفسه ، وطنطن بعمله - ليمدحه الخلق ويعظمه العبيد - وهو في - الحقيقة - عند الخالق سبحانه وتعالى في مقت شديد .

لجاءت عبادته هيكلا بلا روح ، ميتة لا حياة لها : وكانت طاعته رياء لا جزاء له ، بل نفاقا سيعاقب عليه ، وكان عمله خاويا أجوف فارغا .

ليست العبرة بعدد ما يصلي المسلم من ركعات ، ولا بعدد الأوراد والتسبيحات ، ولا بكثرة الصوم والتزام الأشكال والهيئات
بل العبرة بأثر العبادة في أخلاقه ومعاملاته :

قال علي كرم الله وجهه : لا تهتموا لكثرة العمل ، واهتموا للقبول ، فإن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل : « أخلص العمل يجزك منه القليل » .

« فإخلاص العبادة لله ، أن يكون ظاهرك كباطنك . وسرك كعلانيتك ، وأن تخشى الله بالغيب . وتراقبه في كل شيء .

فلو تذوقنا هذا الإخلاص . لطهرت سرائرنا . واستقامت أمورنا . وقبلت أعمالنا . ولعبدنا الله تعالى كما عبده نبينا .

أيها المسلمون : قلما يخلو عمل لنا من غرض . فالأغراض ملازمة لنا وهي كثيرة متعددة . مختلفة متشعبة : وكلها بعيدة عن الإخلاص إلا غرض الانقياد لله ، دون سواه : فإذا هممت - أيها المسلم - بعمل . أو شرعت في عبادة . أو قمت للصلاة . فاسأل نفسك عن الباعث لك

على عملك ، وعن قصدك منه وعن غايتك . فان العمل الواحد يختلف باختلاف الأسباب والدوافع . فقد يكون خيراً وقد يكون شراً . العمل الواحد قد يجلب لك نفعا وقد يجر عليك ضررا . فالعبادة خير وشر . والصلاة خير وشر . والصدقة خير وشر .

العبادة خير إن كانت خالصة لله . والعبادة شر إن كانت للتضليل والمباهاة : والصلاة خير إن صحبها خشوع ونهت عن الفحشاء والمنكر . وأداها المصلي على حسب حقها المطلوب ، ووجهها المرغوب : والصلاة شر إذا كانت الرياء والسمعة ، ومردودة على فاعلها ولا ثواب له عليها فالمسلمون يقفون للصلاة صفوفا ، منهم المقبول لتقواه ، ومنهم المردود والمطرود لاتباع هواه ، وخبث نواياه . المسلمون والمنافقون يصلون ويصومون . ويتصدقون ويتعبدون . ولقد كان المنافق يصلي خلف الرسول وسط صحابته يعمل كما يعملون . فالعمل واحـــد . ولكن اختلف الثواب بحسب النية وصدقها . واختلف الجزاء وفق الغاية وحسنها . اتحد العمل ، والمميز الاخلاص : والصدقة خير إن كانت لوجه الله ، وهي شر إن قصد بها التظاهر أمام الخلق :

فالله جل شأنه ضرب مثلا في كتابه الكريم لمن ينفق ماله رئاء الناس . ومثلا لمن ينفق ماله في سبيل الله .

واعلم أيها المسلم أن الناس لهم عليك إخلاص هو إخلاص المعاملة وهو موضوع الخطابة إن شاء الله في الجمعة المقبلة .

الحديث : من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له : الخ

الاخلاص (٣)

قال الله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء : ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

. . . قد تكلمت لك فى الجمعة الماضية على الاخلاص فى العبادة لله سبحانه وتعالى . وسأتكلم فى هذا اليوم على الاخلاص مع الناس فى المعاملة . وعلى إخلاص المرء مع نفسه . فأقول:

الناس لهم عليك إخلاص المعاملة . فلك بهم روابط وصلات . من زمالة وجوار وصحبة . ونسب . فإن لم تصدقهم فى المعاشرة وتخلص لهم فى المعاملة . تعبت وأتعبتهم ، وشقيت وأشقيتهم :

فلن توجد السعادة إلا إذا وجدت الأمانة والثقة والاطمئنان من إخلاص القلوب وسلامة الصدور .

ولن يكون الشقاء إلا من خرائب الذمم . وانحطاط الهمم . واتباع الهوى . والتلون . والغش . والخداع . والمكر الذى صار عنوانا خاصاً بهذا العصر . ووصفا لاصقا قلما يخلو منه إنسان .

داء تمكن . ومرض استحكم . ونفوس رضعت الخبث صغيرة . فترعرعت فيه كبيرة . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أيها المسلمون : نحن مطالبون بالإخلاص فى الصداقة . والزمالة والعشرة والشركة . والجوار . فيجب على المسلم - حين يصادق المسلم أو يزامله أو يشاركه أو يجاوره — أن يكون له كالمرآة الصافية

يرى فيها عيوب نفسه فيصلحها ، ومحاسن نفسه فيتمسك بها .

يجب أن يكون المسلم لصديقه المسلم كاليدين تغسل إحداهما الاخرى وتزيل ما عليها من قذى . بحيث يكون له سترا يقيه حر الايام وبردها . وبلسما يداوى به جراح الحياة وآلامها ، وعونا يدفع به بؤس الحياة وشقاءها . لان رسول الله ﷺ يقول :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذه هى الصحبة التى تتفق مع الدين . هذه هى الصداقة التى تتفق مع المروءة .

اما أن يصادق الرجل الرجل ويماشيه . ويؤاكله . ويشاربه . ثم ينال منه فى غيبته . أو يلمزه فى عرضه . أو يطعنه فى مروءته . فهذا هو النفاق بعينه ، وهذه هى النذالة ولؤم الطبع .

ومن يفعل ذلك فهو ذو اللسانين الذى يقول فيه رسول الله ﷺ :

« من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار » .

نحن مطالبون الاخلاص فى العمل ، فيجب على كل ذى صنعة وصاحب عمل أن يكون فيه مجداً وله متقنا وعلى نفسه رقيبا . حتى يطيب كسبه . ويحل له أجره ، وتنتظم أمور الحياة وتقضى مصالح العباد .

اما أن يغش الصانع فى صنعته . ويهمل الرجل فى عمله . فهذا هو السوء كل السوء . والشر كل الشر : لان رسول الله ﷺ يقول : « من غشنا فليس منا » والمكر والخديعة فى النار » يعنى أن صاحب المكر والخديعة والخيانة ، جزاؤه النار ، وبئس القرار .

فما أشد حاجة المجتمع إلى إخلاص الناس فى أعمالهم ، ومراقبة الله وحده فى سلوكهم ، ليتجنب التاجر الغش والخداع . ويقبل العامل على عمله فى جد ونشاط بدافع من ضميره ووازع من إحساسه .

ومتى عرفت أيها المسلم الاخلاص فى العبادة ، والاخلاص مع الناس ، فلا تنس إخلاصك مع نفسك . فراقب ربك فيها بالتهذيب والمجاهدة . وحاسب نفسك قبل أن تحاسب .وإياك أن تنقاد لشهواتها ورغباتها : وذكرها بالموت . والقبر : والبعث والنشور . والحساب . ذكرها بالوقوف بين يدى أحكم الحاكمين ، ذكرها بأنها لا تدرى مصيرها ، إلى الجنة للنعيم والتكريم . أم إلى نار الجحيم . للعذاب الأليم .

(يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم * إن هذه تذكرة * فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا)

الحديث : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة — فارقها والله راض عنه » .

مخالفة كثير من المسلمين

لتعاليم الدين

قال الله تعالى : (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون) .

..... أمركم عجيب . وشأنكم غريب . لأنكم تزخرفون أقوالكم لبعضكم وصدوركم مملوءة بالحقد مغمورة بالحسد : تقودكم إلى الرذائل وتبعدكم عن الفضائل . وهذا عمل لا يرضى رب العالمين . لأنكم تستهزئون بالدين . وتعادون المصلحين . لقد أصبحت القلوب معتلة والرءوس مختلة . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الدين أحكامه واضحة ، وحالة المسلمين سيئة فاضحة .

أفيكفى عند الله أنهم إلى الاسلام منتسبون ، والله إن الاسلام برىء ممن ينتسب إليه ولا يعمل بأحكامه ، والله إن الاسلام ليبكى على رجاله وأيامه . عملت الافرنج بتعاليمه ونحن لها تاركون .

عليك الصلاة والسلام ياسيدى يا رسول الله ، علمنا أنك قلت : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا لا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا) فمن منا عمل بقولك هذا يارسول الله ؟ مانحن أولاء قد عمت الكراهية وفشت البغضاء بيننا . وأصبح الواحد منا يسعى فى ضرر أخيه ، ويؤذيه بيده وفيه ، وزاد الحقد ، وعم الحسد ، وصار السعى إلى الانتقام من ألذ الأعمال . وكل ذلك من أسباب التدهور والاسراع إلى الفناء ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عليك الصلاة والسلام يا سيدى يارسول الله ، علمنا أنك قلت : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فمن منا عمل بقولك هذا يارسول الله ، نحن إذا نظرنا بين أهل البلد الواحد لم نجد توادداً ولا تراحما ولا إخلاصا بل نجد أنهم يكيد بعضهم لبعض . ويفرح بعضهم لمصيبة بعض . ويتربص بعضهم ببعض الدوائر .

ولاشك أن هذه الصفات الذميمة تخرجهم من حظيرة الايمان ، وتجعلهم من حزب الشيطان . وغاب عن أذهانهم وأفكارهم أن من أغراض الدين الاسلامي الحنيف أن تكون أفراد هذه الامة كأفراد الأسرة الواحدة يحب بعضهم بعضا . والتسامح شعارهم . والمودة رابطتهم ، كما ورد ذلك في الأحاديث الشريفة .

عليك الصلاة والسلام يا سيدي يا رسول الله . علمنا انك قلت : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

فهل منا مسلم حقا يارسول الله ؟ هانحن أولاء أصبحنا بين صنفين يركب جواد الشرور وكثير يتلذذ بالغيبة والنميمة ويتفنن في إيذاء المسلمين وفي قول الزور عمل الزور .

عليك الصلاة والسلام ياسيدي يارسول الله علمنا أنك قلت : « آية المنافق ثلاث . إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » . وها نحن أولاء لا يخلو لنا حديث من الكذب .

وكم أخلفنا وعوداً . ونقضنا عهوداً ، وكم سللنا سيف الخيانة ، وقطعنا أوصال الامانة .

عليك الصلاة والسلام ياسيدي يارسول الله . علمنا أنك قلت : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وها نحن أولاء بعضنا لبعض عدو : ها نحن أولاء أصبحنا بين حسود لا يرضيه إلا زوال نعمة أخيه ، وبين حلاف مهين . مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم .

عليك الصلاة والسلام ياسيدي يارسول الله . علمنا أنك قلت : (إن أهون أهل النار عذابا رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما

دماغـــه كما يغلى المرجل بالقمقم) . أخمص القـدمين : باطنهما . والمرجل القدر . والقمقم : تصوير له - فمن منا خاف من عذاب النار يارسول الله ، ما نحن أولاء قد نبذ كثير منا تعاليم ديننا . وخالفنا خالقنا ورازقنا الملك الجبار ، الواحد القهار ، حتى ساءت الأحوال . وعم الوبال .

عليك الصلاة والسلام يا سيدى يا رسول الله . علمنا أنك قلت : (إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد . ولا يبغى أحد على أحد) . وقلت : (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) . وقلت : اتقوا الظلم . فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) . وقلت : (من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام) .

وقلت : (من أعان على خصومة بظلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع) .

فمن منا عمل بأقوالك هذه يارسول الله ، ما نحن أولاء قد صار الكبر والخيلاء والعجب بيننا من الأمور العادية . وقول الباطل والرياء ونصرة الظالم على المظلوم عندنا مرضية . وكل واحد منا يعمل أعمالا لا يرتضيها العاقلون . ويدعى التمسك بالشريعة الاسلامية ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

عليك الصلاة والسلام يا سيدى يارسول الله : متى تهتدى أمتك بهدايتك ، ومتى تتمسك بسنتك ! هذا ما نرجوه فى القريب العاجل أن يكون ، ولكن لله فى خلقه شئون .

فاتقوا الله عباد الله . واعلموا أن لكم موقفا عظيما بين يدى الله .

يوم ينظر المرء ما قدمت يداه . فأحسنوا العمل لتنجوا من العقاب وتفوزوا بعظيم الثواب . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون .

قال رسول الله ﷺ : البر لايبلى . والذنب لاينسى . والديان لايموت . اعمل ماشئت . كما تدين تدان .

الرحمـــة وآثارها (١)

قال الله تعالى : (ورحمـــتي وسعت كل شيء . فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي)

. . . الله جل جـــلاله له أسماء كثيرة ، وصفات عظيمة منها الرحمن والرحيم . فهو جل شأنه صاحب الرحمة الواسعة التي تسع التائبين - من المذنبين والكافرين : فيمحو الله عنهم برحمته مااقترفوه من سيئات - وارتكبوه من جرائم ومحرمات ، وتسع الانسان والحيوان والدواب . فيسخر لهم برحمته من وسائل الرزق وأسباب الحياة مالولاه لهلكوا ، كالماء ، والهـــواء . والنبات والشمس . والقمر والحر ، والبرد ، ، وتسع العصاة الذين يفسدون في الأرض إلى أجل ما - حتى يكون لهم الوقت الكافي لمراجعة أنفسهم - والكف عن عصيانهم ، وتسع كل شيء في هذا الوجـــود ، كما قال جل شأنه في الآية المتقدمة : « ورحمتي وسعت كل شيء » .

فرحمة الله الواسعة التى عمت الطائع والعاصى تكون فى هذه الدنيا فقط ، فهو يرزق الجميع ، ويمدهم بالحياة وأسباب النعيم . أما فى الآخرة فإن رحمته لمن آمن وعمل صالحاً ، فلا تفعلوا الذنوب وتقولوا : « رحمة الله واسعة . إن الله غفور رحيم » فإن الله تعالى كما اتسعت رحمته . عظمت نقمته . مصداقا لقوله تعالى : « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم • وأن عذابى هو العذاب الأليم » .

إذن : لا يطمع فى رحمة الله من كان قلبه بعيدا عن الإيمان . بعيداً عن تقوى الديان . لا يطمع فى رحمة الله من لم يصدق بالقرآن . ومن لم يعمل بآيات الرحمن . لا يطمع فى رحمة الله — من لم يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه — وفى أعماله : فهؤلاء لا نصيب لهم من الرحمة . وليس هذا كلاما أقوله من عندى — ولا أحكيه من تلقاء نفسى فهذا كتاب الله يقول بلسان عربى مبين : « ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون — ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبى الأمى » :

والدين الإسلامى هو دين الرحمة والشفقة والسعادة والهناءة فى الدنيا والآخرة : بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم : والناس من الجاهلية فى ظلمات بعضها فوق بعض : فمن قتل للأولاد . خشية الإملاق والفقر — إلى وأد للبنات خوف العار — إلى فحش فى الأعمال . وبذاءة فى الأقوال : فدماء تهدر وحرمات تنتهك . كل ذلك فى وحشية وجهالة ، واعتزاز بالتقاليد الموروثة ، وهى عين الضلال .

تلمسون ذلك واضحاً جلياً فى تاريخ العرب قبل الإسلام .
هذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه : أنظروا إليه

إذ جلس إلى النبي ﷺ يوما فأخذ يبكي من البكاء ثم لم تلبث حاله أن تبدلت إلى فرح وسرور وهو جالس أمام الرسول لم يبرح مكانه .
فسأله الرسول وقال له يا عمر . ما الذى أبكاك ثم ما الذى أضحكك ؟
قال : يارسول الله تذكرت الآن وأنا بمجلسك هذا حادثة فعلتها في الجاهلية قبل أن يشع نور الإسلام في الكون فبكيت من فعلها ثم نظرت إلى حالى الآن فتبدل البكاء فرحا وبشرا ، قال النبي وكيف ذلك ؟
قال : يا رسول الله ، كنا في الجاهلية نئد بناتنا فندفنهن أحياء خشية العار . وكانت لى بنت اعتزمت أن أفعل بها كما يفعلون وادآ وإهلاكا . فأخذتها إلى الجبل واحتفرت لها حفرة وأنزلتها فيها وهى تبكى وتستغيث ، وقلبي لا يكاد يلين كأنه قد من حجر . وبينما أنا أهيل التراب عليها لأدفنها وهى حية . إذ ببعض التراب أصاب لحيتى . فمدت البنت يدها وهى في الحفرة لتذهب التراب عن لحيتى . ومع ذلك لم تأخذنى فيها شفقة ولا ورحمة : وأكملت دفنها ، ورجعت إلى بيتى . فالآن يا رسول الله وقد تذكرت ذلك غلبنى البكاء فكان ما رأيت . ثم نظرت إلى حالى الآن وقد شرح الله صدرى للاسلام وهدانى إلى نوره . وانتشلنى من تلك الجهالة العمياء — إلى ذلك النبراس الوضاء — حيث الدين وحيث سماحته وفضله — وحيث جلاله ومجده فتبدل البكاء فرحاً وبشراً .

انظروا إلى هذا أيها الإخوان . ثم انظروا إلى عمر نفسه بعد أن أصبح أميراً للمؤمنين في خلافته إذ دخل عليه أحد ولاته فوجد عمر مستلقياً على ظهره ، وأولاده يلعبون على صدره فرحين مستبشرين . فقال الوالى : ما هذا يا عمر ؟ أتكون أمير المؤمنين

وتفعل مثل ذلك ؟ فقال عمر : وما تفعل أنت بأولادك ؟ قال : أنا إذا دخلت عليهم البيت خافوا ووجلوا . فقال عمر : وأنت وال على المسلمين !!

يا هـذا : من لم يرفق بأولاده لا يرفق بالرعية ، وعزله عمر عن عمله .

وازنوا أيها الاخوان بين حالى عمر فى جاهليته وإسلامه تروا كيف بدلت الغلظة رحمة ، وانقلبت القسوة إشفاقا ، فعمر الذى يدفن بنته حية فى الجاهلية — هو عمر الذى يداعب أولاده ويحنو عليهم ويرق لهم . لا . بل ويعزل عن عمله من يلومه فى ذلك .

ذلكم — أيها الاخوان — هو الاسلام . وهذه هى هداية الاسلام وتلك هى ثقافة الاسلام : هدى ورحمة وسماحة وإشفاق . وارتباط وتساند . وآزر وتعاطف .

تلك شيمة الاسلام من يوم أن بعث به سيد الخلق ، الرسول الحق . محمد صلى الله عليه وسلم

هذا مثل من أمثال الدين الاسلامى فى الشفقة والرحمة . قد ذكرته لكم لتعلموا أن دين الاسلام هو الدين الذى ألان القلوب القاسية . وأنار الأفئدة المظلمة . وأنه هو دين الرحمة والشفقة والانسانية الكاملة .

ولذلك كان هو صاحب هذه المزايا وغيرها ، وكان هو الدين الذى رضيه الله لعباده ولا يقبل سواه . مصداقا لقول الله تبارك وتعالى :

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

الحديث : « ارحموا ترحموا . واغفروا يغفر لكم . ويل لأقماع القول (١) . ويل للمصرين الذين يصرون على مافعلوا وهم يعلمون » (٢) .

الرحمة وآثارها (٢)

قال الله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

... الرحمة سر إلهى أودعه الله تعالى فى قلوب عباده . يدفعهم إلى عمل الخير . وينهاهم عن الغلظة والقسوة .

وقد خلق الله الناس وحثهم على رحمة بعضهم بعضاً لتدوم بينهم الألفة والمحبة . وجعل قسوة القلب من علامات الشقاء والحرمان . يدلكم على ذلك قول الرسول الكريم ﷺ : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى » .

وإنكم لترون الرحمة فى كل ناحية من نواحى الحياة .

فرحمتك بنفسك : أن تبعدها عما يضرها فى دنياها وأخراها .

---

(١) أى شدة وهلاك وخسر لأولئك الذين لا يعون الحكمة وسمعهم كالقمع والقمع كما تعلمون تنفذ منه السوائل ولا يحفظها .

(٢) وويل كذلك لأولئك الذين يصرون على الذنوب والرذائل ضلالا وغواية وعناداً . وهم يعلمون مع ذلك أنهم على مساوىء ومعاصى ورذائل مردية بهم وبسواهم .

فتبتعد بها عن الأخلاق الدنيئة ، والصفات الخسيسة ، حتى تحفظ كرامتها بين الناس . وأن تقوم بأداء ما كلفتك به الشريعة . وأن تنتهى عما نهاك الله عنه . وبذلك تفسح لنفسك طريقا بين الصالحين الذين أنعم الله عليهم ، وكفى بذلك سعادة ومصيرا :

أما رحمتك بأهلك وأبنائك فهى واجب حتم عليك كوجوب رحمتك بنفسك : وهى هنا أن تؤدب أهلك وولدك بآداب الدين الحنيف . وتدربهم بالمران على أداء ما كلف به المسلمون من صلاة وصوم وغير ذلك . وأن تغرس فيهم الأخلاق الفاضلة حتى لا يشبوا كذابين ولا مستهترين ، ولا عصاة طاغين.

وأمر الله تعالى بذلك صريح فى القرآن الكريم حيث يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة . عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » .

وإلى جانب هذا وذاك رحمتك بالضعفاء والبائسين ، فترجع عليهم بشىء من فضل ما آتاك الله ، صدقة وزلفى إلى الله : وتصور أنك لو كنت واحداً منهم لوددت أن يكون الناس كلهم لك أعوانا . وكن على يقين من أن ما تقدمه لهؤلاء يزيد فى ثروتك ولا ينقصها . والله تعالى يقول : « ويربى الصدقات » .

ولتتناول رحمتك فيما تتناوله عصاة الناس الظالمين لأنفسهم . فتبين لهم طريق الخير حتى يسلكوه . وطريق الشر حتى يتباعدوا عنه ويتركوه . عسى أن يكونوا من المهتدين .

فواجب على كل عاقل أن يتحلى بصفة الرحمة . ويستعملها فى كل

ما يعود على المجتمع الانسانى بالخير والفائدة .

أما القسوة ، التى هى ضد الرحمة ، فهى رذيلة من الرذائل التى لا تتفق مع الانسانية فى شىء . فإذا فقد التراحم بين الناس وحلت القسوة محله ، فقد فقد البر والصلة والاخلاص والمودة والمعروف والاحسان . وضاعت كل معالم الانسانية . وكثرت الجرائم والمشاكل وحل بالناس الشقاء والهلاك : من أجل ذلك ذم الله جل شأنه فريقا من الناس بالقسوة حينما نقضوا العهد والميثاق فقال : «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية» .

وبالجملة ففيك أيها المسلم من الانسانية على قدر ما فيك من الرحمة وعلى قدر ما فيك من القسوة يكون بعدك من الله تعالى والانسلاخ من الانسانية ، فاختر لنفسك ما يحلو ، «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» .

فليكن كل منا رحيما بالناس يعطف على ضعفائهم . ويشفق على اليتيم والمسكين منهم . لينال من الله تعالى الثواب الجزيل . ولكن ينبغى ألا تكون الرحمة سببا فى الخروج عن حدود الدين .

وعلى سبيل المثال أذكر لكم مثالين فى هذا المعنى : الأول فى الحاكم . والثانى : فى الشاهد .

يجب على الحاكم ، أن يقتص من الظالم . وأن يعاقب المجرم . فإذا دفعته رقة القلب إلى الاغضاء عن السارق مثلا أو عن أى مجرم أيا كانت جريمته ، فإنه يكون مذموما كل الذم ، جاهلا معنى الرحمة والشفقة : لأنه إذا رحم فردا بترك عقوبته فقد قسا على الجماعة وظلمهم ظلما مبينا ، لأن الجرائم تفشو بينهم بكثرة المجرمين الذين

لايخافون عقوبة ولايخشون قصاصا ، وبذلك تسود الفوضى ، وتتعرض الأمة بتمامها للفناء . ولهذا قال الله تعالى: «ولكم في القصاص حياة ياأولى الألباب».

وكذلك الشاهد الذى تذهب به رحمته إلى الشهادة بغير الحق . رحمة بمن إذا شهد عليه بالحق يفلس في تجارته ولا يجد قوت أولاده ، أو تضيع أرضه التى يعيش منها . فإن هذا يكون مذموما . لأن الله تعالى أمر بالشهادة على وجهها بقطع النظر عن فقير وغنى : لأنه هو وحده يتكفل بأمر الفقير ، وهو أولى به. فالشاهد إذا فتح باب الزور هدد النظام . وضاعت الحقوق . وكثرت الجرائم ، واضطرب أمر الناس . وذلك شر عام عظيم . لايعادله إفلاس فرد أو أفراد ، فالرحمة الممدوحة هى التى تكفه عن إيذاء الناس. وتدفعه إلى أن يؤدى ماعليه من الحقوق والواجبات ، سواء أكانت لله ، أو لعباد الله قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين(١) لله شهداء بالقسط(٢) ولا يجرمنكم(٣) شنآن قوم(٤) على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى . واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » (المائدة) وقال تعالى:

« ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى

---

(١) دائبين على القيام بحقوقه .
(٢) شهودا بالحق والعدل .
(٣) لايحملنكم .
(٤) شدة بغضكم لهم .

بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » . (النساء) .

أسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى العمل بأحكام الدين ، وأن يجعلنا من عباده المتقين .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من لا يرحم لا يرحم .

نفثة مصدور

قال الله تعالى في سورة الأنفال : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب » .

. . . سامحوني اليوم إذا وجدتم في كلامي بعض الشدة . فقد بح صوتي بالوعظ والإرشاد ولكن أكثر الناس من سوء أحوالهم لا يلتفتون : نحن في أيام من مات قبلها خير ممن وجد فيها أو وجد بعدها . والسعيد من عباد الله من انقضى أجله قبل أن يدركها . لأن المرء يدخل بيته فتنغصه زوجته والأولاد وإذا وقف على باب داره لا ترضيه أعمال جيرانه السوء كما هو المعتاد . وإن سار في الطريق لم يلقه إلا المنافقون والحساد . الذين يودون الأذى وإن كان للصديق ويميلون إلى الضرر وإن أصاب كبد الرفيق . فأهل هذا الزمان قد درسوا النفاق حتى أتقنوه . ومارسوا الخداع حتى أحسنوه .

من طال لسانه فى الباطل أكرموه . ومن طال لسانه فى الحق مقتوه وكرهوه .

أهل هذا الزمان عند داعى الدين يتفرقون . وعند داعى الشيطان يجتمعون . للموت غير ذاكرين — ومن وحشة القبر غير خائفين . يتصاحبون للمنافع الدنيوية . وينافقون للأغراض الشيطانية . يطيعون قليلا ويعصون كثيراً . ويعزمون على التوبة ليلا وتنحل عزيمتهم نهاراً ، ويصرون على مخالفة الدين إصراراً : أهل هذا الزمان إن فعلوا حسنة محوها بآلاف السيئات وإن هفوا هفوة أتبعوها بكثير من الهفوات . فهم ينظرون إلى حسناتهم ، ولا ينظرون إلى سيئاتهم . ويفتشون عن عيوب غيرهم ولا يلتفتون إلى عيوبهم .

لا أكون مبالغاً إذا قلت لكم : إن مخالطة الأنعام أو بعبارة أوضح إن مخالطة المواشى أسلم من مخالطتهم . لأن المواشى لا تمنعك لبنها . ولا تمتنع من أكل لحومها . ولا تأنف خدمتك إذا استخدمتها ولا تتعالى عليك إذا أخضعتها . بل إن بعض الكلاب قد يحمل لك من الود والوفاء ، مالا تحمله إخوتك الأشقاء . والله الذى لا إله إلا هو إن الثعابين لا تؤذيك كما يؤذيك أخوك الإنسان ، ولا تضرك كما يضرك معاشروك من الخلان والجيران ، ولئن كان السم فى فمها فإنها لا تؤذى إلا من آذاها . ولا تصوبه إلا لمن تعرض لها . أما أنت فإنك تحب الأذى ولو لمن أحسن إليك . وتميل إلى الضرر ولو لمن عطف عليك : وقصارى القول ، إن أهل هذا الزمان أنفاسهم سم . وأفعالهم ظلم . إلى الشر وثابون ومسارعون . وعن الخير معرضون . صم فى صورة

سامعين ، عمى فى صورة مبصرين ، شياطين على شكل الآدميين . منافقون فى صورة المخلصين ، غاشون على هيئة الناصحين .

أيها المسلمون . إذا كنتم لاتخافون إلا الأقوياء ، فليس أقوى من ربكم ، وإذا كنتم لا تمتثلون إلا لأوامر الحكام فالله جل جلاله هو الحاكم عليكم وعلى حكامكم . فياحسرة على العباد !! ما يأتيهم أمر من أوامر الله إلا هجروه . ولا تحذير من شيء إلا ارتكبوه ، ولو أنهم ذاقوا حلاوة الطاعة ما تركوها ، ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، وخير نصيحة لهؤلاء الناس الذين خالفت ظواهرهم بواطنهم ، وخبثت ضمائرهم وفسدت قلوبهم . أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً على مافرط منهم ، وأن يخلصوا النية ويحسنوا الطوية قبل أن تفجأهم المنية فإن الأمر ورب الكعبة شديد وإذا لم يكن لهم ضمير يؤنبهم على فعلهم هذا فإنى أقول لهم . اصنعوا ما شئتم . فالموت من ورائكم . والقبر فى انتظاركم ، والقيامة ، موعدكم والله سبحانه وتعالى هو الحاكم بينكم وبين عباده . وهو أحكم الحاكمين نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلات . وأن يوفقنا إلى الطاعات وأن يباعد بيننا وبين المعاصى والسيئات ، إنه على كل شيء قدير .

الحديث : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى — إذا لم تستح فاصنع ماشئت » .

نصيحتى لأهل بلدتى

قال الله تعالى : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما . ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه . وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة أو إثمـا ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا » (١١٢ .. النساء) .

. . . استحيوا من الله عز وجل بقدر قربه منكم . وخافوه بقدر قدرته عليكم : واعلموا أن من أبصر عيب نفسه ، اشتغل عن عيب غيره ومن رضى بما قسم الله له ، لم يحزن على مافاته : ومن نسى خطيئته ، استعظم خطيئة غيره . ومن هتك حجاب أخيه ـــ هتكت عورات بنيه ، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها . ومن أكثر من شىء عرف به . ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه . ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه . ومن مات قلبه يدخل النار .

إخوانى :

اعلموا أن زينة الفقر الصبر . وزينة الغنى الشكر . ولا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى . ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية .

إخوانى : من كذب لكم فلابد أن يكذب عليكم . ومن اغتاب عندكم غيركم ، فلابد أن يغتابكم عند الناس .

فافهموا ذلك . واعلموا أن من نطق فى غير خير فقد لغا ، ومن نظر فى غير اعتبار فقد سها . ومن سكت فى غير فكر فقد لها .

فهنيئا لمن شغله عيبه عن عيوب الناس . هنيئا لمن لزم بيته وابتعد عن الفتن . هنيئا لمن اشتغل بطاعته ، وبكى على خطيئته . فكان من نفسه فى شغل ، والناس منه فى راحة .

إخوانى : والله الذى لا إله إلا هو ليس لجسادكم الرقيق صبر على النار .

فارحموا أنفسكم . فإنكم قد جربتموها فى مصائب الدنيا ، أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه . وأفرأيتم جزع أحدكم من العثرة تدميه(١) : !! أفرأيتم جزع أحدكم من الرمضاء(٢) تحرقه !! فكيف إذا كان بين طابقين من نار .

والله الذى لا إله إلا هو لو أن ذنوبا (٣) من النار صب ووضع على الأرض لأحرقها .

فكيف بمن يتجرعه ! والله الذى لا إله إلا هو . لو أن ثوبا من النار وضع على الأرض لأحرقها . فكيف بمن يتقمصه !. والله الذى لا إله إلا هو . لو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب واندك فى الأرض . فكيف بمن يتسلسل بها ويرد ما بقى منها على عاتقه ! فاللهم أجرنا منها يوم الفزع الأكبر . إنك على كل شىء قدير .

---

(١) تلوثه بالدم . (٢) الرمضاء : الأرض الحارة الحامية .
(٣) الذنوب : الدلو الملأى ماء ، تؤنث وتذكر . وقال ابن السكيت : التى فيها ماء قريب من الملء . . ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب .

إخواني :

الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أجل أعمالكم . الدنيا ساعة فاجعلوها طاعة ، واعملوا لآخرتكم في الأيام التي تسير ، كأنها تطير ، وحاسبوا أنفسكم حسابا يسيرا ، قبل يحاسبكم الله عز وجل حساباً عسيراً ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

« وأن ليس للانسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى » .

وفقنا الله تعالى إلى العمل بكتاب الله . وسنة رسول الله . وهدانا جميعاً إلى الصراط المستقيم .

قال رسول الله ﷺ « اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها . واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها . واعمل للنار بقدر صبرك عليها . واعمل لله بقدر حاجتك إليه » .

حسن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى في معرض المدح لرسوله الكريم : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

. . . قد هل هلال شهر ربيع الأول . شهر ميلاد النبي المرسل الذي أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً

منيرا ، ولهذه المناسبة رأيت أن أتكلم لكم فى هذا اليوم على صفة واحدة من أخلاق الرسول ﷺ ، ألا وهى حسن خلقه عليه الصلاة والسلام ، ولنأخذ من مكارم أخلاقه درساً عاليا نهتدى به فى حياتنا الخاصة ، وحياتنا العامة : « إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت . وماتوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

« لقد دل تاريخ البشرية فى جميع مراحلها على أن السعادة مقترنة بحسن الخلق ، وأن الشقاء والضعف والذل نتيجة لضعف النفوس وانحلال الأخلاق . لقد دل تاريخ البشرية على ذلك ودلت التجارب على أن صاحب الأخلاق المرضية ، هو أفضل الناس وخيرهم عند الله تبارك وتعالى : وأن شر الناس إنما هو ذلك الذى تسوء أخلاقه وتخبث فى معاشرة الناس نفسه .

وما الخلق الحسن إلا الاتصاف بمكارم الأخلاق ، والتحلى بالفضائل النفسية والكمالات الإنسانية .

كان رسول الله ﷺ المثل الكامل فى حسن الخلق وإليكم حكاية حال فى هذا الباب ، فيها عظة وذكرى لأولى الألباب .

« روى أن زيد بن حارثة عبد خديجة رضى الله عنها كان متعلقا بالنبى ﷺ تعليقا شديداً لما كان يشعر به من عطف عليه وحب له ، حتى أنه آثر البقاء بمكة على أن يعود لبلده مع أبيه : وتعلق بأهداب النبى ﷺ قائلا : « لست تاركك وقد كنت لى أبا باراً عطوفا » .

وإليكم البيان .

انطلق حكيم بن حزام بن خويلد إلى سوق عكاظ مرة فأوصته عمته خديجة رضى الله عنها أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربياً إن قدر ...

عليه . فلما جاء إلى السوق وجد زيداً بن حارثة يباع فيه ، فأعجبه ظرفه ، فابتاعه وقدم به على خديجة رضى الله عنها وقال لها : إنى اشتريت لك غلاما ظريفا عربيا، فإن أعجبك فخذيه - وإلا فدعيه — فإنه قد أعجبنى ، فلما رأته خديجة أعجبها ، فأخذته ، فزوجت بعد ذلك من رسول الله ﷺ وهو عندها فأعجب النبى ﷺ ظرفه ، فاستوهبه منها . فقالت . هو لك فإن أردت عتقه فالولاء لى . فأبى عليها . فوهبته له إن شاء أعتق وإن شاء أمسك . فشب زيد عند رسول الله ﷺ . ثم إن زيداً خرج فى إبل لأبى طالب إلى الشام . فمر بأرض قومه فعرفه عمه . فقام إليه فقال له : من أنت ياغلام ؟ قال غلام من أهل مكة . قال . من أنفسهم(١) ؟ قال : لا ، قال فحر أنت أم مملوك؟ قال بل مملوك قال : لمن ؟ قال لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال له أعربى أنت أم أعجمى ؟ قال : بل عربى قال ، ممن أهلك ؟ قال : من بنى عبد ود ، قال ، ويحك ، ابن من أنت ؟ قال ، ابن حارثة ابن شراحبيل ، قال : ما اسم أمك ؟ ، قال : « سعدى » فعرف أنه ابن أخيه حارثة ، فدعا أباه وقال له ياحارثه هذا ابنك ، فأتاه حارثة . فلما نظر إليه عرفه ، ثم قال له ، كيف صنع مولاك إليك ؟ فقال له زيد يؤثرنى على أهله وولده ورزقت منه حبا لامثيل له — وأخلاقا عالية لانظير لها ، فلا أصنع إلا ما شئت ،

فركب معه أبوه — وعمه وأخوه ، حتى قدموا مكة . فلقوا رسول الله ﷺ ، فقال له حارثة ، يامحمد : أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته ، تفكون العانى وتطعمون الأسير ، ابنى عبدك ، فامنن

---

(١) ممن يرغب نسبهم لكرم مثلا أو لشىء آخر !

علينا وأحسن إلينا في فدائه . فإنك ابن سيد قوم فإنا سندفع لك في الفداء ما أحببت .

فرد عليه رسول الله ﷺ وقال له : أعطيكم خيراً من ذلك . قالوا : وما هو ؟ فقال ﷺ : أخيره ـ فان اختاركم نخذوه بغير فداء . وإن اختارني فكفوا عنه ، قالوا : جزاك الله خيراً فقد أحسنت .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً وقال له : يازيد . أتعرف هؤلاء؟ قال . نعم ، هذا أبي ، وعمي ، وأخي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا من قد عرفته . فإن اخترتهم فاذهب معهم . وإن اخترتني فأنا من تعلم . فقال زيد : أما أنا بمختار عليك أحداً أبداً أنت مني بمكان الوالد والعم . فقال له أبوه وعمه . يازيد : تختار العبودية على الحرية ؟ فقال . ما أنا بمفارق هذا الرجل : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه قال .

« اشهدوا أنه حر » . فطابت نفس ابيه وعمه لما رأوا من كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم وعطفه وشفقته وحسن خلقه مع ولدهم وثمرة كبدهم .

وقد بقيت صداقة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه إلى ما بعد موت زيد ، حيث عامل أسامة أبنه معاملة أب رحيم ، لابن بار كريم .

أيها المسلم . كأني بك تقول بعد أن سمعت ما سمعت . هذا حسن وجميل . ولكن الناس في هذا الزمان أمسوا وهم كالذئاب ، لايقابلون الجميل بالشكران ، ولا الإحسان بالإحسان ، بل يتمادون في الطغيان والعصيان . إن قلت ذلك فإني أقول لك كما ورد في الحديث الشريف

« البر لا يبلى . والذنب لا ينسى . والديان لا يموت . إعمل ماشئت . كما تدين تدان » .

ولقد صدق الله تعالى حيث يقول فى كتابه المجيد :

« من عمل صالحاً فلنفسه . ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » .

جملنا الله تعالى بأجمل الآداب . وأحسن عاقبتنا يوم المآب – إنه كريم وهاب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

طرف من أخلاق النبى الكريم
بمناسبة يوم مولده العظيم

قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

الحديث عن رسول الله – سيدنا محمد بن عبد الله – صلوات الله وسلامه عليه . الحديث عنه مهما كرر يحلو . ومهما أعيد كان طريفاً . فإنك حين تتحدث عن مولده . أو تتحدث عن هجرته . أو تتحدث عن جهاده وكفاحه ، أو تتحدث عن أثره فى البشرية جميعها – تجد الحديث فى هذا كله جميلا : تتشوق إليه قلوب المؤمنين الصادقين –

وترتاح إليه أفئدة المتقين الموحدين . ومن أعظم ممن اصطفاه الله واختاره ثم أرسله رحمة للعالمين ؟

صلى الله عليك وسلم أيها الرسول الكريم . ها نحن أولئك أمة الإسلام نذكرك بأطيب الذكرى وعاطرها . فقد بزغ هلال شهر ربيع الأول — شهر ميلادك أيها النبي المرسل : ذلك الشهر الذي تمخض الوجود فيه عن طلعتك المشرقة ونورك البهيج .

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول : وعلى أثر مولده ظهر كثير من الآيات والمعجزات .

ودرج وترعرع في طفولته بعيدا عن ملاهي الأطفال . محفوظا بعناية إلهية . ثم صار شابا فكان مثال العفة والأمانة . ثم مالت نفسه إلى العبادة فكان ينقطع عن الناس إلى غار خارج مكة يتعبد فيه ، مستشعرا بأنه سيحمل أمانة الرسالة .

وما هو إلا أن بلغ سن الأربعين — حتى هبط عليه جبريل أمين الله بالوحي . فنشط للدعوة وحيداً محتملا لكثير من صنوف الأذى . حتى هاجر بدينه إلى المدينة . وهناك بزغت أنوار النبوة ساطعة . وهدى الله به أمة العرب وألان قلوبها . فكون منها أمة إسلامية كريمة الأخلاق والمبادىء ، تعلمت منه عليه الصلاة والسلام الحلم والرأفة . ومواساة الضعفاء . والصبر على الشدائد . وسعة الصدر . وحسن المعاشرة . ومجانبة الكبر .

وعلى الجملة فقد تأثرت بأخلاق نبيها . وكانت مرآة انطبعت فيها صفاته الكريمة .

جاهد الرسول ﷺ فى سبيل الله . فبدل عقيدة الشرك توحيدا . وهذب أخلاق العرب الجافة الغليظة . فجعل منها أمة كاملة الاخلاق قوية فى الدين قوية على الاعداء . رحيمة بالضعفاء . سخية على الفقراء: فما هى إلا فترة من الزمن حتى كانت بلاد العرب جنة النعيم بعد أن كانت أتونا من جحيم .

وأيد الله هذا الدين العظيم - بالقرآن الكريم — الذى ضمن الله تعالى له الحفظ والبقاء — مادامت الارض والسماء : فلا يتطرق إليه تبديل أو تحريف مما وقع فى الكتب السماوية من قبل : فلله الحمد والشكر على نعمة الدين - وللرسول الكريم منا صلوات وتسليمات تتكافأ مع مابذل لرب العالمين .

فواجبنا معشر المسلمين - أن نحتفل بمولده الكريم فى هذا الشهر العظيم ، بأن نذكر ما كان عليه ﷺ من كرم الاخلاق والحلم وطهارة القلب والعطف على البؤساء وقول الحق وفعله ومجانبته للباطل . وغير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة .

فإذا شئنا أن نعظم نبينا ونعرف لمولده حقه فلا يكون هذا إلا باقتفاء آثاره من عمل البر والإحسان والتخلق بما كان عليه من أخلاق كريمة — وصفات جميلة .

أما تلك المظاهر التى يقوم بها بعض المسلمين من عمل لا يعود منه فائدة على المحتاجين ولا يتفق مع الدين ولا مع سيرة سيد المرسلين ، فهو جهل بالدين . وبكرامة النبى الامين .

فيأيها المسلمون . صلوا أرحامكم ، وعطروا مجالسكم بذكر

نبيكم . واعلموا أنه كان حليما فتعلموا منه الحلم . وكريما فتعلموا منه الكرم ، وأمينا فتعلموا منه الأمانة . ورءوفا بالضعفاء فتعلموا منه الرأفة بهم ، ومتواضعاً فتعلموا منه التواضع . وصفوحا عن الزلات فتعلموا منه الصفح عمن أساء إليكم . كل هذا وما شاكله هو الذى ينبغى أن تفعلوه إذا ذكرتم نبيكم واحتفلتم بميلاده الكريم .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه — وإلى السير على سيرة نبيه ومصطفاه ، وحسبنا الله وكفى .

قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

الأمانة وأثرها فى الدين والدنيا

قال الله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

. . . الأمانة خلق من الأخلاق الفاضلة ، وأصل من أصول الديانات . وهى ضرورية للمجتمع الإنسانى . لا فرق بين حاكم وموظف وصانع وتاجر وعامل وزارع ، ولا بين غنى وفقير ، وكبير وصغير . فهى شرف الغنى وفخر الفقير ، وواجب الموظف ، ورأس مال التاجر ، وسبب شهرة الصانع ، وسر نجاح العامل والزارع ومفتاح كل تقدم وسعادة ، ومصدر كل نجاح وفلاح .

ولا تظنوا أن الأمانة قاصرة على الودائع من كل غال وثمين

كالذهب والفضة ، والجواهر والأموال . بل الأمانة أوسع من هذا . فالأمانة فى لسان الشرع هى حمل كل ما لله فيه طاعة وامتثال ، واجتناب كل ما لله فيه مخالفة وعصيان . سواء كان ذلك فى عبادة الله . أو فى معاملة الناس .

فالصلاة أمانة لله عندك يجب أن تؤديها فى وقتها كاملة غير منقوصة ، مستوفية لفرائضها وأركانها وشروطها وسننها وآدابها . بقلب ملؤه الخشوع والخضوع . وجسم ملؤه الطمأنينة والاتزان .

والزكاة أمانة للفقير فى عنقك . فيجب أن تؤديها له فى وقتها من جيد مالك . طيبة بذلك نفسك . لكى تبرأ منها ذمتك . ولكى تطهر مالك وتزكيه .

والصيام أمانة لله عندك فيجب أن تصوم بكليتك إلى الله . فلا يملأ بطنك إلا الحلال ، ولا يفكر عقلك إلا فى خير . ولا ينطق لسانك إلا حسنا . ولا تسمع أذنك إلا طيباً ، ولا تنظر عينك إلا مباحا ، ولا تمد يدك إلا إلى إصلاح ، ولا يسعى قدمك إلا إلى طاعة ومعروف .

والحج أمانة لله فى عنقك . فإن كنت من القادرين عليه فيجب عليك إذا ما أردت الحج . أن تؤدى كل ما عليك من حقوق وواجبات لله ، ولعباد الله . ثم تنظر ذلك المال الذى ستحج به أهو حرام أم حلال ، وهل جمعته من عرق جبينك أم من دماء الناس وهل تريد الحج للرياء والسمعة والألقاب . أو تريد ابتغاء مرضاة الله .

وبقدر ما تكون مقصرا فى عبادة من هذه العبادات . بقدر ما تكون خائنا فى أمانتك . ولا أكون مبالغا إذا قلت لك: إن الانسان مطالب بالأمانة فى كل نظرة ولفتة ، وفى كل إشارة وعبارة وفى كل حركة وسكون .

فلسانك : أمانة لديك من الله ، إن حفظته عن الغيبة والنميمة وهجر القول ، واستعملته فى ذكر الله وتسبيح الله وتلاوة كلام الله فإن فعلت ذلك فقد حفظت الامانة .

وعيناك أمانة من الله لديك . فإن جنبتها النظر إلى ما حرم الله واستعملتها فيما يعود عليك بالسعادة فى الدنيا والآخرة فقد حفظت الأمانة .

وهكذا سائر أعضائك كلها أمانات من الله، تسأل عنها يوم القيامة.

فحذار أن تطلق لسانك ينهش فى أعراض خلق الله . أو تستعمل يديك فى إيذاء أحد . أو تنظر بعينيك إلى ما حرم الله . أو تضع فى قلبك الحقد والبغضاء ، بدل المودة والمحبة والوفاء .

فما من إنسان منا إلا وعمله أمانة لله فى عنقه . فالشعب أمانة فى يد الزعماء . والدين أمانة فى يد العلماء . والعدل أمانة فى يد القضاة والحق أمانة فى يد المجاهدين . والصدق أمانة فى يد الشهود . والمرضى أمانة فى يد الأطباء . والمصالح أمانة فى يد المستخدمين . والتلميذ أمانة فى يد أستاذه . والولد أمانة فى يد أبيه . والوطن أمانة فى عنق الجميع (فليؤد الذى اؤتمن أمانته ، وليتق الله ربه) .

فتجملوا بالأمانة ، واعلموا أنها روح الشريعة . ونظام المعاملة . وعليها تدور رحى الاجتماع . فلا دين إلا بها ولا نظام في الدنيا إلا بتحققها : (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد) .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له . ولا صلاة لمن لا طهور له »

رواه الطبرانى

الخيانة وآثارها السيئة

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون » .

. . . الخيانة مذمومة شرعا وعقلا . لأنها تدل على دناءة النفس وخسة القدر ، وصاحبها مكروه بغيض ، وإذا فشت الخيانة فى أمة من الأمم ذهبت ريحها ، وتقوض مجدها ، وانحطت درجاتها ، وأصبحت لقمة سائغة لغيرها يذلها ويستعبدها .

وفى التاريخ أمثلة صادقة ساطعة على ذلك .

وإذا نظرنا إلى أحوال الناس فى هذا الزمن نجد أن الخيانة قد فشت فى جميع الأوساط والطبقات . وفى كل المصالح والأعمال « إلا من عصم الله » .

وسأقدم لكم صورة صادقة عن بعض طبقات المجتمع الذى نحيا بينه ونعيش فيه .

وأول طبقة يجب الحديث عنها هى طبقة « التجار » فإذا نظرت إليها وجدت خيانة سافرة ووقاحة مكشوفة وجدت التجار هم الفجار المجرمون ، والخسرة الذين هيمن عليهم الشره والجشع ، وسيطر عليهم الحرص والطمع ، وأصبحوا يعيشون من دماء الناس كما يعيش البق والبعوض . ينغصون على الناس عيشهم ، ويكدرون عليهم صفوهم . يحبون الحرب والغلاء ، ويكرهون السلم والرخاء . إن نزل السوق جنيها لا يظهرون منه مليما . وإن زاد فى السوق مليم أظهروا فيه مئات الجنيهات . فهم كالذباب الذى يأكل ولا يشبع لأنه نهم حريص . وهم بعد ذلك لا يتكلمون كلمة إلا يشفعونها بطلاق مثلث . أو بيمين غليظ . ولا بأس عندهم بكثرة الأيمان مادامت ستجلب لهم المال الكثير ، والربح الوفير « اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، فلهم عذاب مهين » .

فإذا تركت طبقة التجار إلى طبقة الصناع والعمال وجدت طائفة ألعن من أختها وأرذل من سابقتها . وجدت غشا فى الصنعة وتزييفا فى المواد ، وبطئا فى العمـــــل ، ومبالغة فى الأجر ، وخلفا فى المواعيد .

فإذا تركت طبقة التجار والصناع والعمال . وانتقلت إلى حياتك الخاصة وجدت حياة مريرة شائكة ، وجدت إخوانا فسقة ، وأصدقاء خونة ، وجيرانا لئاما يتتبعون عوراتك ويعددون هفواتك

إن رأوا منك خيرا كتموه وإن رأوا منك شرا أذاعوه . يفسدون عليك زوجتك وبناتك ، ويؤلبون عليك أهلك وذويك . على أن الخيانة إن سلم صاحبها في الدنيا . فقلما يسلم في الآخرة ، وإن نجا من ورطة فقلما ينجو مما بعدها وإن نجا من الضعيف فقلما ينجو من القوى . وإن نجا من الإنسان فقلما ينجو من الله « وإن ربك لبالمرصاد » .

وذلك حق لاريب فيه فكثيرا مارأينا تجارا كانوا يفاخرون بثروتهم « قارون » ، فأصبحوا ولا ترى إلا مساكنهم . وكثيرا مارأينا صناعا كان يضرب بهم المثل في الدقة والإتقان فأصبحوا وقد نزل بصنعهم البوار والكساد .

وكثيراً مارأينا أصدقاء كان يعزهم الإنسان أكثر من نفسه فأصبحوا وقد نبذهم إخوانهم نبذة النواة نتيجة لخيانة ذميمة ، أو لطبع لئيم . وعلى العموم فالخائن غير شريف . وهو شر على نفسه ، وشر على أهله وعشيرته ، وشر على المجتمع الذى يعيش فيه . ومتى كان ذلك كذلك . وقد عرفتم آثار الخيانة ونتائجها : فعليكم باجتنابها والبعد عنها ، وكونوا من ذوى الأمانة المبرئين من الخيانة وقفوا عند حدود الله تعالى لتستحقوا منازل الأبرار الأطهار وتحظوا بجنات تجرى من تحتها الأنهار : « إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع . وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة » رواه أبوداود والنسائى .

الظـــلم

قال الله تعالى : (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ۝ ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ۝ لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى ، وكان الشيطان للانسان خذولا) .

. . . هذه هى حالة الظالمين يوم القيامة . وهذه هى لغتهم . وذلك هو تندمهم : وإنها لحالة باتسة مخزية ولغة ضعيفة مستكينة . وتندم موجع أليم : وحق لهم ان يكونوا كذلك : لانهم بين يدى قاهر الجبابرة ، ومذل الملوك ، القائم على كل نفس بما كسبت . والله لايحب الظالمين .

ايها المسلمون : هذا هو القرآن الكريم يعض عليكم موقف الظالمين من الله . لتكونوا على بينة من الامر . ولتأخذوا لذلك اليوم عدته حتى لاتذوقوا من مرارة الندم وحرارة العذاب ماذاقوه ، (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت — والملائكة باسطو أيديهم،أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) .

أيها المسلمون : هذه صورة صغرى ونموذج أول من عذاب الله تعالى للظالمين أولئك الذين هجموا على الضعفاء من عباد الله فسلبوهم حقوقهم واغتصبوهم أموالهم . واستباحوا لأنفسهم من حرماتهم ما يغضب الله . ناسين أنهم شركاؤهم فى الإنسانية ، وأندادهم فى

العبودية . وجيرانهم فى الوطن . وإخوانهم فى الدين : ألا بعدا للقوم الظالمين : لقد اغتروا بدنياهم الكاذبة وأطاعوا نفوسهم الخبيثة فأهانوا الضعفاء ، وانتهكوا حرماتهم ، معتمدين فى ذلك على سلطانهم الباطلة ، ومناصبهم الزائفة وقوتهم المزعومة ومالهم الخئون . وما علموا أنها أعراض لا تلبث أن تزول . ولست أدرى كيف يأمن الإنسان الدنيا وقد قست على غيره أمام عينيه . وكيف يركن الإنسان إليها وقد أهلكت قبله أمه وأباه .

أيها المسلمون : إنكم تجلسون الآن فى مسجد طالما جلس فيه قبلكم أناس وأناس .

وإنى أخطبكم الآن على منبر طالما خطبكم عليه خطيب وخطيب. فأين ذهب أولئك وماذا فعلت بهم الدنيا ياترى . . لقد رست بهم سفينة الحياة على شاطىء الموت . ونقلتهم من هذه الدار إلى حيث لا أدرى ولا تعلمون . ثم عادت لتأخذ شحنة أخرى وحملا جديدا . وما تلك الشحنة وما ذلك الحمل إلا نحن وإياكم إن كنتم تعلمون .

هذا هو حال الدنيا وذلك هو شأنها الذى أخبر به الله فى كتابه الكريم أكثر من مرة . والذى أيده الواقع من ذلك كثير .

أما علم أولئك الظالمون المستبدون أن للضعفاء ربا قهاراً . وباطشا جباراً . وعزيزاً ذا انتقام . وأنه أقرب إليهم من حبل الوريد . وأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . وأنه إن شاء قصم ظهورهم وأذل أعناقهم . وزلزل الأرض من تحت أقدامهم أو أسقط عليهم كسفا من السماء . وأنه إن أمهلهم لا بد آخذهم . .

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) .

أيها المسلمون : لاتظنوا أنكم مبرءون من الظلم . فكل إنسان منكم معرض لأن يكون ظالما . أو هو ظالم بالفعل . ولاتحسبوا أن الظلم قاصر على أرباب الوظائف والمناصب وأرباب الحكم والسلطان . حيث أن كلا منكم رب بيت وزعيم أسرة . وفي الأسرة الكبير والصغير والضعيف والقوى والخادم والأجير ولكل واحد من هؤلاء حقوق في أعناقكم يسألكم الله عنها . بل إن الإنسان ليعد ظالما إذ تعدى على حقوق نفسه الشخصية . فقد يكون مبذراً وحالته تدعو إلى الاقتصاد . وقد يكون مقتراً وحالته تدعو إلى التيسير . وقد يسرف على نفسه في الموبقات والمهلكات .

فالظلم مرتعه وخيم . ووصفه ذميم ،كم خرب بيوتا عامرة . وقصم ظهور الجبابرة : قال تعالى في وصف جزاء الظالمين بما عملوا : (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) .

وقانا الله بحمايته من عسف الظالمين ، وكيد الماكرين : (إن في ذلك لآية لقوم يعلمون) .

الحديث : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » .

حث المسلم على كثير من الفضائل (١)

قال الله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) .

. . . إن الله عز وجل فرض عليك فروضا فيها صلاحك وصلاح دينك ودنياك . فإن أنت عملت بما أوجب الله عليك سعدت حياتك ، واطمأنت نفسك ، فأد فرائض الله على الوجه الأكمل تفز في الآخرة بجنات النعيم .

أيها المسلم : إتق شتم الناس والوقوع فى أعراضهم ، ولا تغتب أحداً ولا تنم عليه ، فإن الله يأمرك أن تذكر اخاك المسلم بما تحب أن يذكرك به ، وإياك أن تكون ضيق الصدر ، سريع الغضب ، حديد الطبع . فإن ذلك ليس من خلق المسلمين .

أيها المسلم : إن كنت عاملا فأتقن عملك ، أو زارعا فلا تهمل فى زراعتك ، أو تاجراً فعامل الناس باللطف واللين ، وراقب الله فى جميع أعمالك ، ولا تفرط فى شىء من أمور الدين ، وإلا كنت من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

أيها المسلم : صل أخاك وإن جفاك . وإياك والغضب فى غير الله ، ودع من الأمر مالا يعنيك ، فإن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ، وعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، ولا تظلم كما لا تحب

أن تظلم ، واحذر بطانة السوء وأهل البغى ، وأكرم ضيفك ، وراع حق جارك ببذل المعروف إليه ، وكف الأذى عنه إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر .

أيها المسلم : أترك من أعمال السر مالا يحسن لك أن تعمله فى العلانية ، واتق كل شىء تخاف فيه تهمة فى دينك ودنياك ، وأعن المظلوم ما استطعت ، واتق دعوته فإنها ليس بينها وبين الله حجاب ، وخذ على يد الظالم وامنعه عن ظلمه ، واغضض بصرك عن محارم الله عز وجل ، ولا تؤذ أحداً من خلق الله ، وإياك والإضرار بالناس ، ولا تشرك بالله أحداً ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت .

أيها المسلم : إصحب الأخيار فإنهم يعينوتك على أوامر الله عز وجل ، واقبل عذر من اعتذر إليك ، وإياك وسوء الخلق فإنه يدعو إلى معاصى الله ، وإذا ائتمنت فلا تخن ، وإذا حدثت فلا تكذب ، وإذا وعدت ، فى طاعة الله ، فلا تخلف . واعلم أن كفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم .

أيها المسلم . أطع الله فى معصية الناس ، ولا تطع الناس فى معصية الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وإذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر فى عاقبته — فإن كان خيراً فافعله ، وإن كان غير ذلك فابتعد عنه ولا تقرب إليه ، واعلم أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك . فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين .

أيها المسلم : إصبر على ماأصابك من فجائع الدنيا وأحزانها ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وإذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا فليكن فزعك فيها إلى الله عز وجل حين تنزل بك ، واصبر على ماأصابك ، إن ذلك من عزم الأمور .

هذه نصيحتى إليك فى هذا اليوم ، فاعمل بها . وبلغها إلى إخوانك وأصدقائك ، واتق الله فى السر والعلانية تكن فى دنياك وفى آخرتك من المفلحين .

قال رسول الله ﷺ :

« أدما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس ، واجتنب ماحرم الله عليك تكن من أورع الناس ، وأرض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس » .

حث المسلم على كثير من الفضائل (٢)

قال الله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) .

. . . إذا أردت أن تعيش فى الدنيا عيشة راضية ، وتحيا فى الآخرة حياة طيبة . فاعمل بما سيلقى عليك . واســـأل الله لى ولك التوفيق إلى أقوم طريق .

اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن .

أيها المسلم : من أراد شرفا فالقناعة تكفيه ، ومن أراد صاحبا فالقرآن يكفيه ، ومن أراد مؤنسا فالله يكفيه . ومن أراد واعظا فالموت يكفيه، ومن لم يكتف بهذه الأربعة فالنار تكفيه .

أيها المسلم : عامل الناس بالأدب الذى لا يكلفك شيئا — بل يكسبك رضاهم عنك — ويسهل عليك نوال ما يصعب الوصول إليه بالدرهم والدينار .

عاملهم بالرفق واللين والإخلاص ، فإن الرفق بربح القلوب بأكثر من الإحسان ، والاخلاص أجل قدراً من الدرهم . والكلمة الطيبة تكسب مودداً لا تؤتيه الهدايا ، فمن لانت كلمته ، وجبت محبته .

أيها المسلم : لا تقسرع فى الكلام السوء مع الناس إذا اعتراك غضب ، واكظم غيظك ، وترو قليلا — واعف عنهم حين يحمد العفو وأحسن المعاملة بينهم — لأن حسن المعاملة — من أوضح دلائل حسن التربية . ولا تقتصر فى معاملتهم على ماتريد أن يعاملوك به . بل يجب أن يكون لك عليهم إحسان . ولا تقابل السيئة بمثلها ، بل الحسنة ، فتحمد وتشكر .

أيها المسلم : ابذل جهدك فى استمالة قلوب الناس إليك . واعمل على أن تكون محبوبا عندهم . ولا تتخذلك أعداء . بل اجتهد فى إرضائهم ليحبوك . وخالطهم مخالطة إن مت معها بكوا عليك — وإن عشت حنوا عليك .

أيها المسلم : أحسن الظن بالناس واذكر محاسنهم . واترك مساوئهم حتى تكون بعيداً عن انتقامهم : واعلم أن الواجب

الأدبى أن تتكلم عن الأحياء بإحسان . وأن لا تذكر من مات منهم إلا بخير :

أيها المسلم : لا تحتقر من دونك . ولا تفتخر بالثروة التى ورثتها عن آبائك وأجدادك : بل عليك أن تعرف قدر نفسك وقدر العالم ولا تظهر للناس عدم اهتمامك بهم . لأنك إن لم تحترمهم لم يكن لك اعتبار عند أحد منهم : وإياك والحسد والبغضاء والأحقاد والخصومات : فالحسد لا يغنى ولا يفيد . والبغض لا ينتج إلا العناد الشديد . ومن ظل على التحاسد والتباغض لا تقوم له قائمة . وصار فى أعين الناس من الساقطين .

أيها المسلم : كن حريصاً على طاعة ربك . وتأدية فرائضه على الوجه الأكمل . ولا تفكر فى المحرمات ولا تفعلها . وجانب إخوان السوء إن لم تقو على نصحهم وإرشادهم . واحمد الله على ما أنعم به عليك من الخيرات . واستغفره من الخطيئات . وإذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معصيته فاحذره . وتذكر دائماً قول الله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وعليك بالاستقامة فى جميع أمورك تكن يوم القيامة من الناجين .

قال رسول الله ﷺ :

« ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى — أو يرده بها عن ردى »

نفثة مصدور (٢)

قال الله تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد) .

. . . الله جل جلاله هو الغنى وأنتم الفقراء . لا تنفعه طاعاتكم . ولا تضره معاصيكم . فلو أن جميع أهل الارض كفروا بوحدانيته ما نقص ذلك من ملكه شيئاً . كما أنهم لو انقطعوا لعبادته وبذلوا المهج فى طاعته لما زاد ذلك فى ملكه شيئاً . سبحانه هو الغنى الحميد :

الله جل جلاله هو القوى وأنتم الضعفاء . إذا سلبكم نعمة كانت عندكم فليس فى الوجود من يردها عليكم . وإذا أتلف عضواً من أعضائكم فما فى الكون من يعوضه لكم . والذى يليق بالعبد الضعيف أن يطيع العزيز القوى . والذى يجمل بالفقير المحتاج أن يخضع للاله الغنى فما لكم لم تستقم أموركم — ولم تتحسن أحوالكم ، ولم تخافوا بطش ربكم . !!

تقصرون فما تتداركون تقصيركم . وتذنبون فما تتوبون من ذنوبكم . وتسيئون فما تمحون بالحسنات سيئاتكم . فليس فى الطاعة عيب حتى تتركوها . ولا فى الاستقامة عار حتى تهجروها . وما الله بغافل عما تعملون .

أيها المسلمون : نحن نرى البهيمة تحن إلى علافها وتطيعه — والناس لا يطيعون ربهم :

نحن نرى البهيمة تخاف عصا مالكها - وشدة غضبة عليها — والناس لا يخافون نار جهنم التي أعدت للمذنبين منهم .

نحن نرى الكلب يستحي من أطعمه مرة واحدة والناس لا يستحيون من أطعمهم طول حياتهم — وقام لهم بكل حاجاتهم .

أيها المسلمون : والله الذي لا إله إلا هو ليس بينكم وبين الجنة والنار إلا قبض أرواحكم — وتسوية التراب على رءوسكم . وذلك أمر يمكن حصوله في كل آن — محتمل وقوعه في أي زمان :

فقد رأينا أجساماً كانت صحيحة فرضت في أقل من لمح البصر . ورأينا أقواماً كانت كثيرة فرق الموت شملهم وأصبحوا عبرة لمن اعتبر .

أيها المسلمون : والله الذي لا إله إلا هو لو صدرت أوامر الله تعالى إلى الجماد لكان أطوع لربه منكم .

ولو كلف الله الحيوان بما به كلفكم — لكان حاله أحسن من حالكم . وإن كنتم في شك من ذلك فاقرءوا إن شئتم قول الله تعالى :

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ .

أيها المسلمون : أيامنا في الدنيا وإن طالت فأيامها قصيرة : ولذاتنا فيها مهما حلت في الحال فستورثنا في المآل حسرات كثيرة . وعدم العمل بأحكام الدين دليـــل منا على انطماس البصيرة .

فاتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

أيظن الإنسان أن سيغنى عنه ماله — إذا ساء مآله ؟ أو ينفعه أهله إذا حل أجله ؟ أو يساعده وأصحابه — إذا حق عقابه ؟ أو ينصره قريب أو حبيب — بين يدى الحسيب الرقيب ؟ يوم ينظر المرء ماقدمت يداه — ويجزى بما أسلفه فى دنياه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

فأظلم الناس من ظلم نفسه بعصيان الله حتى استوجب مقته . وأضيع الناس من سمع الموعظة فأصر على حالته وأخر توبته . . .
(من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها . وما ربك بظلام للعبيد) .
أنظر الحديث فى الصحيفة رقم ١٣١ من هذا .

النهى عن سوء الظن بأهل الخير

وعن التجسس والاغتياب

قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ، إن الله تواب رحيم) . . . أنظروا إلى ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة من الآداب العالية والأخلاق الكريمة ، فإنها قد نهتنا عن أمور ثلاثة يجب

على كل ذى مروءة أن ينزه نفسه عنها . ولا يرضى أن يتصف بأى صفة منها : وهى سوء الظن بعباد الله . والتجسس وراء عيوب الناس لإظهارها ، وغيبتهم بذكر ما يكرهون : تلك هى الأمور التى أدبنا بها الله فى هذه الآية الكريمة . فهل نحن لذلك واعون ؟ ولأمر الله تعالى مستمعون ؟ وبآداب القرآن متأدبون ؟

والله الذى لا إله إلا هو لو قدرنا كتاب الله حق قدره واتبعنا ماجاء به من الأحكام لكنا أسعد الناس حظا — وأعزهم مكانة وأرفعهم قدراً . ولكننا أهملنا آداب ديننا — واتبعنا شهواتنا فساء حالنا ووهنت رابطتنا وتغيرت أنفسنا وقست قلوبنا وأصبحنا أعداء متنافرين وخصوما متناحرين :

أيها المسلمون : من أسوأ مايؤخذ علينا فى أخلاقنا — أننا كثيراً مانسىء الظن بغيرنا ونتعجل الحكم عليه من غير أن نتبين أمره ونلم بأغراضه ومقاصده . وهذا الخلق شائع فى أفرادنا وجماعاتنا . وليس له من سبب سوى قصر النظر — أو عدم القدرة على مقاومة النفس ومغالبة الهوى . فلا بد من الاجتهاد فى ضبط النفس والطمأنينة فى الأمر حتى تنكشف الشبهات . ويبدو الحق أبلج واضحا . وبعد ذلك نحكم للمرء أو عليه .

فاجتنبوا سوء الظن : « والظن هو مجرد التهمة التى لاسبب لها » : فحرام أن ظن الواحد منا بأخيه المسلم ظنا فاسداً من غير تثبت ولا دليل . فيتهمه فى عرضه أو دينه وقد يكون عند الله بريئا فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ، حرام أن تهمل الظن الفاسد أو اعتباراً

بيننا فترتب عليه قطع العلائق الأخوية — ونقصر فى الواجبات الإنسانية — أو نبنى عليه عداء وخصاما .

وكما نهانا الله عن كثير من الظن — كذلك نهانا عن التجسس . فحرام على كل مسلم أن يبحث وراء عورة أخيه المستورة ليظهرها . حرام عليه أن يتتبع عيوب أخيه الخفية ليعلنها : نعم لو تعين التجسس طريقا لرد مفسدة كبيرة أو جلب مصلحة عظيمة لم يكن محرما . كما إذا علمنا أن أشخاصا عزموا على ارتكاب جريمة سوء مثلا فتجسسنا عليهم لنحول دون وقوع الجريمة أو لنقبض عليهم — أو تجسسنا لمعرفة جناة ارتكبوا جريمة وفروا — فإنه لاحرج فى ذلك علينا .

كذلك نهانا الله فى الآية المتقدمة عن الغيبة . وهى أن تذكر أخاك بما يكره . وتنسب إليه مايشينه وتلصق به مايخفضه فى نظر الناس . وتصفه بقبيح ولو كان فيه . وترميه بنقيصة وإن كانت حقا عالقة به . فحرام على المسلمين أن يتسامروا بتمزيق أعراض إخوانهم . حرام عليهم أن يتفكهوا بنشر معايبهم . حرام عليهم أن يجعلوا إخوانهم غرضا يرمونه بالسنتهم فى مجالسهم وأنديتهم فيتحدثون بعيوبهم الخلقية أو الخلقية — ويشتغلون بأحوالهم الظاهرة أو الخفية : حرام على كل ذى مروءة وأدب أن يذهب به الحقد والتشفى إلى ذكر عيوب الناس إن صدقا وإن كذبا : ومن يفعل ذلك فهو ساقط المروءة سيء الأدب يأكل لحم أخيه ميتا . وذلك هو الخسران المبين .

نسأل الله تعالى أن يعيننا على إصلاح أنفسنا وتقويم أعوجاجها .

فقد أفلح من زكاها وطهرها بالطاعة . وقد خاب من دساها ودنسها بالمعاصى . وإلى الله عاقبة الأمور .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » إلخ .

الحث على أداء الصلاة بالخشوع

قال الله تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وقال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

. . . كتب الله علينا خمس صلوات فى اليوم والليلة : نقوم بأدائها فى أوقاتها : وبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية الصلاة التى أمرنا الله تعالى بها . وما يشترط لها من الأعمال الظاهرة والباطنة — حتى تكون مقبولة عند الله تعالى : يستحق عليها فاعلها الرحمة والغفران كما بين لنا ما يبطلها وما يحبط ثوابها ، لكيلا يكون لأحد حجة ولا تقوم له معذرة .

وليست الصلاة مجرد الحركات والسكنات بالبدن والقلب غافل عن ربه مشغول بالشهوات — لاه بالملذات . وإنما الصلاة هى كما قال الله تعالى :

(قد أفلح المؤمنون ٭ الذين هم فى صلاتهم خاشعون)

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه » .

تلك هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر : لأن من وقف بين يدي خالقه ذليلا خاشعا — نادما خاضعا ، فقد تاب من ذنبه وأناب إلى ربه : وصلحت أعماله الظاهرة والباطنة — وحسنت علاقته مع الله ، ومع عباد الله ، ووقف عند حدود الدين ، وانتهى عما نهاه عنه رب العالمين :

تلك هي الصلاة التي تطهر القلوب ، وتهذب النفوس . وتدني العبد من خالقه فتجعله قريباً من رحمته ، بعيـــداً من عقوبته . له من الأجر الخالد مالا يخطر على بال . وله من النعيم الدائم مالا تدركه العقول والأفهام :

أما الذي يصلي ببدنه ، وقلبه بعيد عن حضرة ربه ، مشغول بشهواته الفاسدة ، يتحرك لسانه بالدعاء وليس في نفسه جلال من يدعوه ، ويكتفي بالركوع وقلبه خال من عظمة من يركع له . فليس له من صلاته تلك المزايا الجليلة ، وذلك الخير العظيم :

أيها المسلمون : إن الغرض من الصلاة هو أن تشعر النفس بعظمة الإله الخالدة . ويخضع القلب لعزته الدائمة . ويذكره من آن لآخر . فلا يعمل إلا ما يرضى ذلك الإله القادر القاهر فوق عباده وهو السميع البصير ، طمعا في رحمته ، وخوفا من عذابه .

فيا أيها المصلي . اذكر أنك واقف بين يدي رب الأرباب — وملك الملوك ، واملأ قلبك بعظمته وجلاله . وجاهد نفسك في صلاتك حتى

تكف عن الوساوس الفاسدة ، وتكون أهلا لمناجاة ربك الذى ليس كمثله شىء . فإذا فرغت من صلاتك كان قلبك متأثراً من عظمة الله . وجلا من هيبته: فلا ترتكب فاحشة حرمها عليك . ولا تفعل جريمة نهاك عنها . ولا تظلم الناس بالاعتداء على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ولا تقصر فى واجبك الدنيوى . وواجبك الأخروى : وبذلك تنجو من شقاء الدنيا — وعذاب الآخرة . وتحظى بما عند الله من الدرجات الرفيعة فى جنات الخلود .

أيها المسلمون : تلك هى آثار الصلاة فى الأفراد والجماعات . فلم تشرع الصلاة عبثا . ولم تفرض لعبا . فهى خير مؤدب للنفوس . وخير زاجر للقلوب . وخير وسيلة للكف عن الجرائم والموبقات . وأقوى صلة بين العبد وربه .

فهنيئا لمن قام بها على وجهها . وهنيئا لمن واظب عليها مع الجماعة فى وقتها . لا يشغله عن ذلك مال ولا بنون . ولا تلهيه تجارة ولا بيع ولا يصرفه كسل ولا لعب — ولا يطيع قرين السوء وصديق الفساد

هنيئا لمن أدى صلاته كاملة وانتهى عن الفحشاء والمنكر . وعامل الناس بما أمره به الدين . فإنه يفوز برضاء الله ورضوان الله وذلك هو الفوز العظيم .

عن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » .
(رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد لا بأس به)

شكوى الناس من رب الناس

... يكاد يكون من المستحيلات أن تجد إنساناً راضياً عن مكانه فى الحياة . ذلك لأنك لاتلقى إنسانا فى المنزل . أو فى الطريق أو حتى فى أماكن اللهو واللعب إلا وجدته ساخطاً ثائراً يلعن الدنيا ومن فيها ومافيها . ولايحدثك إلا باكيا حزينا ، ثم يقص عليك من فعل الزمن به ومن حوادث الأيام التى انتابته مايستنزف من عينك الدمع — ويستنزل من قلبك الشفقة . ثم لاينسى ، وإن تمادى بينكما الحديث ، أن يذكر لك مايتمتع به الناس من نعم — ومايعيشون فيه من سعادة . ويكاد يقسم لك أنه — وحده — المصاب المبتلى .

والسر فى هذه الشكوى التى لاتنقطع — وتلك الهموم التى تملأ نفوس الناس — أن كل إنسان ينظر إلى ماينقصه من متع الدنيا . ولاينظر إلى ماعنده . ولايرضى بما عنده مهما جل وكثر .

وتراه كلما وصل إلى غاية تطلع إلى مافوقها ، وهان عليه ماأدركه :

وقد عبر عن هذا المعنى رجل جليل القدر — عظيم الشأن هو سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، الخليفة الأموى الزاهد فقال إن لى نفسا توافة ، تاقت إلى الإمارة فلما نالتها تاقت إلى الخلافة ، فلما نالتها ، تاقت إلى الجنة .

والناس يتطلع أحدهم إلى المال . فإذا نال منه قسطا طلب المزيد : فان كثر ماله طلب الاكثر . ولا يزال يطلب ويستزيد . وهذا معنى قول الرسول الكريم ﷺ لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً :

والناس يتطلع أحدهم إلى الذرية : ويسأل الله أن يهب له من لدنه وليا يرثه ويرث آباءه : فاذا رزق البنات . طلب البنين . فاذا رزق البنين اهتم بمكانهم وحظهم من الحياة .

وقل مثل ذلك فى الصحة . والجاه . والعلم : وما إلى ذلك فلا يزال فى هم من حظوظ الحياة :

ثم ينظر إلى الصفحة من جهتها الاخرى : فاذا فيها حوادث الدهر ونكباته . من نقص فى الاموال : والاولاد . وضعف فى الصحة . وابتلاء فى النفس . فلا يزال — كذلك — يشكو ويئن . ويئن ويشكو :

ونحن نجد فى ديننا الإسلامى أنجع علاج لهذه الامراض : ذلك هو الرضا . الرضا بما حصل عليه الإنسان من خيرات . وما حققه من آمال . والرضا بما يصيبه من احداث : فان الرضا أكبر داعية إلى هدوء النفس وطمأنينتها . وإلى التغلب على آلامها وهمومها :

ولن يرضى الإنسان حق الرضا حتى ينظر إلى الحياة نظراً سليما وحتى يملأ نفسه الإيمان الخالص .

فإذا نظر إلى الحياة نظرا سليما رأى أنه أعطى من الخيرات مايكفل له عيشة هنية راضية . وإذا ملأ نفسه الإيمان الخالص رأى

أن كل الأحداث التى تمر به أمورا عادية فى الحياة ليس هو المختص بها من دون الناس :

على أن الإنسان لو نظر إلى من هو دونه فى شئون الدنيا — كما أمر بذلك ديننا الحنيف — لملأت نفسه السكينة ، وعاش عيشه هادئة هنيئة ، لايكدر صفو عيشته مكدر . ولكن لله فى خلقه شئون .

ولو فكر الإنسان تفكيرا صحيحاً . فيما عنده لرأى نفسه مقصرا فى شكر ماأنعم الله به عليه .

ولقد شكا بعض الناس فقره إلى بعض أرباب البصائر — وأظهر شدة اغتمامه : فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف ؟ قال . لا .

قال: أيسرك أنك قطيع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً ؟

قال : لا فقال أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال .

فقال : أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا:

وهذه الشكوى — شكوى الناس من ربهم — دليل على ضعف إيمانهم . وسوء أدبهم . وهى إن دلت على شىء — فانما تدل على عدم الرضا بقضاء الله وقدر الله . كأنها تخرج الإنسان من حظيرة الايمان وتجعله من حزب الشيطان لا من حزب الرحمن . ويعجبنى قول القائل .

إذا بليت فثق بالله وارض به   إن الذى يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته   مالا مرىء حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه   لا تيأسن فان الصانع الله

وعلى العموم . لو فكر الناس تفكيرا سليما . ولو آمنوا إيمانا

خالصاً لرضوا بنصيبهم من الحياة : ولو رضى الناس بحظوظهم من الدنيا لعاشوا فى سعادة ونعيم :

نسأل الله تعالى أن يجعل الدنيا أكبر همنا ، حتى نخرج منها طاهرين ومن شرورها آمنين .

أخرج مسلم : عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : عجباً لأمر المؤمن . إن أمره كله خير . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء(١) شكر . وإن أصابته ضراء(٢) صبر . فكان خيرا له :

الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى : (لاخير فى كثير من نجواهم إلا أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .

. . . . الإصلاح بين الناس أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة كما جاء فى الحديث الشريف الذى ستسمعوه بعد :

الإصلاح بين الناس واجب دينى مقدس . لأنه فرع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين فرضهما الله على المسلمين — ولأن خيره يعم الدين والدنيا . ويعود على الفرد وعلى المجتمع الإنسانى .

(١) مسألة سارة . (٢) حاجة تضره .

فهو مبعث الأمن والاستقرار، ومنبع الألفة والمحبة، ومصدر الطمأنينة والهدوء، وآية الاتحاد والارتباط، ودليل الأخوة الصادقة والإيمان الصحيح. «إنما المؤمنون إخوة. فأصلحوا بين أخويكم. واتقوا الله لعلكم ترحمون».

الإصلاح بين الناس وظيفة الأنبياء والمرسلين. لا يقوم به من الناس إلا أولئك الذين أطاعوا ربهم، وشرفت نفوسهم. وصفت وصفت أرواحهم، وكمل إيمانهم.

يقومون به لأنهم يكرهون الشر حتى عند غيرهم من الناس. ويمقتون الخلاف حتى غيرهم من الطوائف. ويجدون فى إحباط كيد بالخائنين.

ولو أننا راجعنا الوقائع وتصفحنا الحوادث — لوجدنا أن ما بالمحاكم من قضايا، والمراكز والنيابات من خصومات، وما بالمستشفيات من مرضى، وما بالسجون من بؤساء أذلاء لو راجعنا ذلك وتصفحنا — لوجدناه يرجع إلى إهمال الصلح بين الناس. حتى عم الشر القريب والغريب، وأهلك النفوس والأموال. وهذه النتائج السيئة — وهذه العواقب الوخيمة هى التى نظر إليها الذين عندما أمرنا بالإصلاح بين الناس.

ولا أكون مبالغا أو متجنيا على الحق إذا قلت لكم. إن جميع مشاكلنا الاجتماعية ترجع فى جملتها إلى إهمال ذلك المبدأ القويم.

إسمعوا. إسمعوا وتأملوا إلى ما عليه الناس الآن — تجدوا أن كثيراً منهم قد فسدت قلوبهم، وخبثت نياتهم، لأنهم يحبون الشر

ويميلون إلى الشر ويقومون ويتعمدون فى الشر ويعملون على نشره بين الناس : ومن أجل ذلك يتركون المتخاصمين فى غضبهم ـ حتى يستفحل الشر ويشتد الخصام بينهم فينتقلوا من الكلام إلى الشتم . ومن الشتم إلى اللطم . ومن اللطم إلى العصى ، ومن العصى طبعاً إلى السلاح . ثم بعد ذلك ينتقلون إلى المركز ، ومن المركز إلى النيابة ومن النيابة إلى السجن : والناس فى أثناء ذلك كله وقوف يتفرجون يتتبعون الحوادث . ويتسقطون الأخبار ويتجسسون عليها : بل قد يلهبون نار العداوة والفتنة . ولا يزالون كذلك حتى يقهر القوى الضعيف : ولو كان ذلك بالباطل والزور والبهتان . بدون خوف من الله ولا حياء من الناس .

وتكون النتيجة بعد ذلك ، ضياع ما يملكون من مال أو عقار . وقد كان يكفى لإزالة ما فى النفوس من ضغن وحقد وبغض وكراهة كلمة واحدة من عاقل نبيل مصلح :

لأن الدين الإسلامى الحنيف أوجب على العقلاء من القوم أن يتوسطوا بين المتخاصمين ـ ويقوموا بإصلاح ذات بينهم . ويلزموا المعتدى أن يقف عند حده : درءاً للمفاسد المترتبة على الخلاف والنزاع ومنعا للفوضى والخصام .

وأقوم الوسائل التى تصفو بها القلوب من أحقادها أن يجعل كل امرىء نفسه ميزانا بينه وبين الناس . فما يحبه لنفسه يحبه لهم . وما يكرهه لنفسه يكرهه لهم وبذلك يحبه الله تعالى . ومن أحبه الله ألقى محبته فى قلوب عباده فيكونون له أعوانا .

هذه هى الطريقة التى كان عليها السلف الصالح من المسلمين وكانوا بسبب ذلك من المفلحين : نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من الأحقاد والبغضاء لعباده . إنه على كل شىء قدير .

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ » قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين . فإن فساد ذات البين هى الحالقة . لا أقول تحلق الشعر . ولكن تحلق الدين » . رواه أبو داود والترمذى

ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن فى الصيام

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب (١) عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون « أياما معدودات (٢) » . . قد أظلكم شهر عظيم مبارك هو شهر رمضان . الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس (٣) وبينات من الهدى والفرقان .

أوجب الله فيه على المسلمين الصيام . ليتطهروا من الذنوب والآثام .

---

(١) فرض عليكم كما فرض على الأمم السابقة لعلكم تتقون المعاصى . فإن الصيام يكسر الشهوة .

[٢] أى مؤقتات بعدد معلوم والما نصب [أياما] بفعل مضمر تقديره [صوموا] .

(٣) أى : هداية للناس وآيات واضحات ترشد إلى الحق ، وإلى التفرقة بينه وبين الباطل .

فهنيئا لمن صامه حق الصيام - مراعيا ما أوجبه عليه الدين الاسلامى الحنيف :

والصوم تشريع إلهى - أمر الله المسلمين أن يحملوا أنفسهم عليه شهراً فى كل عام . وهم يعلمون - أو ينبغى أن يعلموا - أن الله سبحانه وتعالى يريد من هذا الأمر غاية عظيمة وخيراً كثيراً . لأنه جل شأنه ما قصد بالصوم مجرد أن يجوع الانسان وأن يظمأ : وإنما قصده أن يكون هذا الجوع . وهذا الظمأ . وسيلة إلى تهذيب النفوس . وتقويم الأخلاق . ورفع مستوى الانسان إلى العالم الملائكى فإذا كنا نقصد من الصيام الامتناع عن الأكل والشرب - فليس هذا هو الصيام . أو ليس كل الصيام . إنما الصيام حقا أن تجوع الجوارح .

فإذا صامت العين عن النظر إلى المحرمات - وصامت الأذن عن سماع المنكرات - وصام اللسان عن التكلم بالبذاءات - وصامت اليد عن إيذاء المخلوقات - وصامت الرجل عن المشى إلى الموبقات - وصام القلب عن الاصرار على السيئات - فهذا هو الصيام حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

فإذا أردت أيها المسلم أن تحوز فضيلة الصوم فى هذا الشهر الكريم ويرضى عنك الاله العظيم - فصم بجوارحك عن المحارم - وصم بخواطرك عن المآثم . واجعل نطقك ذكرا . وسكوتك فكرا . واقطع يومه مجاهدا نفسك . واقض ليله عابدا ربك : وتق سريرتك من همزات الشيطان . وطهر روحك فيه بكثرة الاحسان - وتمسك بالاخلاص - فإنه سفينة الخلاص .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى العمل بأحكام الدين . والاعتصام بحبله المتين . حتى نظفر فى دنيانا وآخرتنا بالخير العميم . والفضل العظيم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم . والصيام نصف الصبر » .

« رواه ابن ماجه »

عيوب كثير من الصائمين

قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، إنا من المجرمين منتقمون » .

... قد بينت لكم فى الجمعة الماضية ، ما يجب أن يكون عليه المؤمن فى الصيام ، وأرى فى هذا اليوم أن أبين لكم عيوب كثير من الصائمين - فأقول وبالله التوفيق :

كلكم تعلمون أن الصوم عظيم الفائدة . جزيل العائدة . وآدابه مطلوبة . وفى شرعة الدين والعقل مرغوبة . وإنى أرى كما ترون .

أن كثيرا من الناس لا يراعون هذه الآداب . ويرتكبون فيه من الهفوات مايفسد عليهم صومهم ويضاعف آثامهم.

فمن المنكرات التى يشتغل بها كثير من الصائمين . سوء الخلق . والاستطالة على الناس باللسان : فيغضبون لأقل الأسباب . ويخرجون عن دائرة الكمال والآداب . ليقول الناس : إن فلانا فى الصيام لا يحتمل أقل الكلام .

وهذا عيب خلق ، وفساد فى العقل ، وضعف فى الدين .

وما فائدة الصيام إذا لم يكن الصائم قوى الإرادة . له سلطان على نفسه يردعها أن تميل مع أهوائها وأن تخرج عن حدها : ومثل هذا ، يدخل فى عداد من قال فيهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ما معناه : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » : لأن من حكمة الصيام ، تعويد النفس على الصبر ! واحتمال المكاره ، وصدها عن غيها وطغيانها ورجوعها إلى صوابها .

وأسوأ من هذا فعلا ، وأقبح منه عملا ، من يجلس إلى الناس ويأخذ فى نهش أعراض المسلمين : وتعداد مساوىء الآخرين ، بلغو الكلام وباطله ، ناسيا أنه لو قام إلى منزله وأكل جيفة قذرة ، خير له من أن يشتغل بذلك .

وأخف من هذين ضررا ، وأقل خطراً ، من يتفكه بلهو الحديث ولغوه . يضيع به الزمان حتى لا يشعر بطول النهار . فهو يجتهد أن يطوى نهاره طيا ، بدون إعمال فكر ، فى ذكر ولا عبادة .

وكان الأولى بهؤلاء الغافلين أن يعلموا أنهم فى شهر عظيم فينتهزوا الفرصة ويدخروا من الثواب ما يرفع عند الله منازلهم : أولئك فى ضلال مبين :

ولا ننسى أن كثيرا من المسلمين إذا أفطروا . اقتصروا على صلاة المغرب والعشاء وطرحوا صلاة التراويح وراءهم ظهريا وكأنهم يستعظمون مشقتها ويستثقلون مؤونتها: وهم لو علموا أنها سنة مؤكدة عن النبى الكريم — وأنها من مميزات هذا الشهر العظيم — وعليها جزاء كبير من الله العزيز الحكيم - لو علموا ذلك حق العلم — لأدوها حق الأداء ، وحرصـــوا عليها كما يحرص على أموالهم البخلاء : ألم يأن الذين اختاروا الإسلام دينا أن يهتدوا إلى سواء السبيل .

هذا ومن قبيح ما نراه من الذين لم يؤدوا صلاة التراويح — أنهم يخرجون بعد أداء صلاة العشاء ويقفون أمام المسجد — ويرفعون أصواتهم بلغو الكلام وباطله فى جلبة وضوضاء يشوشون على المصلين صلاتهم . كأنهم من دين غير دين الذين هم يصلون . وكأنما هم من غير المكلفين بالصلاة . فضلا عن أنهم فى تجمهرهم هذا أمام المسجد بهذه الكيفية يسدون الطريق على السالكين والمارين رجالا ونساء وفى هذا مخالفة للدين : وآداب الدين . وعدم لياقة . وفقد مروءة *(1) ولست أدرى والله متى يفيق هؤلاء الناس من غفلتهم وقد بحت أصواتنا بالوعظ والإرشاد وهم عن ذلك لاهون : فراعوا رحمكم الله

---

(1) خصوصا فى مجالس العلم وقد بينا لكم خطر ذلك مرارا ولكنكم لا تنتبهون ولا تتعظون .

آداب دينكم وقفوا عند حدود شريعتكم . وجنبوا الكلام في مساجد الله * سواء كان ذلك الكلام في شئون الدنيا — أو فيما يتعلق بأعمالكم وأحوالكم . فذلكم أخف لذنوبكم وخير لكم — بدل أن ترتكبوا الآثام وأنتم غافلون .

ألهمنا الله طريق الرشاد . ووفقنا إلى إرشاد العباد .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح فاصنع ما شئت ،

لكل شيء زكاة . وزكاة الجسد الصوم والصيام نصف الصبر

الدين النصيحة

قال الله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم) « التوبة » . . . إن من نظر في أحوال الناس الآن وجد أن المنازعات والمخاصمات الحاصلة بين الأفراد والجماعات ، سببها — في الغالب — سوء المعاملات . فلو أحسن الإنسان معاملة أخيه — وأحسن الابن معاملة أبيه ، وأحسن الأب معاملة بنيه ، وأحسن التاجر معاملة زبائنه . وأحسن الصانع معاملة عماله ، وأحسن الزارع معاملة زراعه ، وأحسن غيرهم معاملة بعضهم بعضا ، لعاش الناس جميعا في أمان واطمئنان

وهناء وصفاء ، وزالت من صدورهم العداوة والبغضاء والشحناء ، وحل الوفاق . محل الخلاف والشقاق .

ولكن مع الأسف أصبحت معاملة كثير من الناس فى هذا الزمان غشا ونفاقا ومكرا وخداعا ونصبا واحتيالا وزورا وبهتانا .

لهذا قد انحطت الكرامة وتدهورت الأخلاق

ولا علاج لهذا الداء إلا بإسداء النصح للناس باتباعهم لأوامر الدين الحنيف واجتنابهم لما نهى الله عنه . والتمسك بمكارم الأخلاق الفاضلة ، والصفات الكاملة .

ولا يخفى عليك أيها المسلم أن الناس إذا تناصحوا — ولا تكون النصيحة إلا بإخلاص وصدق — تآلفت قلوبهم ، واتحدت كلمتهم وحرص كل على نفع أخيه ومصلحته ، وعملوا جميعا لإسعاد بعضهم وفى ذلك سعادة المجتمع ورقيه ورفعته وتقدمه .

والنصيحة أن ترشد غيرك إلى مواطن عزته ، ومنابع سعادته ، ليسلك طريقها ويثابر عليها ، حتى يحصل على ما يطلب من شرف وسعادة .

النصيحة : أن تبصر غيرك بما قد يجر عليه الشقاء ، وأنواع البلاء . ليتوقاه ويبتعد عنه ، أو عما يوصل إلى طريقه .

وسواء فى ذلك ما تعلق بالدنيا أو بالآخرة .

فإنك إن دللت أخاك المسلم على ألا يهمل فى زراعته . أو فى تجارته أو فى صناعته — وأرشدته إلى أن يتحرى الحلال فى معاملاته

ويعامل الناس بلين ورفق وألا يخدعهم ليجلب بذلك لنفسه ربحاً قل أو كثر — وإنك إن فعلت ذلك فقد قمت لأخيك بواجب النصيحة .

وإنك إن حببت إلى أخيك المحافظة على صلواته وبينت له أن الخير كل الخير في أن يؤديها في أوقاتها — مراعياً أحكام الشريعة المطهرة فيها — وأرشدته إلى إخراج الزكاة ، وبينت له أنها وسيلة إلى طهارته من خطاياه ، وأنها تعود المسلمين على العطف على فقرائهم وبسبب ذلك تسود المحبة والمودة بينهم ، وتقل الجرائم ويعم الأمان والاطمئنان وأنها فوق ذلك مرضاة للرب وطريق من طرق مغفرته ورحمته — إنك إن فعلت ذلك فقد قمت لأخيك بواجب النصيحة .

وإنك إن أرشدت أخاك إلى أن الصيام علاج انجح لأمراض النفوس وطب نافع لمداواة القلوب ، يعلم صاحبه الشجاعة والصبر على الشدائد وتحمل المشاق بقلب ملؤه الهدوء والطمأنينة . إنك إن فعلت ذلك فقد قمت لأخيك بواجب النصيحة .

وإنك إن رغبت أخاك في أداء فريضة الحج ، وبينت له أن الحج واسطة التعارف والتآلف بين الأمم الإسلامية ، يتبادلون فيه المنافع ويعقدون المعاهدات التجارية ، ويعملون لإعزاز الإسلام وإعلاء شأنه إنك إن فعلت ذلك فقد قمت لأخيك بواجب النصيحة .

وإذا أقنعت أخاك المسلم بأنه يجب عليه أن يحافظ على جسمه وجميع جوارحه ، فلا يعرضها للمعاصي ولا إلى ما يؤذيها وينقص من قوتها ، وحذرته من شرب الحشيش « والتنباك » والدخان وتناول الأفيون وجميع المخدرات ، وغيرها من جميع « المكيفات » التي يتعاطاها

كثير من الناس فى هذا الزمان. إنك إذا أقنعته بذلك فقد قمت له بواجب النصيحة .

وقصارى القول إن نصحك لأخيك واجب عليك فى كل حال متى مست حاجته إلى نصحك وإرشادك : فإذا أهملت فى ذلك وقصرت تكون مقصراً فى واجب حتمه عليك الشرع ، وطالبتك به المروءة . وندبتك المسارعة به الشهامة والإنسانية .

ولعلك ، وقد تبينت أمر النصيحة ، تعرف أنها لاتدع شيئاً من أمور الدنيا والآخرة إلا بينته وأرشدت إليه ، وحسبنا الله وكفى .

عن تميم الدارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة (١) ، قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله (٢). ولكتابه (٣). ولرسوله (٤) ولأئمة المسلمين (٥) وعامتهم (٦) ، رواه البخارى والترمذى .

---

(١) قال صاحب النهاية : النصيحة كلمة تعبر عن جملة هى : إرادة الخير للمنصوح له . وقال الخطابى : هى كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح : (وليست كلمة تعبر عن هذا المعنى سواها)

(٢) النصيحة لله : الايمان به وطاعة أمره . واجتناب نهيه . ووصفه بأوصاف الكمال . وتنزيهه عن النقائص : وغير ذلك مما يجب له .

(٣) الايمان بأنه كلامه تعالى . والاهتداء بما فيه : وتحليل ما حلله . وتحريم ما حرمه والاتعاظ بمواعظه . والاعتبار بزواجره :

(٤) النصيحة للرسول : تصديقه فيما جاء به واتباعه فيما أمر به ونهى عنه .

(٥) المراد بأئمة المسلمين قادتهم فى شئون الدين والدنيا . والنصيحة لهم باتباعهم على الحق وطاعتهم فيه : وأمرهم به . وتذكيرهم بحوائج العباد :

(٦) إرشادهم إلى مصالحهم فى دنياهم وأخراهم . ونحو ذلك .

وعظ النفس

قال الله تعالى فى كتابه الكريم فى قصة يوسف عليه السلام : «وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى ، إن ربى غفور رحيم » .

من شأن النفس البشرية أن تكون أمارة بالسوء فى عامة الأوقات — بداعى الشهوات البدنية — والأهواء الغضبية ، ونزغات الوسوسة الشيطانية : من شأنها أن تكون كذلك إلا النفوس التى يرحمها الله جل شأنه فيعصمها من ارتكاب المحرمات ، ويوفقها إلى عمل الطاعات :

والحياة مليئة بالعقبات ، محفوفة بالصعوبات ، وفتن الدنيا كثيرة التشعب والأطراف . وراسمة الأرجاء والأكناف : فإذا عود الإنسان المؤمن نفسه على استحضار عظمة الله كلما هم بأمر من أموره ، أو أراد شأنا من شئونه ، فإن سوف يعينه ذلك على قهر الرذيلة فى نفسه . وفى هذا إحسان أو محاولة لإحسان الصلة بالله رب العالمين :

وإذا ارتكب الإنسان شيئاً يغضب الله ورسوله ، ثم فكر فيه بعد أن عمله فشعر بألم نفسى لذلك الشىء كان هذا الألم النفسى ندما يحمله على التوبة ، ورجوعاً عن العصيان ، يقربه إلى الرحمن ، بعد أن كان من حزب الشيطان.

وإليكم مثلا يقرب اليكم هذا المعنى : فيه عظة وذكرى لقوم يعقلون

كان من بين الذين يحضرون الصلاة مع النبى ﷺ رجل اشتهر بسرقة المال . والاعتداء على الأنفس والأعراض .

وفى ذات يوم سمع الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« من ترك شيئا فى الحرام ـ ناله فى الحلال » فصادف ذلك القول من نفسه مرضع القلب . واعتزم أمراً : ولما أقبل الليل تسلل كما تعود فى غفلة من الناس ـ إلى بيت امرأة ، قد مات عنها زوجها ، وتعيش وحدها ، وأخذ يجوس خلال غرفات الدار ، فوجد فى واحدة منها طعاما شهياً . ولما هم أن يتناوله تذكر قول رسول الله ﷺ :

« من ترك شيئا فى الحرام ـ ناله فى الحلال » . فامتنع عنه وهو يشتهيه :

ورأى فى غرفة أخرى كيسا من الذهب : فلما هم بأخذه تذكر قول الرسول : « من ترك شيئا فى الحرام ـ ناله فى الحلال » فتركه .

ورأى فى مكان آخر امرأة ذات جمال وفتنة . رآها مستغرقة فى نوم عميق ، فوسوس إليه الشيطان بقربها ولكنه تذكر قول الرسول أيضا : فخرج من البيت دون أن يصيب شيئا .

ثم ذهب ليؤدى صلاة الفجر فى مسجد الرسول كعادته .

وبعد الصلاة إنزوى فى إحدى اركان المسجد ، مفكرا فيما كان منه نادما عليه ساخطا على نفسه الأمارة بالسوء ، وفى تلك اللحظة أتت المرأة لتقص على النبى صلى الله عليه وسلم قصة هذا السارق الذى لم يخنها

وهى تعجب من ذلك . فابتسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لها : أوحيدة انت تعيشين ؟

فقالت : نعم . لقد مات زوجى .

فأشار الرسول إلى الرجل القابع فى الركن وقال له :

« أمتزوج أنت ؟ » فقال : لا . ماتت زوجتى منذ حين . فقال له « وهذه المرأة مات عنها زوجها ! فهل لكما أن تتزوجا . أم هناك ما مايمنع ؟ » فلم يجيبا حياءاً ؛ فزوجهما الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهنا بكى الرجل وقص على الرسول قصته :

وأيدته المرأة فيما قال . وما إن تنفس الصبح حتى عادا إلى بيتها زوجين .

وتناول الرجل الطعام الذى تركه ، وتملك الذهب ، وتمتع بالمرأة ولكن فى الحلال .

ترون من هذا . أن ذلك الرجل قد فهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ووعى قوله . وصادف ذلك القول من نفسه موضع القلب فعاد إليه ضميره فانقلب فيما بين عشية وضحاها إلى خير ما كان يرجو ويأمل، حتى كان له فى الحلال ، ما تركه فى الحرام .

كما ترون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أبقى على هذا الرجل يغشى مجالسه ويؤدى صلاته ويسمع هديه آملا فى توبته ورغبة فى إصلاح شأنه وطمعا فى هدايته : وخير الهدى : هديه ، عليه الصلاة والسلام .

فهنيئا لمن خالف هوى نفسه . وامتثل أمر ربه . واتبع شريعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

ولله در من قال :

والنفس لا ترجع عن غيها

ما لم يكن منها لها زاجر

ورحم الله من قال : من لم يكن له من نفسه واعظ . لا تنفعه المواعظ . « إن هذه تذكرة . فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

.. من تمسك بالسنة ـ دخل الجنة .

سلامة الصدر من الأحقاد

قال الله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم (١) » .

« .. إذا أردت أن تكون محبوبا عند الناس ورب الناس فاجتهد أن يكون صدرك سليما من الحقد والحسد والبغضاء ، لم : فليس أروح للانسان ولا أطرد لهمومه ولا أقر لعينيه من أن يعيش في دنياه سليم

---

[١] ٨٨ — الشعراء

القلب مبرءاً من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد : إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضى عنها وأحس فضل الله فيها وفقر عباده إليها وذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ، ولك الشكر » [١]

وإذا رأى أذى يلحق أحداً من خلق الله رثى له ورجا الله جل شأنه أن يفرج كربه ، ويغفر ذنبه ؛ لأن صاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ويشتهى لهم العافية ، وبذلك يحيا المسلم أبيض الصحيفة راضيا عن الله وراضيا عن الحياة . مستريح النفس من نزغات الحقد :

فإن فساد القلب بالضغائن داء عياء : وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش ، كما يتسرب السوائل من الإناء المثلوم [٢] .

ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة ، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ، ويطمس بهجتها ، ويعكر صفوها ، أما القلب المشرق فإن الله يبارك في قليله . وهو إليه بكل خير أسرع .

عن عبد الله بن عمر : قيل يا رسول الله أى الناس أفضل ؟

قال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان . قيل : صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : هو النقى التقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد » رواه أبو داود .

---

[١] رواه أبو داود

[٢] المثلوم : أى المكسور من شفتيه شيء

إن سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس إن عجز عن سوقه إليهم بيده . أما الذى لا يجد بالناس شراً فيفتعله لهم افتعالا ويزوره عليهم تزويراً فهو أفاك أثيم : قال الله عز وجل : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ومن فضل الله على العباد أنه استحب ستر عيوب الخلق ولو صدق اتصافهم بها : فلا يجوز لمسلم أن يتشفى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه ، لأن سرد الفضائح وكشف المستور وإبداء العورات ليس مسلك المسلم الحق : ولا شك أن من تلمس العيوب للناس وألصقها بهم عن تعمد يدل على خبث ودناءة . وقد رتب الاسلام عقوبات عاجلة لبعض جرائم الافتراء وما يبيت فى الآخرة لصنوف الافتراء أشد وأنكى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى حديث رواه الطبرانى : « من ذكر أمرأ بشىء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله [١] فى نار جهنم حتى يأتى بنفاذ ما قال فيه » .

وفى رواية أخرى : « أيما رجل أشاع عن رجل مسلم كلمة وهو منها برىء يشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى بنفاذ ما قال » .

فالافتراء على الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد .

ولما كان أثرها شديدا فى تشويه الحقائق وجرح المستورين عدها الاسلام من أقبح الزور .

[١] الحبس : ضد التخلية .. وبابه ضرب

إن الخصومة إذا نمت جذورها وتفرعت أشواكها أشاعت زهرات الإيمان وأبعدت ما يوحى به من سلام وحنان : وعندئذ لا يكون في أداء العبادات المفروضة خير ولا تستفيد النفس منها عصمة .

لقد أوضح الإسلام أن الصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلب للناس وفراغه من الغش والخصومات . لأن الشر إذا تمكن من القلوب فتنافر ودها ارتد الناس إلى حالة القسوة والعناد . يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض .

قد يحدث أن يشعر الإنسان بإساءة موجهة إليه فيحزن عليها ، ويضيق ذرعا بها ويعزم على مقاطعة صاحبها . ولكن الله لا يرضى أن تنتهى الصلة بين مسلم ومسلم إلى هذا المصير .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تقاطعوا ولا تدابروا(١) ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا . ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث(٢) : فإذا مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه . فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر — وإن لم يرد

(١) والتدابر : وهو إعراض بعضهم عن بعض — يحيل المودة إلى جفاء — والرحمة إلى عداء .

(٢) المراد : ثلاث ليال بأيامها . أي ثلاث ليال : بدليل تذكير اسم العدد وهو ثلاث : فإنه يذكر مع المؤنث . وإن صرح علماء العربية بأنه عند حذف المعدود يجوز الأمران . ولكن مراعاة القاعدة أولى .

عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة(١). فمن مات والبغضاء لاصقة بقلبه لا تنفك عنه، فهو جدير بأن يصلى حر النار: فإن ما عجزت الشرائع عن تطهيره لا تعجز النار عن الوصول إلى قراره، وكي أضغانه وأوزاره.

والشحناء التي كرهها(٢) الإسلام وكره ما يدفع إليها أو ينشأ عنها هي التي تكون من أجل الدنيا وأهوائها والطماعية في اقتناص لذائذها والاستئثار بمتاعها: أما البغض لله والغضب للحق والشرف فشأن آخر: فليس على المسلم جناح في أن يقاطع حتى الموت من يفسقون عن أمر الله، أو يعتدون على حدود الله: وليس عليه من لائمة في أن يكن لهم البغضاء ويعالنهم بالعداء: بل إن ذلك أمارة الإيمان الصحيح، والإخلاص لله وحده:

والإنسان في كل نزاع يحصل — أحد رجلين: إما أن يكون ظالما. وإما أن يكون مظلوما: فإن كان ظالما لغيره عاديا عليه ناقضا لحقه — فينبغي له أن يرجع عن غيه، وأن يصلح سيرته حتى ترضى عنه الناس ورب الناس: لأن الإسلام قد أمر الإنسان في هذه الحالة أن يستصلح أخاه ويصالحه، ويطيب خاطره: قال رسول الله ﷺ «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم: إن كان له عمل صالح

---

(١) رواه أبو داود [: وإنما حرم التهاجر بين المسلمين لأنه مجلبة للتقاطع والتدابر. ومدعاة لفساد الأخلاق وتدبير المكايد وفعل السوء: وهذا يعود على الأمة بالتأخر — وعلى الدين بالضياع والفساد.

(٢) كرهت الشيء: من باب سلم.

أخذ منه بقدر مظلمته . وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه(١) » .

ذلك نصح الاسلام لمن عليه الحق . أما من له الحق فقد رغب إليه أن يلين ويسمح ، وأن يمسح أخطاء الأمس بقبول المعذرة عندما يجيء له أخوه معتذراً مستغفراً : لأن رفض الاعتذار خطأ كبير . ففي الحديث الشريف « من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب ملس » « نوع خبيث من نهب المال » (رواه ابن ماجه) . وفي رواية : « من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد على الحوض » (رواه الطبراني) .

وبهذا الارشاد المبين للطرفين جميعاً يحارب الاسلام الأحقاد ويقتل جرثومتها في المهد . ويرتقي بالمجتمع المؤمن إلى مستوى رفيع من الصداقات المتبادلة أو المعاملات العادلة .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يطهر قلوبنا من الأحقاد والأضغان وأن ينير قلوبنا بالايمان . إنه على كل شيء قدير .

قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

---

(١) البخاري .

الرجوع إلى الحق فضيلة

قال الله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » « الصف » .

. . . الحق كلمة حلوة على الأسماع . جميلة الموقع على القلوب ما تمسك به أحد إلا قيض الله له من أخذ بناصره ويشد أزره ويعينه على احتمال نوائب الزمن .

ولقد كرم الله شأن الحق وأعلى منزلته ودعا إليه وضرب الأمثال فيه للناس لعلهم يتفكرون .

تسمى الله جل جلاله باسم الحق . وخلق السموات والأرض بالحق . وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق . وأنزل عليه الكتاب بالحق : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ، وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً » .

والرجوع إلى الحق فضيلة . وسنضرب لكم مثلين من أروع الأمثال فيهما من أعاجيب الفضل والنبل والاعتراف بالجميل لأهله ما يجل عن وصف الواصفين :

روى فى إسلام سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه شرح له قواعد الإسلام وهداية الدين الجديد ، وآنس منه خشوعاً وتفكيراً .

فقال له هذه الكلمة ليست من كلمات المجاملة فى مقام الترغيب والارتفاع : فما كان أبو بكر بالرجل الذى يرسل الكلمات جزافا ولا بالمتكلم الذى يعنيه أن يجامل أحدا بالصدق الذى يرضيه : وإنما قال له ذلك لأنه يعتقد فى عثمان الحزم : (ويحك يا عثمان . والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل) ما هذه الأوثان التى تعبدها وقومك : أليست حجارة لا تسمع ولا تبصر . ولا تضر ولا تنفع ؟

فراجع نفسه وقال : بلى والله إنها لكذلك . فدعاه أبو بكر إلى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم ولقيه . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « يا عثمان : أجب الله إلى جنته » قال عثمان : فو الله ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت . وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله : ثم لم ألبث أن تزوجت رقية .

وإليكم المثل الثانى وهو ينبئكم بصريح العبارة : أن الرجوع إلى الحق فضيلة . وأن الإصرار على الباطل وفعله أكبر رذيلة .

بينما كان النبى ﷺ جالساً بين صحابته رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه مقبلا من بعيد — وعلى وجهه أمارات الحزن والألم . وقد أمسك طرف ثوبه بيده حتى ظهرت ركبتيه . وهو غير ملتفت إلى ذلك لشدة ما هو فيه من الغضب والأسف . فلما رآه النبى ﷺ كذلك عرف بصفاء بصيرته أن هناك حدثا يشغل بال أبى بكر . فقال النبى لمن حوله . أما صاحبكم — يقصد أبا بكر — فقد غامر « وقع فى أمر شديد ودخل فى غمرة الخصومة » .

ثم جاء أبو بكر وسلم على النبى وجلس بجواره ساهما مفكرا .

فسأله رسول الله عما به فقص عليه ، أنه تقابل مع عمر وتناقشا مناقشة فيها شيء من الحدة ثم ندم على ذلك . وسارع إلى الاستغفار ورجا عمر أن يسامحه ويعفو عنه فأبى ذلك عمر لما كان فيه حينئذ من الغضب . ولما أبى عمر جئت إليك يارسول الله أطلب عندك المشورة والرأى » .

فلما أتم أبو بكر القصة وفرغ من شكاته قال له النبى ﷺ وطمأنه بدعوته . « يغفر الله لك يا أبا بكر الله لك يا أبا بكر . يغفر الله لك يا أبا بكر » .

وجلس الجمع فى صمت ينظرون .

ثم إن عمر رضى الله عنه راجع نفسه واستكثر ما فعل . واندم على إعراضه عن أبى بكر وعدم مسامحته له .

فذهب يبحث عن أبى بكر ، وتوجه إلى منزل أبى بكر وسأل أهاهنا أبو بكر ؟ فقال أهله : لا . فتوجه عمر إلى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وسلم عليه فلما رآه النبى جعل وجهه يتغير من الغيظ وأخذ الألم يظهر جلياً فى نفس النبى صلوات الله وسلامه عليه حتى أشفق أبو بكر نفسه من هذا وخشى أن يقسو النبى على عمر من أجله . فجثا على ركبتيه أمام النبى معتذراً آسفاً وأخذ يستعطفه على عمر ويرجوه قائلا :

يارسول الله أنا كنت أظلم . أنا كنت أظلم . لأنه هو الذى بدأ صاحبه بالإساءة .

وأخذ النبى يدافع عن أبى بكر ويذكر له حسناته فى سبيل الله

والإسلام ، فيقول : إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت . وقال أبو بكر صدق . وواساني بنفسه وماله . فهل أنتم تاركون لي صاحبي . فهل أنتم تاركون لي صاحبي .

وهكذا كان الدفاع النبوي الكريم عن أبي بكر الصديق سببا في أن يحفظ المسلمون كبيرهم وصغيرهم حرمة أبي بكر ويذكرون له علو منزلته وسمو رتبته .

هكذا كان الدفاع النبوي الكريم عن أبي بكر الصديق بتلك الكلمة التي كانت فصل الخطاب . في فضل مقدم الأصحاب فلم ينله من الصحابة رضوان الله عليهم مكروه بعدها . لأن فضائل أبي بكر كثيرة . واختص بمزايا عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة يدل على ذلك قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

« ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة . وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر » رواه الترمذي .

وهذا المثل الأخير من أمثال كثيرة في خصومة أولي الفضل والنبل . وهو ينادينا . ألا تغلوا ولا تخاصموا ، فإن لم يكن بد من لغو أو خصام فحسبكم أن تمروا عليه مر الكرام .

ها نحن قد بينا لكم فضيلة الحق ، والرجوع إلى الحق ، والاعتراف بالحق في الصدر الأول ، أما الحق في هذا الزمان فقد أصبح كما تعلمون غريبا مطرحا ، بل أصبح شريداً يتدافعه الناس ويزورون عنه .

فإذا اضطروا إليه أو إلى مواجهته واجهوه على كره منهم في تحايل

ولباقة ومضايقة . والتمسوا ما استطاعوا من الأسباب لتخفيف شدته ، وتهوين حدته . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا فنتبعه ، وأن يرينا الباطل باطلا فنجتنبه ، إنه بعباده رءوف رحيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا . ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه . فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر . وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة .

رواه أبو داود .

« سوء الظن[1] والتسرع في الحكم[2] »

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم » .

. . . من أسوأ ما يؤخذ علينا في أخلاقنا — أننا كثيرا ما نسيء الظن بغيرنا . ونتعجل الحكم عليه من قبل أن نتبين أمره . ونلم بأغراضه ومقاصده .

---

(١) الظن : التهمة من غير دليل .

(٢) أو : « العمل على ما يقوى الروابط الاجتماعية بين الأفراد »

وهذا الحق شائع فى أفرادنا وجماعاتنا . وليس له من سبب سوى قصر النظر . أو عدم القدرة على مقاومة النفس ومغالبة الهوى : فلابد من الاجتهاد فى ضبط النفس والطمأنينة فى الأمر حتى تنكشف الشبهات ويبدو الحق أبلج واضحا . وبعد ذلك نحكم للمرء أو عليه .

وعلى سبيل المثال أقص عليكم حكاية حال فى هذا الباب . فيها عظة وذكرى لأولى الألباب :

عن شقيق البلخى قال :

« . خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية . فبينما أنا أنظر إلى الناس وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى فتى من أحسن الناس وجها واضعا ثوبا من صوف فوق ثيابه : وفى رجليه نعلان من خوص . وقد جلس منفردا عن الناس فقلت فى نفسى : هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس فى طريقهم . والله لأمضين إليه وامتحنه وأوبخه(١) قال فدنوت منه . فلما رآنى قال : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم » .

ثم تركنى ومضى : فقلت فى نفسى : إن هذا الأمر عظيم . قد تكلم عما فى نفسى : ما هذا إلا عبد صالح : والله لألحقنه واستحله مما كان منى : فأسرعت نحوه فلم ألحقه وغاب عن عينى : فلما نزلنا

(١) وليس من شأنه قولك لأن المؤمن كرامة : فلا ينبغى أن يتهم بسوء غير معتمد على دليل .

وأفضت من عرفات إذا به قائم يصلى، وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجرى : فقلت : هذا صاحبى : فمضيت إليه وصبرت حتى فرغ من صلاته وأقبلت نحوه : فلما رآنى مقبلا قال . يا أخى . اقرأ قوله تعالى « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » ثم تركنى ومضى . فقلت . إن هذا الفتى قد تكلم على ما فى سرى مرتين . فلم أره حتى دخلنا مكة . فرأيته ليلة من الليالى وهو قائم يصلى بخشوع وأنين وبكاء . فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل . فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح الله . ثم قام يصلى صلاة الصبح . فلما سلم من الصلاة طاف سبعا ثم خرج . فتبعته . وإذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق . ودار الناس من حوله وهم يسلمون عليه ، فقلت لبعض من كا بالقرب منه . من هذا الفتى ؟ .

فقال : هو موسى بن جعفر بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم .

حرام أن يظن الواحد منا بأخيه سوءاً من غير تثبت ولا دليل (١) حرام عليه أن يتهمه فى عرضه أو دينه أو غيرهما فى حين أنه قد يكون بريئا فينتقم الله له . والله عزيز ذو انتقام . حرام أن نجعل للظن الفاسد اعتباراً بيننا فنرتب عليه قطع العلائق الأخوية ونقصر فى الواجبات الانسانية . أو نبنى عليه عداءاً وخصاما . إن فى ذلك لذكرى لقوم يتفكرون .

---

(١) لأنه بذلك يسىء إلى نفسه وإلى غيره : أما اساءته إلى نفسه فلأنه يوقعها فى الشك والقلق والتفكير والألم . وأما اساءته الى غيره فلما فى ذلك من الظلم واتهام الأبرياء . ولما يؤدى اليه من قطيعة وبغضاء .

نسأل الله تعالى أن يبعدنا عن سوء الظن بالمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . وأن يقينا شر دواعي السيئات والشهوات، إنه على كل شيء قدير .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إياكم والظن . فإن الظن أكذب الحديث » (١)

كن مع الله

قال الله تعالى : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»... من نظر في حسن تدبير الله ولطائف صنعه وكمال قدرته في كل شيء من نظر في ذلك كله . علم أن الله تبارك وتعالى قائم على كل نفس بما كسبت . وأن نواصي العباد بيده يقلبهم كيف شاء : فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه : ومتى علم الإنسان ذلك ، اعتصم بالله واستسلم لله وفوض أمره إلى الله .

ولقد صدق من قال :

العبودية مبنية على عشر خصال : الاعتصام بالله في كل شيء . والرضا عن الله في كل شيء . والرجوع إلى الله في كل شيء . والفقر إلى الله في كل شيء . والإنابة إلى الله في كل شيء . والصبر

---

(١) أبعد عن الحق : وقد سمى « الرسول عليه السلام » الظن حديثاً — لأنه حديث نفسي . وجعله أكذب الحديث لأنه لا يستند على شيء من البرهان

مع الله فى كل شىء . والانقطاع إلى الله فى كل شىء والاستقامة بالله فى كل شىء . والتفويض إلى الله فى كل شىء . والتسليم لله فى كل شىء .

إذا عرفت ذلك أيها المسلم فكن مع الله تعش آمنا . كن مع الله فى شدتك ورخائك . وعسرك ويسرك . وصحتك ومرضك وحزنك ومسرتك .

كن مع الله فى سرك وعلانيتك . وفى ليلك ونهارك . وفى ظعنك وإقامتك : كن معه حين تمسى . وكن معه حين تصبح . وكن معه فيما بين ذلك من آناء الليل وأطراف النهار : واذكره دائما . واستشعره فى قلبك دائما واستعن به فى كل أمورك دائما وإذا وقعت فى شدة أو نابتك نائبة أو ألمت بك ملمة فلا تلجأ إلا إليه ولا تسأل غيره ولا تعول إلا عليه : فهو وحده القادر على تفريج كربتك وهمك . فاعمل بأوامره واجتنب نواهيه تظفر برضاه ويحفظك من كيد الكائدين. ويرد عنك مكر الماكرين : ٭

وعلى سبيل المثال أقص عليك مثلا من حال أهل الحقيقة مع الله. إذا عمل بها الانسان سعد فى دنياه وفى أخراه :

عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه قال : رأيت رجلا فى بعض أسفارى وعليه ثوب من الشعر . فسلمت عليه . وقلت له : رحمك الله أسألك مسألة . فقال لى : قل وأوجز . ولا تلهنى عن طاعة ربى . إن الأيام تمضى . والأنفاس تعد وتحصى. والرب مطلع يسمع ويرى . فقلت له : ما رأس التقوى ؟ فقال : الصبر مع الله .

فقلت ما رأس الصبر؟ فقال: التوكل على الله. ثم قلت له: من أعظم الناس وأقوى الناس؟ فقال أعظم الناس من استغنى بالله. وأقوى الناس من استقوى بالله. ثم قلت له: متى يكون العبد مبعداً من الله؟ فقال: إذا صار محجوبا عن الله. فقلت: ومتى يكون محجوبا عن الله؟ فقال: إذا كان فى قلبه هم غير الله. وأخيراً قلت له: أوصنى، فقال: اعمل بطاعة الله. وارض بقضاء الله. واستأنس بذكر الله تكن من أصفياء الله.

وسئل يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه. ما علامة القلب الصحيح؟ فقال: الذى هو من هموم الدنيا مستريح. قيل له: وما العون؟ فقال. هو ذكر الحى الذى لا يموت.

وقال يوسف بن سباط رضى الله عنه: من عرف الله وفى قلبه هم سوى الله لم يسجد سجدة خالصة لله، ومن عرف الله ولم يستغن بالله فلا أغناه الله، ومن قال (الله) وفى قلبه شىء سوى الله فلم يقل (الله) ومن طلب رضاء مولاه فلا يبالى بسخط ما سواه، ومن كتم أسرار القلوب ظهرت له أسرار الغيوب. ومن سكن قلبه إلى شىء ـ فليس من الله فى شىء.

فاتقوا الله فى أنفسكم. وتفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم. وأقبلوا على الله بقلوبكم. واعتصموا به فى جميع أموركم.

جعلنى الله وإياكم ممن يعملون بما يعلمون.

عن أبى العباس ـ عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما قال:
كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا غلام: إنى أعلمك

كلمات : احفظ الله يحفظك (١) احفظ الله تجده تجاهك (٢) إذا سألت فاسأل الله (٣) وإذا استعنت فاستعن بالله (٤) . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف (٥) .

رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح

---

(١) احفظ عهود الله ومواثيقه بالوفاء يحفظك من كل شر ويرعاك بعنايته فلا يكلك الى غيره طرفة عين .

(٢) حافظ على حدود الله تجد معونته وهدايته وتوفيقه أمامك يقودك الى الخير حيث كنت وأنى شئت .

(٣) قال بعض العارفين : قرأت آيات في كتاب الله فاستغنيت به تعالى عن الناس قرأت :

١ — قوله تعالى : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » فلم أسأل غيره كشف ضري : ٢ — وقوله تعالى : « وان يردك بخير فلا راد لفضله » فلم أر الخير والفضل الا منه . ٣ وقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » فلم أطلب الرزق من أحد سواه .

(٤) تجده يوصيك أن تطلب العون على قضاء حوائجك وأمانيك الدنيوية والأخروية من الله وحده . فهو المعين ، وكل ما سواه « معان » لا يقدر على شيء .

(٥) هذه الكلمة صريحة في أن القضاء قد جف بكل ما هو كائن الى يوم القيامة وأنه : « اذا عقد القضاء عليك أمرا — فليس يحله الا القضاء » . قال تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها . ان ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

الحب في الله والبغض في الله

قال الله تعالى : لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

يجب على كل عاقل أن تكون أعماله كلها منطبقة على ما تأمر به الشريعة المطهرة ، فيحب من الناس من سلك النهج القويم .

ويبتعد عمن حاد عن الصراط المستقيم . ومن اتبع هذه الطريقة انطبع في قلبه حب الكمال والإيمان ، فيكون عدو الله في نظره عدواً وحينئذ يرى أن أعظم الناس قيمة أهل الإخلاص والطاعة ، وأحطهم منزلة أهل المعصية والشناعة :

وكذلك كان شأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وشأن أصحابه رضى الله عنهم . يحبون في الله ويبغضون في الله ويوادون الطائعين وإن كانوا بعداء . ويعادون العاصين وإن كانوا قرباء ، فرابطة التقوى عندهم أشد وأقوى من رابطة النسب والقرابة .

وعلى سبيل المثال أقص عليكم حكاية حال تاريخية في هذا الباب فيها عظة وذكرى لأولى الألباب :

أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه كان صحابيا جليلا وملاحقا من أبطال المسلمين المجاهدين . وكان أبوه « عبد الله » كافراً وفارساً مغواراً من أساطين المشركين ، حرص عبد الله على قتل ولده « أبى عبيدة رضى الله عنه » فى أول لقاء : ليلقى عليه درسا فى حقوق الوالدين ومخالفة الأبناء الآباء ، لأن ولده ترك دينه واعتنق الإسلام وتخلف عن قافلة قريش والتحق بقافلة محمد عليه الصلاة والسلام . مؤمنا بدينه — مصدقا برسالته .

تصدى عبد الله لابنه محاولا قتله فى « غزوة بدر » ولكن الابن نأى عن أبيه وحول سيفه عنه وانطلق إلى فئة أخرى يقاتلها ويجاهدها وافترق الرجلان ، ولكن الأب بحث عن ابنه حتى التقى به مرة ثانية ورفع عليه سيفه — ووجه إليه ضربة قاضية استقبلها أبو عبيدة بحركة خفيفة جعلتها تهوى فى الفضاء . ولكن الأب صمم على أن لا يفلت منه ابنه مهما كلفه ذلك من غالى الثمن : فبحث عن ابنه هنا وهناك ونقب عنه فى كل مكان حتى التقى به مرة ثالثة : ورفع الرجل سيفه ليوجه إلى ابنه ضربة قاضية مميتة يشفى بها قلبه المكلوم . ويهدىء بها نفسه الثائرة على ابنه العاصى العاق .

وهنا نظر أبو عبيدة أن أباه يعترضه ويتصدى له . وفى اعتراضه هذا اعتراض للاسلام ، فما أبو عبيدة إلا جندى من جنود الإسلام ، وإن فى تصديه له سداً بينه وبين إقامة دين الرحمن ، وانتشار كلمة الله فى الأرض .

فهل يصمت أبو عبيدة عن هذا ؟! وهل يسكت على من يحول

بين دعوة الله أن تقوم فى الأرض وأن تنتشر بين الناس : كلا . . .
إن هذا لن يكون .

لقد أدى ماعليه نحو أبيه . وأعرض عنه مرتين ولكن مادام أبوه يحرص على قتله على هذه الصورة ، فليكن هو أسبق من أبيه فى حرصه على قتله كذلك . والتقى السيفان ، وتقابل الرجلان . ووقف الخصمان . وفى لمحة خاطفة رفع الرجلان سيفهما كل يحرص على قتل صاحبه ، والانتصار لدينه .

ورفع أبو عبيدة يده عالية خفاقة ، وفى سرعة ومضاء أهوى بسيفه البتار على قلب والده الذى يمتلىء حقدا وغضبا على الإسلام ودعوة الاسلام . . . ومزق السيف قلبه . . . وانفجر الدم منه كثيراً غزيراً . .

وكانت هذه الساعة من ساعات التاريخ الفاصلة ، اهتزت لها السماوات ، وسجلتها الملائكة فى سجلات السماء . ونزل جبريل من السماء مسرعا يبشر أبا عبيدة رضى الله عنه برضوان من الله وجنات تجرى من تحتها الأنهار . قال الله تعالى . (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

وأنصت أبو عبيدة رضى الله عنه لآيات الكتاب الكريم فاطمأن

قلبه، وانشرحت نفسه أن رضى الله عنه . وكتب الايمان فى قلبه ووعده بنصره وتأييده . وجعله من حزب الفلاح .

هذا هو الحب فى الله . والحب فى الله يدوم لدوام الله . والحب فى الله جميل لأنه مظهر لجمال الله، وما كان لله دام واتصل . وما كان لغير الله انبت وانقطع . . . فليس الحب فى الله كلمة تقال ويدعيها المدعون ، وإنما الحب فى الله أن يكون الله غايتك حين تستمر على هذا الحب .

ليس من الحب فى الله أن تصادق صاحبك مادام فى نعمائه وسرائه فاذا تخلت عنه نعماؤه تخليت أنت عنه وتركته وحـــده يعانى بأسائه وضرائه .

وليس من الحب فى الله أن تصادق صاحبك مادام ذا جاه . فان زال الجاه زلت عنه ، وفررت منه .

ليس من الحب فى الله أن تحترم صاحبك مادام معك . فإذا غاب عنك فريت جلده ، وتناولت عرضه .

وليس من الحب فى الله أن يجتمع الصاحبان على معصية الله وأن يتآزرا على هتك حرمات الله .

ليس من الحب فى الله أن تترك صاحبك يتخبط فى أخطائه أو تغطى عنه عيوبه بحجة الرفق به والخوف على صداقته .

وقانا الله شر النفاق ، وجعل محبته رائد أعمالنا ، وسبيل حياتنا إنه على كل شىء قدير .

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان».

كما يدين الفتى يدان

قال الله تعالى: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير).

قضت حكمة الله جل شأنه أن يكون الناس بين بسط وقبض وعطاء ومنع وغنى وفقر وصحة ومرض وعزل وذل وفراغ وشغل وحرب وسلام واجتماع وافتراق وحب وبغض وغير ذلك من أعراض.

اقتضت حكمته ذلك تحقيقا لضعفهم امام الربوبية، وامتحانا لهم بكلا الأمرين، من نعمة ونقمة، وتمحيصا للصابرين وتمييزا للمنافقين. لانسان لا يضمن لنفسه في هذه الحياة الدنيا أن تجرى أموره على نسق واحد، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

إذا علمت ذلك عرفت أن الدهر يومان. يوم لك يوم عليك. فان كان لك فلا تبطر. وإن كان عليك فاصبر. فكلاهما سيتحسر وينكشف ويزول، وكما يدين الفتى يدان..

وإليك حكاية حال في هذا الباب . فيها عظة وذكرى لأولى الألباب :

حدث أهل الأدب أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية ، فوقف سائل يطرق الباب ويقول : مسكين منقطع وابن سبيل ، يطلب من الله ما يسد به رمقه ويقيم به أوده وصلبه . فخرج إليه الرجل غاضباً ونهره وزجره ورده رداً غير كريم ، فانصرف السائل كاسف البال كئيبا حزينا .

ودارت الأيام دورتها وإذا ذلك الرجل قد افتقر بعد غنى وزالت عنه النعمة واحتاج إلى السؤال . فلم يطق على ذلك صبرا . . فرحل عن بلده يضرب في الأرض ويعيش على إحسان المحسنين ، وصدقات المتصدقين .

وكان قــد طلق زوجته قبل رحيله ، ثم إنها تزوجت من رجل آخر في بلدة غير بلدها ، وقد اتفق أن جلس زوجها الثاني يأكل معها في بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشويه وبعض أرغفة ، وإذا بسائل يطرق الباب ويقول . منقطع وابن سبيل ، فقال الرجل لزوجته ، إحملي هذه الدجاجة وادفعيها إليه ، ومعها هذان الرغيفان . فخرجت بجميع ذلك إليه ، فاذا هو زوجها الأول . فدفعت إليه الدجاجة والرغيفين ، ورجعت إلى مكانها باكية . فسألها زوجها فأخبرته أن السائل كان زوجها الاول ، وذكرت له قصته مع ذلك السائل الذى انتهره وزجره ، ورده أقبح رد .

فهز الرجل رأسه وأطرق قليلا ثم قال لها : والله لقد كنت أنا ذلك السائل الذى كان يسألكما أولا . .

من هذا نعلم أن دوام الحال من المحال . وأن الأيام دول ، مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وأنه كما يدين الفتى يدان .

ولقد صدق ذلك الشاعر الحكيم حيث يقول :

لكل شيء إذا ماتم نقصـــان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لاتبقى على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان

كما نعلم أن القول الجميل تصرف به السائل الملح خير من أن يتصدق عليه ثم تتبع هذه الصدقة بكلمة إساءة تجرح بها إنسانيته . أو يسيء بها إلى آدميته .

وفي القرآن الكريم مايؤيد ذلك : قال تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم) .

وفي الحديث الشريف يقول الرسول الكريم ﷺ : « تصدقوا ولو بشق تمرة . فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » .

في هذا الحديث يحض الرسول ﷺ على التصدق ولو بالقليل ، وعبر عليه السلام عن ذلك القليل بشق التمرة ، فإن لم يجد الانسان شق التمرة ، فليتصدق بكلمة طيبة .

وقد يبدو غريبا أن تكون الكلمة الطيبة صدقة ، ولكن الواقع أن هذه الكلمة تحل محل الصدقة عند الفقير . بل قد تزيد قيمتها عن الصدقة ، فإنها تدخل السرور على نفس الفقير وتشرح صدره أكثر مما يسره القرش والقرشان . . . . وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ .

« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » وعلى هذا . فطلاقة الوجه وبشاشته تملأ قلب أخيك بشراً وحبوراً كما أسلفنا .

فاتق الله أيها المسلم واعلم أن من كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ، فان قام فيها بما أمر الله عرضها للدوام والبقاء وإن لم يقم فيها بما أمر الله عرضها للزوال والفناء .

وفقنا الله جل شأنه إلى الخير ، وعمل الخير ، وبذل الخير ، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

قال رسول الله ﷺ :

« البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان » .

رجال السلف ورجال الخلف

قال الله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) ٧٠ النساء .

قد أوضحت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وبينت أن أفضل الناس عند الله وعند الناس هم الذين هدوا إلى الحق فاتبعوه . وآمنوا

به ولزموه . ووقفوا عند حدوده ولم يجاوزوه ، وتركوا الباطل واجتنبوه . لا يبغى بعضهم على بعض . ولا يسلب بعضهم حق بعض . ولا يكيد بعضهم لبعض ، ولا يمكر بعضهم ببعض ، وإنما تجرى حياتهم وتقوم عشرتهم على احسن ما يكون ، من المحبة ، والالفة والمودة . لا يبخل غنيهم على فقيرهم . ولا يضن قويهم على عاجزهم . انصفوا أنفسهم من الناس ، وانصفوا الناس من أنفسهم . فلا موضع للاختصام . ولا مكان للاتحكام ، أراحوا أنفسهم من عناء الدنيا وشر الدنيا ومحاكم الدنيا . وكانوا مثلا أعلى في الغابرين .

واليكم حكاية حال تاريخية ، تنطبق تمام الانطباق على هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الصفات الحميدة ، والاخلاق الكريمة ، اقصها عليكم لعلكم تتذكرون ، وبها تعملون :

عين ابو بكر الصديق رضى الله عنه عمر بن الخطاب قاضياً على المدينة فمكث عمر سنة لم يفتح جلسة ، ولم يختصم إليه اثنان : فطلب من أبى بكر إعفاءه من القضاء . فقال ابو بكر : أمن مشقة القضاء تطلب الاعفاء يا عمر ؟ فقال عمر : لا يا خليفة رسول الله . ولكن لا حاجة لى عند قوم مؤمنين . عرف كل منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه . وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه . أحب كل منهم لاخيه ما يحب لنفسه . .

وإذا غاب أحدهم تفقدوه . وإذا مرض عادوه . وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه ، وإذا أصيب واسوه . دينهم النصيحة

وخلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ففيم يختصمون إذن ياخليفة رسول الله ؟ !!

من هـذا كله ترون أن أفضل المؤمنين إيماناً هم الذين عرفوا الله فعرفهم ، وأطاعوه فأعلى قدرهم . وأن شر الناس منزلة يوم القيامة عند الله من يعرف الخير ولا يفعله ، ويرى الشر فلا يتجنبه ويرى أخاه فى الإنسانية بائساً ولا يعطف عليه ولا يرحمه . فهذا ومن على شاكلته أعداء أنفسهم ، أعداء دينهم ، أعداء أمتهم ، يبغضهم(١) الله تعالى ، ويبغضهم أهل الأرض جميعاً . أولئك هم شر الناس . لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ! لأنهم أعرضوا عن الأوامر الالهية ، فتركوا الواجبات ، وفعلوا ما حرم الله عليهم من المنكرات . وأصبحوا فى طغيانهم يعمهون .

فيجب على كل عاقل أن يتخذ لنفسه الحيطة منهم ولا يعتمد عليهم فى مهم ، ولا يرجوهم لكشف ملم : بل يكون منهم على حذر بقدر ما يستطيع .

وقصارى القول أن الناس لو تمسكوا بأوامر دينهم ، وتخلقوا بالأخلاق الكريمة وتحابوا وتضامنوا . وأخلص بعضهم لبعض لكانوا اليوم من أعز خلق الله . ومن أغنى خلق الله . ومن أكرم خلق الله على الله ، ولكنهم تفرقت أهواؤهم ، وامتلأت قلوبهم حقداً وبغضاً ونفاقاً وحسداً — فكان حقاً على الله أن يبدل عزهم ذلا وغناهم فقراً :

(١) البغض ضد الحب وقد بغض الرجل من باب ظرف أى صار بغيضاً .

وأن يجعلهم مطية لكل راكب، وما ظلمهم الله . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون :

نسأل الله تعالى أن يحفظنا من شرورهم ، ويقينا من كيدهم ومكرهم ويجعلنا من عباده المتقين ، ويوفقنا إلى العمل بشريعة سيد المرسلين . إنه سميع مجيب .

قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

رواه مسلم

الموعظة الحسنة

من نفائس الحكم — وجوامع الكلم (١)

قال الله تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) ٤٣ — العنكبوت .

قد اخترت لك في هذا اليوم عظة دينية من نفائس الحكم ، وجوامع الكلم ، فاستمعها واعمل بها تكن في دنياك من الفائزين ، وفي أخراك من الناجين .

أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلك بذكر الموت : فالدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة ، ولا تعصي

مولاك بطاعة هواك ، وقدم إلى الحشر زادك ، فإن إلى الله معادك .

فينبغى أن تكون اليوم مشغولا ، بما تكون غدا عنه مسئولا : فأعد للسؤل جوابا . وللحق صوابا . فمن نظر فى عواقب الامور ، سلم من نوائب الدهور ، وإذا أردت المكارم : فاجتنب المحارم ، وقليل يكفيك ، خير من كثير يطغيك : فمن لم يقنع بالقليل ، وقع فى غم طويل ، ومن رضى باليسير ، فقد استراح من شغل كثير :

لان الرزق مقسوم ، والحريص محروم : ودع التدبير ، إلى الملك الخبير ، ولا تغتر بصفاء الأوقات ، فان تحتها كمون الآفات ، واعلم أن العبد إذا سخط عليه مولاه ، سخط عليه ما سواه ، وإذا رضى عنه مولاه رضى عنه ما سواه : وما دام قلب العبد بغير مولاه معلقا ، كان باب الصفاء عنه مغلقا . وإذا سبقت من الرب العناية — هزمت عن العبد الجناية ، ومن كان له باطن صحيح ، فجميع كلامه مليح : ومن أعرض عن صحبة الفجار ، عوضه الله صحبة الأبرار . ومن جانب الأخيار ، أساء الاختيار : ومن رضى بالله وكيلا ، وجد إلى كل خير سبيلا .

أيها المسلم : حاسب نفسك تسلم ، ولا تقتحم الأخطار تندم ، ولا تقل إلا ما يطيب عنك نشره ، ولا تفعل إلا ما يسطر لك أجره ولا تفن عمرك فى المعاصى ، وخذ حذرك من مالك النواصى .

وإياك وكثرة الكلام . فإنها تنفر عنك الكرام .

ولا تودع سرك غير صدرك ، ولا تتكلم بما يحوجك إلى إقامة عذرك فمن حفظ لسانه واعرض عما لا يعنيه ، وكف عن عرض أخيه ، دامت سلامته وقلت ندامته : ومن كثر كلامه ، كثرت آثامه وقل وقاره واحتشامه : فاقتصر فى كلامك على اليسير ، وانزجر عن إحترامك الكبير والصغير فمن قال مالا ينبغى ، سمع مالا يشتهى ، لأن طعن اللسان ، أشد من طعن السنان . وجرح الكلام أشد من جرح الحسام : والزم الصمت تلزمك السلامة ، واصحبه تصحبك الكرامة ، وإياك وما يستقبح من الكلام ، فانه ينفر عنك الكرام .

فمن قال بلا احترام ، أجيب بلا احتشام . فقوم لسانك تسلم ، وقدم إحسانك تغنم .

واعقل لسانك إلا عن حق توضحه . أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تشكرها : ولا تقل ما يسيئك جوابه ، ويضرك معانبه ولا تقل ما يشينك عاجله ، ويضرك آجله .

واعلم أنك إن سكت عن الجاهل فقد أشبعته جواباً . وأوجعته عقابا : فان غاظك بقبيح الشتم منه ، فغظه بحسن الحلم عنه . فمن غرس شجرة الحلم ، إجتنى ثمرة السلم ، ومن زرع خيرا ، حصد أجراً وليس من عادة الكرام ، سوء الإنتقام ، فالظلم مسلبة للنعم ، والبغى جالبة للنقم فمن طال عدوانه ، زال سلطانه . ومن كثر ظلمه واعتداؤه ، قرب هلاكه وفناؤه . ومن طال تعديه ، كثرت أعاديه . ومن غدر ساءه غدره ، ومن مكر حاق به مكره : وربك

الباغين ، من أحكم الحاكمين ، فاصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور .

قال رسول الله ﷺ :

« من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته » .

الموعظة الحسنة

من نفائس الحكم وجوامع الكلم (٢)

قال الله تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) .

من اتقى الله وقاه ، ومن اعتصم به نجاه ، ومن حاسب نفسه سلم ومن حفظ دينه غنم ومن قنع بالرزق ، استغنى عن الخلق . ومن رضى بالمقدور قنع بالميسور ، ومن رضى بالقضاء ، صبر على البلاء ومن رضى بما آتاه الله من خيره ، لم يغمه ما يراه من غيره . ومن اكتفى باليسير استغنى عن الكثير ، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد ومن رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن وثق بالله أغناه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن خافه قلت مخافته ، ومن عرفه تمت معرفته . ومن عرف الدنيا وطلبها فقد أخطأ الطريق وحرم الرفيق .

ومن طلب السلامة ، لزم الاستقامة . ومن نظر فى العواقب ، سلم من النوائب .

ومن كثر اعتباره ، قل عثاره ومن أقبل على النصيح ، أعرض عن القبيح . ومن استفش النصيح ، إستحسن القبيح ، ومن اصفر وجهه بحسن النصيحة ، إسود وجهه بقبيح الفضيحة . ومن عاد إلى ذنبه ، فقد اجترأ على ربه . ومن سره الفساد ، ساءه العناد ، ومن لم يكن له من عقله زاجر لم تردعه الزواجر .

من أطاع الله جل وارتفع ، ومن عصاه ذل واتضع من أطاع الله ملك ، ومن أطاع هواه هلك . ومن فعل ما شاء ، لقى ماساء ومن قلت فكرته ، اشتدت عثرته ، ومن طالت فكرته ، زالت عثرته . ومن أعمل الفكر غنم ، ومن ركب العنف ندم ومن استعان بذوى العقول ، فاز بدرك المأمول . ومن استشار ذوى الالباب ، سلك سبيل الصواب . ومن كتم سره ، أحكم أمره . ومن حسنت سياسته ، دامت رياسته . ومن لزم الرقاد عدم المراد . ومن دام كسله خاب أمله . ومن أخلد إلى التوانى — لم يحصل على الأمانى . ومن طالت غفلته ، زالت دولته . ومن خاف صولتك ، تمنى موتتك ومن اغتر بمسالمة الزمن ، عثر بمصادمة المحن .

ومن قصر عن سياسة نفسه كان عن سياسة غيره أقصر — ومن غدر بأهل بيته كل بأهل وده أغدر ، ومن ضيع نفسه كان لغيره أضيع ، ومن منع بشره كان لبره أمنع . ومن أصلح فاسده ، أساء حاسده .

ومن كثر إحسانه ، كثر إخوانه . ومن عدل عن الإحسان ، قل على الاخوان . ومن منع العطاء ، منع الثناء ومن أغلق على ضيفه بابه ، ذم إليه خلقه وآدابه . ومن بخل على نفسه بخيره ، لم

يجد به على غيره . ومن هان عليه المال — توجهت إليه الآمال . ومن جاد بماله جل — ومن جاد بعرضه ذل. فعادة الكرام الجود — وعادة اللئام الجحود. فجود المرء يحببه إلى أضداده — وبخله يبغضه إلى أولاده من جمع المال لينفع الناس أطاعوه — ومن جمعه لنفسه أضاعوه . من أحسن فبنفسه بدا — ومن أساء فعلى نفسه اعتدى .

من أطاع هواه — باع دينه بدنياه . ومن صح دينه — صح يقينه ومن زادت شهوته . نقصت مروءته . ومن لا مروءة له فلا دين له ومن لا حياء فيه. فلا خير فيه ومن كان أكثر همه الطعام. كان أكثر كسبه الحرام ومن غلبته شهوته — قتله أكله . ومن غلبت عليه شهوة الكلام . تصرفت ألسنة الملام.

من سالم الناس ربح السلامة ومن تعدى عليهم كسب الندامة ، ومن زرع العدوان حصد الخسران ، ومن طال عدوانه زال سلطانه ومن طال عناده — طاب بعاده . ومن لم يرحم الناس منعه الله من رحمته ومن استطال عليهم سلبه الله قدرته .

من حسنت سيرته وجبت طاعته . ومن ساءت سيرته زالت قدرته ومن أصلح لله نفسه صلحت رعيته . ومن أطاعه فى أمره ونهيه وجبت طاعته ، ومن خضع لعظمته ذلت له الرقاب ، ومن توكل على معونته سهلت عليه الصعاب . إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته »

الأخوة الصادقة وكيف تكون

قال الله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله . إن الله عزيز حكيم) .

مما يرفع العبد عند الله درجات ويكون سبباً في نزول الرحمات اتخاذ إخوان في الله يتعاون معهم على نصرة الدين ، ويعمل معهم على إصلاح شئون إخوانه المسلمين .

فلا بد أن يكون الصاحب ديناً بعيداً عن الفسوق والعصيان . لأن الفاسق لا يخاف ربه ، فيمكر بك ويوقعك في الهلاك والردى ، ويقذف بك في مستنقع الخبائث ، ويوردك موارد الهلاك والمعايب .

ولقد أحسن الذي قال : إن الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس أمارة بالسوء ، والأخ الصالح لا يأمرك إلا بخير والصديق الموافق خير من الشقيق المنافق .

وفي الأمثال العربية : رب أخ لم تلده أمك .

كان بين حاتم طي وبين أوس بن حارثة ألطف ما كان بين اثنين . فقال النعمان لجلسائه : لأفسدن ما بينهما . فدخل على أوس فقال له : إن حاتما يزعم أنه أفضل منك ، فقال : صدق . ولو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لوهبنا في يوم واحد . ثم خرج فدخل على حاتم فقال له مثل ذلك . فقال : صدق : أين أقع من

أوس ، وله عشرة ذكور أدونهم أفضل منى ، فقال النعمان : مارأيت أفضل منكما .

فصحبة الأخيار تورث الخير . وصحبة الأشرار تورث الشر فلا تصاحب إلا رجلا تنتفع به . به أو تستفيد من علمه . أو ترجو بركة دعائه .

مدح أعرابى صديقاً فقال: مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة .

وقال أبو جعفر بن محمد : عليك بصحبة من إذا صحبته زانك وإن خدمته صانك . وإن نزلت حالة مابك أعانك . وإن سألته أعطاك ، وإن تركته بداك ، وإن رأى حسنة أظهرها وإن رأى سيئة سترها .

وقال إياس لأحد إخوانه : قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم فى يومين ، فقيل له ، وكيف ذلك ؟ فقال كان معنا خيار وشرار فلحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فألف كل شكله وصاحب كل نظيره
وقال لقمان : الإخوان ثلاثة : مخالب ومحاسب ومراغب فالأخ المخالب هو الذى ينال من معروفك ولايكافئك . الأخ المحاسب هو الذى ينيلك بقدر ما يصيب منك والأخ المراغب هو الذى يرغب فى مواصلاتك بغير طمع .

وقال المأمون الأخوان : ثلاثة أخ كالغذاء يحتاج إليه كل وقت وأخ كالدواء يحتاج إليه أحياناً وأخ كالداء لايحتاج إليه أبداً .

واعلم أن أكثر الناس لا خير فيهم . وأنه لابد منهم فإذا عرفت ذلك فعاملهم بمقتضى هـذه المعرفة . فقد ورد : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لابد له من معاشرته — حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا .

ها نحن قد بينا لك حدود الأخوة ووصفنا لك الصاحب الصادق فإن لم تجد فلا تصاحب إلا نفسك والزم بيتك . فإن أردت الصاحب فالله يكفيك وإن أردت الرفيق فرفيقاك رقيباك وإن أردت أنيسا فالقرآن يؤنسك ، وإن أردت واعظا فذكر الموت يعظك فنسيان الموت ضلال مبين .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويوفق المسلمين إلى التآخي والمحبة والألفة والمودة إنه سميع مجيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المرء على دين خليله . فلينظر أحدكم من يخالل »

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

قال الله تعالى : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) .

جاء الدين الإسلامي وفرض على المسلمين عبادات بينتها الشريعة وعرفها المسلمون . كما جاء ببيان أحكام المعاملات بين الناس في

الشئون الاجتماعية . التى يحتاجون إليها فى معيشتهم الدنيوية . ومما لاشك فيه أن عبادة العبد لربه بجرولة العاقبة . لايعلم قبولها ولاردها على صاحبها إلا علام الغيوب . فإن كانت خالصة من الرياء فالمظنون قبولها . وإن كانت غير ذلك فهى من غير شك مردودة على فاعلها ، لان الله سبحانه وتعالى لايقبل عبادة فيها رياء ، إذ الرياء شرك ، وهو جل شأنه أغنى الشركاء عن الشرك .

أما المعاملات فهى عند الله موضع حساب دقيق . ففى يوم القيامة يأخذ المظلوم من ظالمه حقه كاملا غير منقوص ، فمن أساء إلى أحد من المسلمين ، وظن أن عبادته تكفر عن خطاياه فهو غاش لنفسه وجاهل بأحكام الدين !.

أنظر إلى قول رسول الله ﷺ وهو يعرفنا المسلم الحقيقى فيقول : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ولم يقل إنه المسلم هو كثير الصلاة طويل الصيام ، لان الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات لاصلة للناس بها . فهى رابطة بين العبد وربه . إن شاء قبلها ، وإن شاء حاسب عليها . وأما المعاملات فلابد من المناقشة فيها من غير ريب ولاشك .

ولما كان اللسان هو مصدر كل شر وكل موبقة (إذا كان من ورائه قلب مظلم لم يدخله نور الايمان ، ولم يتأدب صاحبه بآداب الدين) لما كان كذلك خصه صاحب الشريعة بالذكر ونبه على حفظه وعدم إيذاء المسلمين به ، وبين أن من آذى المسلمين بلسانه فالاسلام برىء منه ، لانه لو كان قلبه مستنيراً بالايمان خائفا من سطوة الرحمن لكف لسانه .

واللسان أسد ضار إذا لم يقيد بسلاسل الخوف من الله ، والرهبة من عقابه ، انطلق يغتاب هذا ، ويعيب هذا ، ويشتم ذاك . فيكون عقربا ساما وأداة شر مصلتة . ومن كان كذلك فالاسلام منه برىء فمن شاء أن تتحقق فيه صفات الاسلام فليحفظ لسانه عن إيذاء الناس وإلا فهو من الهالكين .

وأما اليد فقد ذكرها رسول الله ﷺ فى الحديث المتقدم تمثيلا للعدوان والايذاء والبطش ، لما كان ذلك فى الغالب يحصل بها . وسواء أكان الايذاء باليد أم بالرجل أم بتسليط الأعوان أو الاغراء فهو عدوان .

ولا يؤذى المسلم أخاه إلا وقلبه فاسد الايمان ، لأن الأعضاء آلات لاتتحرك إلا بأمر القلب . فالقلب مضغة إذا صلحت صلح الجسم كله . وإذا فسدت فسد الجسم كله . لأن القلب المعمور بالايمان الصحيح لاتصدر عنه إلا أعمال الخير . والقلب الفاسد المملوء بالنفاق لاتصدر عنه إلا أعمال الشر والفساد .

ولقد كانت رهبة الله فى قلوب المؤمنين المخلصين تمنعهم من الأخذ بحقوقهم ممن اعتدى عليهم : مؤثرين الصفح الجميل . عملا بقول الله عز وجل : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) .

ولقد أصبحنا ونحن نرى كثيراً من الناس يؤذون المسلمين بغير ذنب فعلوه معهم . استهانة بأوامر الدين ، واجتراء على الله .

وورد عن أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها أنها اغتاظت على خادم لها قد استحق العقوبة . فلما همت لتأديبه شعرت برهبة الله

ثم رجعت إلى نفسها وقالت : لله در التقوى ، ما تركت لذى غيظ شفاء غليل .

فانظروا كيف كان السلف الصالح يراقب الله فى كل عمل يأتيه . أما نحن الآن فلنا أياد نبطش بها ونؤذى عباد الله ، لانخاف ربا ، ولانخشى عقابا . ولنا ألسنة حادة فى إيذاء الناس ، خرس عن قول الحق ، وإسداء النصح ، ولنا قلوب لا نفقه بها الحق من الباطل . ولنا عيون ولكن لانبصر بها موضع العظة والاعتبار . ولنا آذان ولكن لانسمع بها إلا اللغو والباطل ، الذى يجر إلى الوبال والنكال ومن كانوا كذلك فهم بلاريب من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

اللهم إن الحق بين فاهدنا إليه ، وإن الباطل بين فجنبنا إياه ، ولاتخزنا يوم القيامة . وارحمنا برحمتك ياأرحم الراحمين .

روى البخارى ومسلم . عن أبى موسى قال : قلت يارسول الله أى المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

التنافس فى فعل الخير

قال الله تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس . والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم

ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

نحن نفتخر فى عصرنا الحاضر بأشياء كثيرة ، فمنا الذى يفتخر بأنه أغنى من سواه ، ومنا الذى يفتخر بكثرة أولاده وذوى قرباه ومنا الذى يفتخر بماله من قوة وجاه . ومنا الذى يفتخر بظلمه وغدره ، وأن مأكله ومشربه وملبسه فى الحالة الحاضرة أجمل وأحسن من غيره . وهكذا مما لو سردناه وشرحناه لأطلنا عليكم الكلام .

هذا الافتخار بذلك كله أو بعضه بعيد عن الحق والصواب . لأن الإنسان الكامل لا يفتخر بهذه الأشياء التافهة والمظاهر الحقيرة وإنما يكون التنافس والتسابق فى العلم والأدب ، والخلق الفاضل ، والعمل الصالح .

كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتنافسون فى الخيرات ويتسابقون إلى الطاعات ، ويسارعون إلى المكرمات ، فكان كل منهم يود أن يسبق أخاه فى ميدان الطاعة والبر ، لا فى مهاوى الفجور ولا ثم لأنهم سمعوا الحق تبارك وتعالى يحرضهم على ذلك بقوله : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) وقوله تعالى : (إن الأبرار لفى نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) .

ولقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينافس سيدنا أبا بكر رضى الله عنه فى عمل الخير وهذا من قوة الإيمان وحسن الجهاد وبعد النظر . .

فى ذات يوم طلب النبى ﷺ من صحابته أن يقدم كل منهم ما يستطيع من المال والمتاع والطعام والسلاح إلى جيش المسلمين الذى سيخرج غازيا فى سبيل الله ، وهو محتاج إلى المعونة والمساعدة ، فقال عمر فى نفسه : والله سأسبقن أبا بكر اليوم ، وعزم رضى الله عنه على أن يضحى بشىء يظن أبا بكر لا يضحى به . فذهب إلى بيته وقسم ماله وجميع ما يملكه نصفين . وأبقى النصف الأول لعياله وأهله . وأخذ النصف الثانى إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : وما الذى أبقيت لأهلك يا عمر ؟ فقال عمر : أبقيت لهم نصف مالى يا رسول الله، فيشكره النبى ، ويثنى عليه بالخير . وترتاح نفس عمر إلى هذا الإحسان الذى قدمه لوجه الله تعالى . ولكن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه أتى بعد قليل وقد حمل وراءه مالا كثيراً ، ومتاعا كبيراً . لقد حمل أبو بكر ماله كله دون أن يبقى شيئاً لأولاده وأهله . وأراد النبى أن يسأله عما أبقى لأسرته . فقال له : وما أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فأجاب سيدنا أبو بكر جواب المؤمن الواثق بالله المعتمد على رزق الله . المتوكل على فضل الله وقال يا رسول الله لقد أبقيت لهم الله ورسوله

نعم أبقى الله ورسوله . والله أكرم من كل كريم . ورسوله أعز من كل عزيز : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » .

هنا حدث عمر نفسه بأنه لن يستطيع أن يسبق أبا بكر بعد ذلك في ميدان الخير .

وذات يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد النبوى بالمدينة فصلى بالمسلمين صلاة الفجر . وبعد السلام التفت إلى صحابته وقال لهم . أيكم أصبح اليوم صائما ؟ فسارع سيدنا عمر بالإجابة قائلا : لم نتذكر الصيام بالليل يا رسول الله . ولذ أصبحنا مفطرين .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم جعل يلتفت يمينا وشمالا كأنه يبحث عن مجيب يجيب على سؤاله ، فاذا بسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى تواضع واستحياء : لقد تذكرت الصوم بالليل يا رسول الله . ولذلك أصبحت صائما . تطوعا لله وتقربا . فقال النبى : وأيكم زار اليوم مريضا ؟ فقال عمر : لقد خرجنا من بيوتنا إلى المسجد فلم يكن أمامنا متسع لعيادة المرضى . ولكن عين النبى الكريم تتجه إلى أبى بكر كأنها تستحثه على الإجابة فيجيب أبو بكر قائلا : يارسول الله . لقد علمت أن عبدالرحمن بن عوف مريض فزرته قبل أن آتى المسجد . فقال النبى مرة ثالثة : وأيكم تصدق اليوم بصدقة ؟ فأجاب عمر كأنه يعتذر عن نفسه : لقد خرجنا من بيوتنا للصلاة فى المسجد فلم يكن أمامنا متسع للتصدق والإحسان . فتطلع النبى إلى أبى بكر ليجيب . فأجاب : - ولولا انتظار النبى الجواب ما أجاب . من شدة حيائه وخجله وتواضعه - وقال : لقد رأيت بباب المسجد محتاجا يسأل . وكان مبى ولدى عبد الرحمن وفى يده شىء من الطعام فأخذت منه وأعطيته للسائل .

هنا يتهلل وجه الرسول بشراً وسروراً ـ وفرحا وحبوراً . واعتز بطاعة أبى بكر اعتزازاً كبيراً . ثم قال : فأبشر يا أبا بكر بالجنة . فأبشر يا أبا بكر بالجنة . فأبشر يا أبا بكر بالجنة .

هذه نصيحتى إليكم اتعلموا أن الافتخار على الناس بمتاع الدنيا الفانية بعيد عن الحق والصواب .

وإنما يكون التنافس والتسابق فى العلم والأدب . والخلق الفاضل . والعمل الصالح . ولتحرصوا كل الحرص على أداء الواجبات ، وتقديم الطاعات . وفعل الخيرات . وعمل القربات ، ولتعلموا أيضا أن الله وحده هو مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك من يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير

قال رسول الله ﷺ :

« السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة الله »

الظلم وآثاره نتائجه (٢)

قال الله تعالى : (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا) .

. . . الظلم هو اعتداء الإنسان على غيره فى نفس أو مال ، أو عرض أو أى حق له .

وهو أنواع شتى ، ويعظم خطره باعتبار أثره . فقاتل النفس التى حرم الله قتلها ظالم ، والسارق ظالم . ومروع الآمنين ظالم . وكل من يرتكب جريمة وينتهك حرمة القانون فهو ظالم . وكل من استطاع أن يأخذ على يد ظالم أو يحول بينه وبين عدوانه ولم يفعل فهو عند الله آثم وشريك للظالم فى ظلمه ومسئول أمام الله تعالى .

وكل من آوى مجرما أو ستر على جريمة أو أعان مجرما على الفرار من العدالة فهو عند الله آثم ومسئول عن المجرم الذى آواه أو ستر عليه أو أعانه .

ومن حمل نفسه على المكاره وزج بها فى غمار المهلكات ، ولم يرع لها حقا فهو ظالم لنفسه ولو كان ذلك فى الطاعات .

ومن شغلته الدنيا عن الآخرة وترامى فى أحضانها ، واستمرأ مرعاها فهو ظالم لنفسه ، ومن تعدى حدود الله أو قصر فى أداء ما أوجبه الله فهو ظالم لها .

وعلى الجملة فكل من قال أو فعل أو كف عن واجب ، وكان بقوله أو فعله أو كفه مخالفا لما أمر به فهو لنفسه ظالم .

فلا تظلم نفسك . ولا تظلم أحداً . ولا تكن سببا فى ضرر الناس وظلمهم . فتبوء فى دنياك وأخراك بخسران مبين . لأن الظلم فى الدنيا بلاؤه كبير ، وشره مستطير . وفى الآخرة وبال وندمة . وظلمات يوم القيامة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « جاء رجل فقعد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى مملوكين يكذبوننى

ويخونني ويعصونني . وأشتمهم وأضربهم ! فكيف أنا منهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم . فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم . كان كفافا لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل . فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له رسول الله ﷺ : أما تقرأ قول الله : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) .

فقال يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم ، أشهدك أنهم كلهم أحرار » (رواه أحمد والترمذي) .

ومما يدل على عقبى الظالمين ما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة ؟ فقال فتية : - وكان منهم - يا رسول الله ، بينما نحن جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء . فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها . فخرت المرأة على ركبتيها . وانكسرت قلتها . فلما قامت التفتت إليه ثم قالت : سوف تعلم يا غدار إذا وضع الله الكرسي فجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون . سوف تعلم ما أمري وأمرك عنده غداً . قال : فقال رسول الله ﷺ : كيف يقدس(١) الله قوما لا يؤخذ من قويهم لضعيفهم » ! !

---

(١) يطهرهم وينزههم .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

وأنت إذا فكرت في نهاية كل ظالم وما صارت إليه عاقبته — رأيته وقد انتهت حالته بالذل والفقر — وتبدل عزه وجبروته بالمسكنة والقهر . وسنة الله التي جرى عليها مع الظالمين — ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فالظلم مرتعه وخيم ، ووصفه ذميم . كم خرب بيوتا عامرة — وقصم ظهور الجبابرة : قال تعالى في وصف جزاء الظالمين بما عملوا : (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) .

وقد جعل الله الظلم سببا في هلاك الظالمين . وعد هلاكهم نعمة تستحق حمده وتستوجب شكره فقال : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) وقانا الله تعالى بحمايته من عسف الظالمين . وكيد الماكرين .

(الحديث) « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » .

الناس والزمان

قال الله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) .

. . . الناس فى هذا الزمن بجمع الغرائب والعجائب . فكن من أكثرهم على حذر . واتق شر من أحسنت إليهم . فليس عجيبا أن ينالك سهم العداوة والضر ممن علمتهم الرماية . وأسعدتهم بنعيم الرخاء حين مسهم الضر والبلاء .

وليس عجيبا أن يضع الشوك والقتاد فى طريقك من وضعت لهم فى طريقهم الرياحين والأزهار : فما ألقى يوسف فى غيابة الجب إلا إخوته . ولا حاول صلب المسيح إلا شيعته . ولا أخرج محمدا ﷺ من مكة إلا عشيرته .

فإذا رأيت منهم الآن مالا تتصور حدوثه فلا تأسف ولا تحزن . وقل كما قال يوسف لأخوته والرسول الأعظم لجماعته . (لا تثريب(١) عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين) . وسينصرك الله نصرا مؤزرا ما دمت تحسن إليهم ويسيئون إليك وتحلم عليهم ويجهلون عليك فالله سبحانه وتعالى لا يضيع اجر من أحسن عملا .

فالزمان الذى نحن فيه قد فسد بفساد أهله ، لأن الناس قد قل خيرهم وزاد شرهم إلا من من عصم الله وقليل ماهم فإنهم إن رأوا منك حسنة أنكروها وكتموها ، وإن رأوا سيئة أذاعوها وأفشوها وقد أصبحوا الآن شوكا لا ثمر فيه . بعد أن كانوا فيما سلف ثمرا لاشوك فيه .

والناس فى الدنيا أنواع:

النوع الأول : كالطعام والشراب لا يستغنى عنه أبدا : وهؤلاء

---

(١) لا لوم ولا تأنيب .

الأعوان على الخير والمواسون عندما ينوب من المكروه . والذين تحلوا بالفضائل وتنزهوا عن الرذائل :

النوع الثانى : كالدواء يحتاج إليه أحيانا : وهؤلاء من لا يرجى منهم نفع فى الدين . وإنما لهم من الجاه والسلطان ما قد ينفع عارفيهم فى ظروف خاصة فى شأن من شئون الحياة .

النوع الثالث : كالداء لا يحتاج إليه أبداً .

فالمصائب بسببهم كثيرة وعظيمة - والبعد عنهم غنيمة : فهم أشرار الخلق فكن منهم على حذر . لأنهم أداة شر يعيثون فى الارض فساداً . والله لا يحب المفسدين : وهم فى الحقيقة ونفس الامر ذئاب على أجسادهم ثياب . لا يعتمد عليهم فى مهم ، ولا يرجون لكشف ملم كذابون مراءون . خداعون منافقون . يظهرون المحبة إن كانت لهم حاجة . حتى إذا قضوا مآربهم أنكروا المعروف وأهله : فهم مع الدنيا حيث مالت . خالفت سريرتهم علانيتهم . صدقت ألسنتهم وكذبت قلوبهم . فالعزلة عنهم واجبة — إن لم يتوبوا ويرجعوا — والفرار منهم أسلم — والبعد عنهم ألزم .

وإليكم حكاية حال فى هذا الباب . فيها عظة وذكرى لأولى الألباب :

كان أحد الملوك قد منح وزيره ثقة لا حد لها ، وتركه يتصرف فى شئون المملكة حيث يشاء ، وكان الوزير حصيفا أريبا سمحا كريما لا يرد حاجة لطالب ولا يحيف فى حكم ، أو يجور فى تصرف . مما جمع حوله القلوب وقرب إليه النفوس فسار فى أمور الدولة سيراً جميلا حتى ذاع صيته فى كل مكان وذكر اسمه على كل لسان : وبينما هو

قي أوج(١) مجده إذ كاد له بعض الحاسدين والحاقدين ودسوا به إلى الملك واتهموه بأنه يعمل على سلب ملكه منه ، وظلوا يحيكون شباكهم ، حتى تأثر الملك بقولهم : فغضب على وزيره وعول على الانتقام منه . وكان الوزير قد جمع بين الوزارة جمال الخط وتنسيقه ، وذات يوم لم يشعر إلا برجال الملك ينقضون عليه فيقطعون يده ويعلنونه بعزله من الوزارة . وينادى مناد فى الناس إن الوزير قد عزل ، ولما انتشر الخبر فى المدينة انفض الناس من حوله ولم يواسه منهم فى محنته إنسان وتلفت حوله فلم يجد أحداً . ثم أخذ ورقة وكتب فيها :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا

وظل جالسا فى داره وحيدا يعانى الألم حتى منتصف النهار ولم يحضر إليه أحد من أولئك الذين كانوا يزحمون ساحته ويلتمسون حاجته . فكتب :

عاد لى الدهر نصف يوم فانكشف الناس لى وبانوا

ولم يمض إلا قليل حتى عرف الملك أن وزيره كان ضحية دس وموجدة . فحضر إليه طالبا رضاه . وأعاد إليه منصبه وبعطفه حياة فتناول الوزير قلمه وكتب تحت البيتين المذكورين :

يأيها المعرضون عنى عودوا فقد عاد لى الزمان

فرحم الله امرأ اتخذ لمعاشرته إخوان الصفاء الذين تأدبوا بآداب الدين . وتخلقوا بمكارم الأخلاق . فهم زينة فى الرخاء - وعدة فى البلاء

[١] سعة .

قد حرصوا على دينهم وكرامتهم . أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون : إن فى ذلك لذكرى لقوم يعقلون .

قال رسول الله ﷺ :

« إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

مدح التثبت فى الأمور وذم العجلة

قال الله تعالى : « فاصبر كما صبر أولو العزم(١) من الرسل . ولا تستعجل لهم(٢) . كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار . بلاغ(٣) فهل يهلك إلا القوم الفاسقون(٤) » .

قد مدح الله الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة . وأمر به وحث على التثبت فى الأشياء ومجانبة الاستعجال فيها . لأن فى التأنى السلامة . وفى العجلة الندامة .

---

(١) أى أصحاب الثبات والجد من الرسل فانك من جملتهم . وأولو العزم: أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيسها ، وتحملوا العناء فى سبيلها . وأشهرهم نوح . وإبراهيم وموسى وعيسى .

(٢) للكفار بالعذاب . كأنهم يوم يرون ما يوعدون منه يخيل إليهم أنهم لم يمكثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار .

(٣) أى هذا الذى وعظتهم به . أو هذه السورة بلاغ . أى كفاية أو تبليغ . وقيل بلاغ مبتدأ خبره محذوف تقديره بلاغ لهم .

(٤) سورة الأحقاف ٣٥ .

فالتأنى يعطى الإنسان فرصة للتفكير فى الامور ووزنها بميزان دقيق على مهل وتبصر وروية وتدبر كيلا يقع فى مآزق حرجة لا يستطيع التخلص منها أو يستطيع ولكن بجهد ومشقة .

أما العجلة فمن الشيطان ، والشيطان لا يقود المرء إلا إلى مواطن الشر والمهالك : إذ هو العدو الألد لبنى الإنسان كما وصفه القرآن . (إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) .

فكم للعجلة من نتائج سيئة . وكم لها من آثار مروعة . فكم أزهقت من أرواح ، وبددت من أموال . لولاها لسلمت الارواح . ولولاها لبقيت الاموال .

هذا رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ كان لا يقدم على أمر من الامور إلا بعد طول أناة وتفكير ، مع أنه ﷺ كان مكتمل العقل . مؤيدا بالوحى معصوما من الزلل .

وها هو كتاب الله بين أيدينا . فيه من الآيات البينات ما يرشدنا إلى أن نتأنى فى أمورنا كلها ، وأن نحذر العجلة والطيش .

يقول الله عز وجل : (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . أى يأيها المؤمنون : إن جاءكم فاسق بخبر من الاخبار فتعرفوا حقيقته قبل أن تبنوا عليه عملا : كراهية أن تصيبوا قوما وأنتم جاهلون بحالهم . فتصيروا نادمين على ما فعلتم حيث لا ينفع الندم . بعد أن زلت القدم .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة فى الوليد بن عقبة . بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق ليجمع الصدقات منهم . فلما علموا بقرب وصوله خرجوا فى زينتهم يستقبلونه إعظاما لمن أرسله، ولكنه ظن شراً ظن أنهم ما خرجوا إلا لقتاله لثأر كان لهم عنده فى الجاهلية . فرجع من حيث أتى ، وأخبر الرسول ﷺ بأنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة. فبعث إليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه ليستطلع امرهم سراً. فوجدهم على الإسلام باقين . ولشعائره مقيمين ، وأخبر الرسول ﷺ بما رأى فأرسل إليهم من جاء بالصدقات .

فلو تعجل الرسول عليه الصلاة والسلام فى أمرهم ، وأخذ بقول الوليد فى شأنهم ـ لأمر بقتالهم : ولكانت مأساة لا يخفف من وقع ألمها على نفسه وصحبه ندم ولا حزن ولا بكاء .

وفى قصة أسامة بن زيد رضى الله عنـــه ما يجعلنا نطيل التفكير . ونقلب الأمور على وجوهها حتى نتبين وجه الصواب فيها ، قبل أن نقدم عليها :

أرسل رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثى إلى أهل الميفعة (مكان ناحية نجد) فى مائة وثلاثين رجلا . فساروا حتى دهموهم(١) وقتلوا بعضا وأسروا آخرين : وفى اثناء القتال طارد أسامة رجلا من المشركين ، ولما رأى المشرك أنه هالك لا محالة نطق بالشهادتين ولكن أسامة ظن أنه ما نطق إلا تخلصا من القتل ـ بدافع الابقاء على

---

(١) دهمهم الأمر : غشيهم . وبابه فهم وكذا دهمتهم الخيل ، ودهمهم « بفتح الهاء لغة » .

النفس - فقتله . ولما رجع القوم وأخبر الرسول ﷺ بما فعل أسامة. قال : أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ! ! فكيف تصنع بلا إله إلا الله ! ! فقال أسامة يدافع عن فعلته : يا رسول الله . إنما قالها متعوذا من القتل : فقال عليه الصلاة والسلام : فهلا شققت على قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ ! ! فقال : يا رسول الله استغفر لى ، فقال عليه الصلاة والسلام : فكيف بلا إله إلا الله ؟ ! ! فما زال يكررها حتى تمنى أسامة أنه لم يسلم قبل اليوم : من شدة ما وجد من غضب رسول الله ﷺ : وأنزل الله تعالى فى ذلك . الآية الكريمة :

(ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا . فعند الله مغانم كثيرة) .

ثم أمر رسول الله ﷺ أسامة أن يعتق رقبة كفارة للقتل الخطأ.

ولو لم يتعجل أسامة لسلمت للرجل نفسه . ولبقى لأسامة ماله . ولكنها العجلة ما أقبحها . وما أخطرها . وما أبعد آثارها .

بهذا وأمثاله يوجه الاسلام أتباعه إلى خير السبل . ويرشدهم إلى ما ينفعهم فى معاشهم ومعادهم . ويهديهم إلى أقوم طريق .

(ربنا آتنا من لدنك رحمة . وهيء لنا من أمرنا رشدا) .

وعلى العموم فالأجدر بالعاقل إذا أراد أن يقدم على أمر من الامور أن يتدبر عاقبته ويزنه بميزان دقيق على مهل وتبصر وروية وتدبر . حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه : إن فى ذلك لذكرى لقوم يتفكرون .

الحديث : « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد »

فى القرآن شفاء لما فى الصدور

قال الله تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء(١) ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) .

وقال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)

وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور) .

هذه هى آيات الشفاء فى القرآن الكريم ، فقد نزل ذلك الكتاب لإبراء النفوس من أدوائها ، وشفاء المجتمع من أمراضه ، وتخليص الأسرة من كل ما يكدر حياتها ويودى بكيانها . .

فالقرآن الكريم فيه شفاء للفرد ، وشفاء للجماعة فى كل شئون حياتهما فى ظاهرهما وباطنهما ، وفى علاقتهما الداخلية ، وسياستهما الخارجية . .

فهو أشبه بطبيب عنده علم بكل الأدواء النفسية ، ودراية بكل الأمراض الاجتماعيه ، ما عليك إلا أن تستشيره ، فاذا بك تجد عنده ما يشفى صدرك ، وينقذ حياتك ويسعد مجتمعك ، وإليك البيان :

إذا استولى اليأس على قلبك ، وتمكن القنوط من نفسك ، لكثرة ما ارتكبت من ذنوب ، أو لطول إقامتك على ارتكاب السيئات ، وانغماسك فى الشهوات ، إذا استولى اليأس على قلبك لكثرة ذلك وصدوره منك ، فتب إلى الله توبة نصوحا ، وفكر فى قوله تعالى :

(١) لأدواء النفوس

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) .

وإذا اجتهدت فى نيل مأرب ، وبذلت كل ما فى وسعك للوصول إلى مطلب . ولكن خاب سعيك ، وضاع أملك ، ولم تنل مقصودك ومطلوبك — إذا اجتهدت ولم تنل ذلك فخذ العزاء والسر من قول الله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وإذا ضاق رزقك ، وقلقت نفسك ، وتبرم بك عيشك(١) — لأن رزقك من الطرق المشروعة كفاف ، ودخلك من الكسب الحلال بقدر وأمامك الوسائل غير المشروعة خيرها كثير ، والطرق غير المشروعة دخلها واسع ، إذا ضاق صدرك لذلك — فخذ الشفاء لهذا الوباء من قول الله تعالى : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ، إنه بعباده خبير بصير) ومن قوله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) .

وإذا حرت فى الاهتداء إلى السر فى أن الله تعالى يعطى العباد ما يشاءون ، ويجيبهم إلى ما يشتهون ، وهم يصرون على المعاصى ، مستهترون بأوامره ونواهيه مجاهرون بمخالفته ومعاصيه — إذا حرت إلى الاهتداء إلى هذا السر فاعلم أن ذلك استدراج منه لهم : ثم هو يأخذهم أخذ عزيز مقتدر . واتل قوله تعالى :

(١) أى سئمته .

(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء . حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون(١)) .

وقوله تعالى : (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) .

وإذا رأيت الله تعالى قد صب على مجتمع من المجتمعات المصائب صبا . وابتلاهم بالهلع والفزع . والكوارث والكروب . إذا رأيته الله قد فعل ذلك فاذكر قوله تعالى :

(وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون) وقوله تعالى :

(وكم أهلكنا من قرية بطرت(٢) معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين) .

وقوله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال)

وعلى العموم فالقرآن الكريم فيه شفاء الفرد والجماعة كما بينا . وفيه شفاء لما فى الصدور : فما من إصلاح نفسى أو اجتماعى إلا وأساسه فى هذا الكتاب المبين : إن تصريحا وإن تلميحا . وما من رقى إلا وتستطيع أن تجد له أصلا فى هدى هذا الدستور الإلهى العظيم فلا عجب أن يكون كتابا خالدا ، وسجلا محفوظاً أبداً . مصداقا لقول الله تبارك وتعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

---

(١) الابلاس : الانكسار والحزن .
(٢) البطر : الأشر ، وهو شدة المرح .

وفقنا الله جل شأنه إلى العمل بما جاء فى كتابه الكريم — وهدانا جميعا إلى صراطه المستقيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه » .

« رواه البخارى »

حال الناس الآن

عند سماع القرآن

قال الله تعالى : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) .

يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذا الأدب الإلهى العالى . وهو أنه إذا قرىء القرآن وجب عليهم أن يستمعوا وأن ينصتوا . والانصات : هو الالتفاف بالعقل لما يتضمنه القرآن المتلو من المعانى . فليس كل من يسمع كلاما يلتفت إليه ويفهمه . فقد يكون الإنسان سامعا لكلام غيره ولكنه غير ملتفت لمعنى ما يسمعه . وإذاً فواجب عند سماع القرآن أن يتفرغ العقل والقلب لفهم ما يتلى عليه . لعله ينال من الله تعالى رحمة ورضوانا .

هذا هو الدين . وهذه هى أوامره وتأديباته لكل من يسمع كلام

الله ، فإذا لم يصغ السامع إلى القرآن فى أدب وخضوع واحترام كان مرتكبا جريمة من أشنع الجرائم .

ولقد رأينا كثيراً من الناس يحبون سماع القرآن الكريم ، بصوت رخيم ، لاحباً فى القرآن ، ولكن ليطربوا بالنغمات .

ويخرجهم ذلك عن الأدب فى حضرة القرآن . كأنما يسمعون أغانى وأناشيد من مطربين أو مطربات .

وليتهم يسمعون صامتين حتى يكون المصاب محتملا . ولكنهم — وخصوصا السفهاء منهم — إذا انتهت آية بنغمة أطربته — صرخ ونادى الفقيه القارىء ليعيد الآية الكريمة ، لا لأنه فهم منها حكما شرعيا ، أو عظة وعبرة ، ولكنه يستعيدها لأن النغمة التى فيها أخذت بعقله الساقط ، وأثرت فى نفسه البهيمية .

ومن المستمعين من إذا أعجبته رخامة الصوت فى آية نادى القارىء بكلمات تحوى الكفر الصريح وإن لم يشعر به . فهو يقول ذاهلا : جاء الجد . أو هذا أول الجد كأنما الذى مضى من القرآن باطل غير جد .

نعم : هو يريد أن هذا هو أول النغمات المشجية : وليس هذا إلا دليـــلا على أنه هو وأمثاله إنما جلسوا يسمعون إطرابا ونغما ، لا قرآنا وحكما .

ومجلس تبلغ فيه الاهانة بالقرآن الكريم إلى هذا الحد حرام أن يحضره مؤمن يخاف ربه ويعرف منزلة كلامه العظيم ، كما أن تشجيع

ه على الخروج بالقرآن عن حدود الكرامة والاجلال حرام. وأن الذى لا يبغى من سماع القرآن إلا التلذذ بالنغمات آثم مرتكب أشنع الأوزار.

أما الذين يلغطون ويلغون بالكلام فى مجلس القرآن فهم قرناء الكافرين حكمهم، كحكمهم، وقد قال الله تعالى حكاية عن هؤلاء (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون).

أما عقابهم هم وأمثالهم فهو قوله تعالى بعد هذه الآية المتقدمة: (فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون).

أيها المسلمون: لا مانع من أن يسمع الانسان القرآن من ذى صوت حسن لم يخرج عن حدود الكمال فى القراءة. ويكون السامع صامتا خاشعا مصغيا متدبراً المعنى — إن كان ممن يفهمون القرآن — فإن لم يفهم سكت إجلالا وإعظاما ليشعر بأن للقرآن مكانة ومنزلة هو مقدرها.

كيف لا والله تعالى يقول فى بيان عظمة القرآن وجلالته وسمو قدره: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) أى لكان هذا.

فكيف يتفق اللغو واللهو بقرآن هذه منزلته!! والله تعالى يقول (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون).

فكيف تتصدع منه الجبال ونحن نلهو به ونلعب .!! وكيف تخشع الجبال لهيبته ونحن لا نخشع ؟! قال الله تعالى :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)

أيها المسلمون : إن القرآن كلام ربكم . فمن الأدب إذا كلمكم ربكم أن تصغوا حتى لا تعاقبوا .

احترموا دينكم يرفع الله منازلكم . ولا تحتقروا القرآن فتهلكوا ، واتقوا الله وتوبوا إليه جميعا لعلكم تفلحون .

أدبنا الله تعالى بآدابه . ووقانا شر عقابه . إنه بعباده لطيف خبير .

الحديث : « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى »

« رواه البيهقى عن ابن عمر »

الخير والشر فى الدنيا

قال الله تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

. . . الحياة الدنيا مملوءة بالخير والشر ، وليس فى وسع أى

مخلوق أن يقول أيهما أكثر . فكلاهما كثير ، لكنك تستطيع أن تقول : إن الناس ليسوا سواء فيهما : فبعضهم حظه من الخير كثير ، وبعضهم حظه من الشر أكثر من سواه .

أما أسباب هذا الاختلاف فمجهولة على الخلق : لاعلم لهم بها . ولايعلم بها جملة وتفصيلا إلا الله عالم الغيب والشهادة الذى لايخفى عليه شىء من أمر الكائنات العلوية والسفلية .

وليس الخير نوعا واحدا : ولكنه أنواع ودرجات . وكذلك الشر ، وما من مخلوق على ظهر الأرض إلا وقد ذاق الشر ، ولا يعقل أن أحداً ذاق أحدهما ولم يذق الآخر .

لهذا كان كل من الخير والشر غنيا عن التعريف والبيان ، لأن الناس عرفوهما بالتجربة المبنية على الإحساس والشعور .

والذى نقصده من الكلام فى هذا الموضوع : هـــو أن الشىء الذى يسمى خيرا والشىء الذى يسمى شرا ، إنما روعى فى تسميتهما إحساسنا ومشاعرنا .

وقد يكون مانسميه خيرا عند الله شرا . وقد يكون مانسميه شرا عند الله خيرا : مصداقا لقول الله تبارك وتعالى فى الآية المتقدمة : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون) .

ولنضرب لكم فى ذلك مثلين على سبيل الإيضاح :

المثل الأول : إقبال الدنيا على الناس وهنائهم فيها نسميه خيراً . ولكنه قد يكون عند الله شرا ، بالنظر لما ينشأ عن ذلك من البخل

بالمال فى سبيل الله ، وفى سبيل الحق : وبالنظر لما يعده هـذا من التقليل من عبادة الله ، ومن شغل القلب عن الرب ، ومن الإنهماك فى الدنيا ولذاتها .

المثل الثانى : إنزواء الدنيا عن بعض آخر من النـاس وفقرهم فيها نسميه شرا ، وقد يكون هذا خيرا عند الله بالنظر لما ينشأ عنه من الصبر الجميل على المـكروه ، والتفرغ لعبادة الله ، والانصراف عن الأغيار التى تشغـــل عنه سبحانه وتعالى . وبالنظر الحفظ من الشهوات واللذات التى يحمل عليها المـال ، وأحسن أنواع الخـير فى الدنيا التوفيق الالهى للعمل بمـا أمر الله به والانتهاء عما عنه نهى ، بحيث يكون العبد عند أمر الله وعند نهيه فلا يتعداهما ، ولايخالفهما لاقليلا ولا كثيرا .

إذا كان الإنسان يعلم أن الله هو الحـكم العـدل وأنه لايظلم الناس شيئا ، وأنه عليم بعباده وبمـا يصلح لهم جملة وتفصيلا ، وأنه غنى عن المخلوقات جميعا، إذا كان هذا كله معلوما وثابتا لايحتاج إلى برهان ، فقد وجب على الانسان أن يفكر فيما ناله فى الدنيا من خير ومن شر ، وأن يحمد الله ويشكره حقا على الخير ، وأن يلوم نفسه على الفعل الذى هو شر .

فإن الله سبحانه وتعالى يقول : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) .

هكذا يفعل المؤمن الذى يخشى الآخرة ، وما فيها من حساب وعقاب : إن فى ذلك لذكرى لكل عبد منيب .

وفقنا الله تعالى إلى الخير ، وباعد بيننا وبين الشر ، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

القناعة كنز لا يفنى

قال الله تعالى : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

. . . القناعة من أجل الصفات وأحسنها ، لأنها لازمة لكل إنسان يريد الكرامة والحياة السعيدة .

وهى رضى النفس بالطيبات من الرزق من غير إفراط فى السعى ولا تفريط ، أو بعبارة أخرى هى الاكتفاء بالموجود ، وترك التشوق إلى المفقود .

ولا ينال الانسان فضيلة القناعة إلا إذا راقب الله فى كسبه وعمله ، ولم يتطلع إلى ما فى أيدى الناس ، فمتى عرف الانسان ذلك وقنع بما رزقه الله ، استراح ضميره ، واطمأن قلبه ، وطاب عيشه وحينئذ يكون عمله مقبولا ، ودعاؤه مستجابا ، ورزقه مباركا ويكون ذريته أطهارا لأنهم يأكلون حلالا طيبا .

والقناعة زينة الانسان فى الحياة ، بل هى كل ما يعتز به المرء المهذب فى دنياه .

فليس الغنى فى امتلاء الخزائن بالأموال ، ولا فى امتلاك الأطيان

والدور، والمتاجر، والقصور، وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا ولكن الغنى غنى النفس. واتصاف الإنسان بصفات القناعة والخير.

وفى القناعة مزايا كثيرة.

منها أنها تصون صاحبها عن ذل السؤال والحاجة.

ومنها هدوء النفس وراحتها من شقاء الحرص وبلاء الطمع والشره. فإن الحريص الجشع لا ينعم بهدوء، ولا يسعد بمتع الحياة، هو فى هم دائم، وعناء مقيم، لا يسعد ولا يستريح.

وإليكم حكاية تاريخية فى هـذا الباب، فيها عظة وذكرى لأولى الألباب:

فى أيام سيدنا موسى عليه السلام كان لرجل حقل يزرعه قمحا، وكان ينتج له فى كل سـنة اثنى عشر إردبا، وكان هذا المحصول يكفيه هو وأولاده طول السنة.

وفى سنة من السنين لم ينتج له الحقل إلا عشرة أرادب فحزن الرجل حزنا شديدا وأخذ يقول لنفسه: هـذه العشرة الأرادب تكفينى أنا وأولادى عشرة أشهر فقط، فماذا أصنع فى الشهرين الباقيين من السـنة !! وكيف أعيش أنا وأولادى، هل نبقى بغير طعام، هل نعيش من غير أكل، هذا مستحيل، إذن فلا بد أن نموت من الجوع بعد عشرة أشهر، واشـتد حزن الرجل حتى كاد يموت.

ومر عليه سيدنا موسى عليه السلام وهو على هـذه الحال .

فسأله : لماذا أنت حزين أيها الرجل ؟ فقال الرجل : يا نبي الله ، إن حقلي كان يخرج في كل سنة إثنى عشر إردباً من القمح وكان هذا المحصول يكفيني أنا وأولادى طول السنة ، ولكنه في هذه السنة لم يخرج إلا عشرة أرادب ، وهي لا تكفيني إلا عشرة أشهر ، فماذا أصنع في الشهرين الباقيين ، وكيف أعيش أنا وأولادى ، هل نبقى بغير طعام ، نبقى مدة من غير أكل ؟ هذا مستحيل .

ثم مال على سيدنا موسى يقبل يديه ويقول : يا نبي الله أرجو إذا ناجيت ربك أن تكلمه في شأني ، وتسأله أن يعطيني الأردبين الباقيين ، لا أستطيع أن أعيش أنا وأولادى .

وكان سيدنا موسى — كما تعلمون — يناجي ربه ويكلمه ، فلما كلمه ربه ذكر سيدنا موسى حكاية الرجل ، فتوسل إلى الله أن يعطيه الأردبين الباقيين .

فقال له ربه : ياموسى . إذهب إلى صاحبك وقل له : إن الله سيعطيك ما طلبت . ولكن عليك أن تجهز في هذه الليلة عشاء لجارتك الأرملة فلانة .

وكان لهذا الرجل جارة فقيرة أرملة قد مات زوجها وترك لها أولاداً خمسة . ولم يترك لهم شيئاً يعيشون منه .

فلما رجع سيدنا موسى وأخبر الرجل بذلك . فرح فرحا شديدا وقام في الحال فجهز عشاء فاخرا وذهب بنفسه ليقدمه إلى جارته الأرملة : فلما دق الباب خرجت إليه وسألته عما يريد .

فقال الرجل : خذى هذا العشاء فتعشى به أنت وأولادك .

فقالت المرأة : إننا تعشينا والحمد لله ، وقد أكل الأولاد وناموا .

فقال الرجل : أيقظيهم فإنه طعام جيد .

فقالت لقد شبعوا وحمدوا الله تعالى ولاحاجة بهم إلى الطعام بعد ذلك .

فقال الرجل : إذن خذيه واحفظيه لهم إلى الصباح . فضحكت المرأة وقالت : الصباح . وهل نحن عشنا إلى الصباح .. ؟

فقال الرجل : ربما نعيش . فقالت المرأة إذا عشنا إلى الصباح فإن الله سيرزقنا برزق الصباح .

وحاول الرجل أن يعطيها الطعام فأبت أن تأخذه ، وقالت له : تذكر ياسيدى أن الله هو الرزاق ، وأنه لم ينس أحداً من عباده . فخجل الرجل من كلام المرأة وأخذ يوبخ نفسه ويقول : إذا كانت هذه المرأة المسكينة لاتحمل هم الصباح القريب وليس عندها شيء ، فكيف أحمل أنا هم شهرين فى آخر السنة وعندى قوت عشرة أشهر ! لقد علمتنى هذه المرأة معنى الإيمان بالله ، ثم رجع فى الحال وأخذ يوزع ماعنده من القمح على الفقراء والمساكين . وهو يقول : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

من هذا كله ترون أنه لاخير فى الغنى إذا لم يكن صاحبه قانعاً كريم الشمائل .

وعلى العموم فالقناعة كنز لايفنى والطمع فقر حاضر وبؤس دائم : والرجل الشره الطماع الذى لايتجمل بالقناعة ولايجملها

حماراً له حقير لا يأبه به إنسان مكروه من الخلق بالإجماع . بطل منغص العيش ساقط المروءة . لا كرم له بين الناس : لأنه لا هم له إلا إشباع شهوته وإرواء غلته : إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب .

جملنا الله بفضيلة القناعة . وباعد بيننا وبين الطمع الذى تسوء مغبته وعاقبته . وزهدنا فيما ليس لنا . وجعلنا من عباده المتقين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليس الغنى عن كثرة العرض(١) ولكن الغنى غنى النفس »

مداخل الشيطان فى عبادة الإنسان

قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات(٢) الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكي (٣) منكم من أحد أبدا ، ولكن الله يزكى من يشاء . والله سميع عليم)٢١ النور :

. . . فى هذه الآية الكريمة نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن متابعة الشيطان ، : نهاهم عن ذلك وقال لهم : لا تسلكوا الطريق التى يدعوكم إليها الشيطان — لأن من يتبع خطوات الشيطان

---

(١) متاع الدنيا من مال وثياب ونحوها .
(٢) خطوات الشيطان : المراد بها مسالكه ومذاهبه ووساوسه .
(٣) ماطهر منكم من أحد أبدا — لاستيلاء الموبقات البشرية عليكم .

بقصده إلى إتيان الأمور المنكرة : لأنه لا يأمر إلا بالشر دائماً ظاهراً وباطناً .

يأتى الشيطان إلى الإنسان فى صورة الناصح الأمين . والمخلص الحميم . ويوسوس فى صدره ويوحى إليه بما يوحى . ويقول له لا تستقم : فالاستقامة تورث الهم والحزن والفقر . لا تصل : فالصلاة تضيع وقتك . وتضعف جسمك . ولا تصم : فالصوم يضعف قلبك . ويجيع كبدك . لا تزك : فالزكاة تذهب مالك . وتفنى ثروتك ورأس مالك . لا تحج : فالحج رحلة شاقة عسيرة . تضيع الصحة . والمال . لا تجاهد فالجهاد تضحية لا تجنى لها إلا شقاءك . ورفه عن نفسك ولا تقيدها بشىء من من أمور الدين : وهكذا . نعم نعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ومكان الشيطان وحبائله ذات لون واحد . وإليك أمثلة توضح لك ذلك :

تذهب فى ختام يومك إلى منزلك متعبا فترغب فى صلاة العشاء فإذا بالشيطان يوسوس لك ويقول لك : أرح نفسك قليلا من عناء الأعمال . ثم قم فى جوف الليل ، فضم إلى صلاة العشاء التهجد لتحظى بالحسنيين ، وتفوز بالسعادتين . فتسمع لهذا النداء وتنام فلا تقوم إلا بعد أذان الفجر . وقد تستيقظ قبل الفجر فتتنبه إلى وجوب قيامك بما افترضه الله عليك من الصلاة — فإذا بالشيطان يأتى إليك : إنه لا يزال فى الوقت متسع . ولا بأس من أن تظل بفراشك حتى تستجمع قواك وتجفف عرقك . وإلا أصبت بالزكام والأمراض

(م — ١٥)

ولا يزال بهذا وأمثاله حتى تسبح فى بحار الأوهام : فإذا بالشمس وقد لفحتك ، وبالوقت وقد انصرم . وفاتك مالا تستطيع له قضاءا . ولا تملك له وفاءا .

ولم يكتف بذلك — بل يأتى إليك عند دخولك فى الصلاة فيوسوس لك بما يوسوس . فتطيعه وتترى عليك الأمور الدنيوية صغيرها وكبيرها . وجليلها وحقيرها . وصالحها وطالحها .

تلك الأمور التى تتزاحم عليك — فتنسيك مناجاة ربك — خالقك ورازقك . حتى تخرج من صلاتك بلا ثواب . مستحقا فى هذه الحالة أليم العقاب والعذاب .

بمثل هذا الكيد فى الصلاة يكيد لك فى سائر العبادات فيأتيك من ناحية الصوم فرضه ونفله . فيغريك بالمعاصى والمآثم . ويقول لك : ما حاجة ربك إلى حرمانك من طعامك وشرابك . ألست تشكو الأوجاع ألست تحس بألم الصداع . ألست كذا ألست كذا ؟!! ولا يزال بك يتحسس لك مواضع الآلام الوهمية — ويجسمها لك فى نظرك — حتى تستحل ما ليس حلالا وتستبيح ما ليس مباحا . فتفطر متأولا عاصيا لربك ، مطيعا لشيطانك .

ومثل ذلك أيضا فى الحج ، يقول لك : أين أنت وماخبأ لك فى الحجاز ، إنهم هناك يسدون السبل . ويقطعون الطرق . ويسفكون الدماء . ويقتلون الحجاج الآمنين الوادعين .

أين أنت من مخاطر البر والبحر ؟ أهل لك قوة لتحتمل ركوب الباخرة وهى تلعب فى اليم بمن عليها وما عليها ، ويصعد الموج

خاليها سافلها ، أين أنت ، أين أنت . ولا يزال الهين يرهبك ويرهبك وربما كفرت بفريضة الحج .

والشيطان فى كل هذه الحالات يأتيك من ناحية واحدة وأسلوب واحد . ولا يزال بك حتى يصرفك عن العبادات ويغريك على ارتكاب الكبائر والصغائر والمحرمات . ويوقعك فى الجنح والجنايات . فتندم على ما جنيته فى دنياك ، وتعاقب عليه فى أخراك ، ويضحك عليك الشيطان حينئذ ويسخر ويتبرأ منك . مصداقا لقول الله تعالى فى كتابه الكريم : (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق . ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى . فلا تلومونى ولوموا أنفسكم . ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى) .

هذا ، واعلموا أن هذا الكيد وأمثاله لا يملكه الشيطان إلا حيال من فسد يقينه وضعف إيمانه .

أما عباد الله المتقين المخلصين الموحدين — فليس للشيطان عليهم من سلطان . مصداقا لقول الله تعالى ، (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) .

نسأل الله الرحيم الرحمن . أن يحفظنا من كيد الشياطين ونزعات الشيطان . إنه بعباده رؤوف رحيم .

الحديث : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل » .

تكريم الإنسانية

قال الله تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ٧١ الإسراء . . . فى هذه الآية الكريمة ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاث نعم أنعم بها على الإنسان :

أولاها : نعمة التكريم . نعم كرم الله الإنسان حيا . فقد خلقه فى أحسن تقويم ، وأحسن أحال ، وأجمل صورة ، وأبهج منظر واعتدال مزاج . لم يجعله منكبا على وجهه كالبهائم ، ولم يجعله كسائر الحيوانات يتناول بفيه : بل خلق له يدين يمسك بهما الأشياء الدقاق ، وأنعم عليه بقلب مدى الحياة دقاق . فسبحان الواحد الخلاق

كما أنعم عليه بنعمة الإسلام والإيمان . ونعمة الأمن ، ونعمة الصحة ، ونعمة الولد ، ونعمة الرزق ، ونعمة السمع . ونعمة البصر ونعمة الذوق ، ونعمة اللمس ، ونعمة الشم ، ونعمة سلامة الأعضاء ونعمة التوفيق وفوق ذلك فقد ميزه بلسان يتكلم وعلمه ما لم يكن يعلم إلى غير ذلك من النعم الجزيلة التى لا يمكن حصرها ولا عدها (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الانسان اظلوم كفار) .

ولا فرق فى أصل التكريم بين لون ولون ، ولا بين جنس وجنس ولا بين قبيل وقبيل . إذ الجميع من خلق الله . والتفاضل بينهم فى الكرامة بعمل الخير والتقوى :

(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

وكما كرم الله بنى آدم حيا — كرمه ميتا .

روى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام لها : فقيل له : إنها جنازة يهودى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليست نفسا . ! !

فتكريمها عند الرسول صلى الله عليه وسلم لأنها نفس إنسان — لا لأمر غير ذلك .

ومن تكريم الله للانسان ميتا أنه جعل له الأرض ساترة لقبائحه بعد مماته : يقبر فيها تحت التراب ولم يجعله ممن يلقى إلى الوحوش والطيور : وهذه أعظم نعمة من الله تعالى أنعم بها على الإنسان : قال تعالى : (ثم أماته فأقبره) : كما قال جل شأنه : (ألم نجعل الأرض . كفاتا . أحياء وأمواتا) .

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

وثالثة هذه النعم التى ذكرها الله تعالى فى الآية المتقدمة نعمة التمكين فى هذا الوجود فقد سخر الله للانسان الأرض وما عليها من حيوان : قال الله تعالى : (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) .

وقال جل شأنه : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة . ويخلق ما لا تعلمون) .

وكما سخر الله للانسان الأرض وما عليها من حيوان سخر له أيضاً البحر : قال تعالى : (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) .

وسخر الله للانسان الهواء فامتطى السماء وقطع أجواء الفضاء قال الله تعالى فى آيات الطير واهتداء الناس للطائرات الحديثة :

(أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ، إنه بكل شيء بصير) .

وثالثة النعم التى أنعم الله بها على الإنسان وذكرها فى الآية المتقدمة نعمة التفضيل على كثير ممن خلق : بجعل فى تكوينه العقل المميز بين الحق والباطل : لأن العقل خير المواهب ، وبه تعرف حقائق الأمور . ويفصل بين الحسنات والسيئات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء دعامة . ودعامة المرء عقله ، فبفضل عقله تكون عبادته لربه : أما سمعتم قول الفجار : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) .

كما فضل الله الإنسان على كثير من خلقه فجعل فى تكوينه العقل المميز بين الحق والباطل كذلك جعل له الارادة الفاصلة فى العمل . فإما أن تختار لصاحبها الخير فتعليه وإما أن تختار له الشر فتهويه وترديه .

هذا ما تضمنته الآية الكريمة من بعض النعم التى أنعم الله بها على

الإنسان قد ذكرتها لهم على سبيل العظة والعبرة فما أكثر العبر لمن نظر . وأنفعها لمن إعتبر . إن فى ذلك لذكرى لقوم يعقلون .

نسأل الله تعالى أن يتمم علينا نعماءه السابغة ظاهرة وباطنة : وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه .

الحديث : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »

المثل العليا من أخلاق السلف الصالح

قال الله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)

فكرت فيما ألقيه اليوم على مسامعكم من العظات الدينية - فهدانى الله تعالى إلى اختيار مثل من أخلاق السلف الصالح - الذين كتبوا اسماءهم فى صفحات التاريخ بحروف من نور . وخلدوا أعمالهم على مر الدهور . وتركوا لنا أعظم الأمثلة على ما اتصفوا به من خلق حسن - ومروءة وكرم - وزهد وإنصاف - وعدل وإخاء - وبطولة ومساواة فى الحقوق والواجبات - وتمسك بالحق - وعمل بأحكام الشريعة السمحة .

لأننا والأسف يملأ القلوب — قد بعدنا عن هذا المنهج القويم . وتخلق الكثير منا بأخلاق ينكرها الاسلام — ونحن فى غفلاتنا نظن أننا قد بلغنا أسمى المنازل فى الأخلاق والعادات .

وإليكم بساق الحديث :

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يخشى فى الحق كبيرا . ولا يبالى عظيما أو أميرا .

قال رضى الله عنه : أيها الناس . إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه .

فى هذا المثل ما يدلنا على مقدار عدل عمر وإنصافه وحبه للحق وعزوفه عن الباطل .

وهذا مثل آخر من آلاف الأمثلة التى تدلكم على أنه بالرغم مما امتاز به المسلمون فى صدر الإسلام - من عظمة وسؤدد - وبالرغم من خضوع الممالك لهم . وبالرغم من عظم ثروة البلاد التى فتحوها وأخضعوها بالرغم من كل أولئك لم يتركوا زهدهم - أو يتنازلوا عن تقشفهم .

فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل عمير بن سعد على حمص . فلما انقضت السنة طلبه عمر للحضور إليه فلم يشعر إلا وقد قدم عليه ماشيا حافيا - عكازته بيده وإداوته ومزوده على ظهره . فلما رآه عمر على هذه الحال . قال . ياعمير ، أأجدبنا أم البلاد بلاد سوء

فقال : ولم يا أمير المؤمنين وقد جئت إليك بالدنيا أجرها بقرابها

فقال له عمر : وما معك من الدنيا ؟

قال : عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا إذا لقيته .

ومزودة أحمل فيها طعامى .

وإدارة أحمل فيها ماء لشرابى ولطهورى . فو الله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد إلا تبع لما معى .

فتأملوا رحمكم الله كيف سمت نفوس أولئك البدو وهم لم يتخرجوا في مدارس علميـــة - ولم يلقنوا نظرات سياسية . وإنما ارتفعت بهم الرجولة التي بثها فيهم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام . وهي التي جعلتهم يتغلبون على أرقى الأمم حضارة وأعظم مدنية .

وهذا مثل يدل على عظيم مروءتهم - وعلو همتهم - وسمو نفوسهم وحسن شمائلهم .

حكى القاضي يحيى بن أكثم عن نفسه قال :

كنت ضيفا على المأمون وخرجت معه يوما للاستراحة في البستان ومشينا فيه من أوله إلى آخره . وكنت أنا مما يلي الشمس . والمأمون مما يلي الظل . فكان يجذبني لأتحول أنا في الظل ويكون هو في الشمس فأمتنع عن ذلك حتى بلغنا آخر البستان . فلما رجعنا قال يا يحيى لتكونن في مكاني - ولأكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك - وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي : ولم يزل بي حتى تحولت إلى الظل - وتحول إلى الشمس قائلا : « إنه لاخير في صحبة من لا ينصف » .

والتاريخ الإسلامي مليء بالحوادث التي تدل بوضوح على مدى ما وصل إليه المسلمون وقت ذاك من رقي خلقي .

ولو أن الناس رعوا هذه الأخلاق لتحققت وحدة المجتمع كما يرجوها الإسلام - وتوافرت السعادة لأبنائه كما ينشدها الدين : ويقيني أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : وباتباعها لهدى رسولها الكريم عليه الصلاة والسلام . ونهجها نهج صحابته . عليهم رضوان الله جميعا .

فاتقوا الله أيها المسلمون واجعلوا الوازع الدينى نصب أعينكم . واعملوا بأوامر دينكم - وسيروا على هدى نبيكم . تسعدوا وتتبوأ أمتكم المكانة اللائقة بها بين الأمم الراقية . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون .

الحديث : « من تمسك بالسنة دخل الجنة »

الاستغفار وفضله

قال الله تعالى : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) .

. . . المسلم حقا هو الذى يراقب الله تعالى فى جميع أعماله . ويبعد كل البعد عن فعل المعاصى التى نهى الله عنها .

وإذا طوحت به نفسه واستهواه الشيطان ونسى ذكر الله تعالى وارتكب معصية من المعاصى وجب عليه أن يتوب ويندم ويكثر من الاستغفار . وبذلك يتوب الله عليه - ويبدل سيئاته حسنات . وكان ذلك على الله يسيرا .

قالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله ﷺ « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار » .

والاستغفار المطلوب شرعا لابد أن يكون باللســـان مع حضور

القلب - والإقلاع من الذنب . لأن الاستغفار باللسان من غير توبة وإخلاص لا ينفع .

قال الربيع بن خيثم : لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل .

وقال الفضيل بن عياض : الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين .

وقالت رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير ولقد صدقت والله فيما قالته : لأن استغفارنا ليس فيه إخلاص لله تعالى ولا حسن نية وإنما هو ألفاظ يرددها المتظاهرون بالعبادة عدا على المسبحة التي بأيديهم .

وقال بعض الحكماء : من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم .

وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم . وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تحببت إلى بالنعم مع غناك عني . وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك . يا من إذا وعد وفى . وإذا أوعد عفا . أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين . هذا وليس استغفار الله بالشيء القليل الأثر ولا هو بالابتهال الذي لا يجلب الخير العميم ولكنه غرس إذا صحت لبة قائله جاء بالخير العظيم : قال الله تعالى في كتابه الكريم (استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) .

أرأيت أيها المسلم كيف يفعل الاستغفار الصادق ، أرأيت كيف يحدثنا الله عنه ويرغبنا فيه . أرأيت هذه الجنات والأنهار والأموال والبنين كيف تكون كلها جزاء ثلاث كلمات هن « أستغفر الله العظيم ».

فيا قوم نحن مذنبون غارقون فى ذنوبنا . تكتنفنا هذه الذنوب وتحيط بنا فى كل وقت وفى كل زمان . فى الليل وفى النهار ، وفى محل أعمالنا ، وفى منازلنا ، وفى طرقاتنا نذنب بأيدينا ونذنب بألسنتنا ونذنب بقلوبنا . فإذا كان هذا حالنا فما لنا لا نستغفر الله كثيرا فى كل زمان وفى كل مكان حتى نلقى من لدنه ما وعد به المستغفرين من الجنات والأنهار والأموال والبنين !

وفى نظرى أن الناس إذا ابتعدوا عن المعاصى وانصرفوا إلى عبادة ربهم . وأخلصوا النية ، وأحسنوا الطوية ، لأزال الله عنهم ما هم فيه من ضيق وعسر ، وغلاء ، وبلاء : لأن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد عالج تلك الأزمة التى كانت فى زمن خلافته بكثرة الاستغفار والتوبة والعمل بسنة النبى المختار صلى الله عليه وسلم فأزال الله عنهم العسر ، وأصبحوا فى رغد من العيش .

وصيغ الاستغفار كثيرة . وقد اخترت منها هذه الصيغة :

« اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه .

وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ولم أوف لك به .

وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك .

وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك

وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم ».

فاتقوا الله أيها المسلمون واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه . يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم .

روى الإمام أحمد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا . ومن كل ضيق مخرجا . ورزقه من حيث لا يحتسب »

العـــدل

قال الله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . يعظكم لعلكم تذكرون) .

. . . العدل : هو إعطاء كل ذى حق حقه ، فهو مساواة بين الناس جميعا فى إعطاء الحقوق .

وقد أمر الله به فى كتابه الكريم فى كل الأمور — لأن بالعدل نظام الملك : ووعد العادلين بمحبته لهم — وإجابته دعاءهم — ومعونته لهم — وتبصيرهم طرق الرشاد — وشكر الناس لهم — وإظلالهم العظيم فى الجنة : إلى آخر ما جاء فى الأحاديث النبوية الشريفة .

فبالعدل تعيش الأمة عيشة رضية فى أفرادها وجماعاتها فقراؤها وأغنياؤها . ضعفاؤها وأقوياؤها : يعيشون على أنفسهم مطمئنين —

وعلى أموالهم وأعراضهم آمنين . فيتمتعون بما أوتوا فى الحياة متاعاً طيبا — وينعمون فيها نعيما صافيا .

وإذا عم العدل أمة استغنت من الحاكم وقضاتها ، وموظفيها ومحاميها وسماسرتها ، بل أكثر الحكام وظيفتهم إقامة العدل ، فإن كانت فلا حاجة إليهم ، وبذلك نوفر على الأمة عدداً كبيراً يشتغل فى مصالح أخرى ، ونقتصد مقداراً كبيرا من مال الجمهورية ومن مال الأمة .

فالسعيد من عدل والشقى من ظلم . والعادل راضية عنه نفسه . راض عنه قومه . محب له ربه .

العادل لا يرعى فى عمله إلا الله . ولا يحابى أحدا من خلق الله . ولا يخضع إلا لأوامر الله . ولا يعمل إلا بوحى الله : فيد الله تؤيده وجنده يمده .

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه منصفا عادلا . يقول الحق ولو على نفسه . ويرجع إلى الصواب إذا عرفه . وينفر من الباطل إذا تبينه . ويقيم العقوبات ولو كان هو الذى سيعاقب بها . ويحرص على إرضاء أصدقائه فلا يسوءه إليهم . وإذا بدر منه إلى أحدهم شىء سارع بالندم وطلب العفو والمغفرة أو القصاص والانتصاف . وإليكم مثلا يوضح لكم ذلك :

قال ربيعة الأسلمى :

جرى بينى وبين أبى بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها ، ثم ندم . فقال يا ربيعة : رد على أى قل لى مثلها حتى يكون قصاصا .

فقلت : لا أفعل : قال : لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ فقلت : ما أنا بفاعل : فانطلق أبو بكر : وجاء أناس من أسلم (قبيلة ربيعة) فقالوا : رحم الله أبا بكر ، فى أى شىء يستعدى عليك لنا ، وهو الذى قال ما قال ؟ فقلت : أتدرون من هذا ؟ هذا أبو بكر الصديق . هذا ثانى اثنين . هذا ذو شيبة فى الإسلام ، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصرونى عليه فيغضب . فيأتى رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه : فيغضب الله لغضبهما ، فيهلك ربيعة . قال ربيعة :

وانطلق أبو بكر وتبعته وحدى ، حتى أتى رسول الله ﷺ فحدثه كما كان : فرفع إلى رأسه وقال : ياربيعة : مالك والصديق فقلت : يارسول الله كان كذا وكذا فقال لى كلمة كرهتها ثم قال لى : قل كما قلت حتى يكون قصاصاً فأبيت : فقال رسول الله ﷺ أجل فلا ترد عليه . ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر .

هذه هى الأخلاق الكريمة . وهؤلاء هم الرجال : وبمثل هذا الأدب الاسلامى الرفيع كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤدب أصحابه ليخرجهم سادة العالمين فى النبل والشهامة وحسن الفعال .

وروى أن يهودياً شكا علياً إلى عمر فى خلافته رضى الله عنهما . فقال عمر بن الخطاب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه قف بجوار خصمك يا أبا الحسن . فوقف . وقد علا وجهه الغضب . فبعد أن قضى الخليفة بينهما بالعدل قال : أغضبت ياعلى أن قلت لك قف بجوار خصمك ؟ وقال : لا والله ياأمير المؤمنين ، ولكن من كونك

كنيتنى بأبى الحسن : فخشيت من تعظيمك إياى أمام اليهودى أن يقول : ضاع العدل بين المسلمين .

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ رزقه وكان جندياً من جنود المسلمين ، ولكنه كان فى الجاهليـــة قتل أخاً لعمر ابن الخطاب . فلما رآه عمر أربد وجهه وقال له : ياهذا إنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدم . فقال الرجل أو مانعى ذلك عندك حقاً من حقوق الله ؟ فقال عمر : اللهم لا ، فقال الرجل : ما يضيرنى بغضك إياى . إنما يأسى على الحب النساء فقد عرف الرجل من ورع عمر ودينه أن شدة غيظه وحقه عليه وكراهيته له لاتخرج به عن حدود العدل إلى الظلم ، فهو لثقته بدين عمر آمن من بطشه .

فهذه صور تريكم مبلغ تقدير أصحاب رسول الله وخلفائه والأكرمين لروح العدل الذى هو ميزان الله فى الأرض .

وحسبكم دلالة على فضيلة العدل أن الجور الذى هو ضده لا يقوم إلا به . وذلك أن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم احتاجوا إلى استعمال العدل فى اقتسامهم . وإلا أضر ذلك بهم .

قد عرفتم فضيلة العدل ومزاياه كما ذكرت لكم . فلا تميلوا إلى الظلم والجور . لأن الظلم إذا انتشر فى أمة فقدت عزها وسلطانها . وسلط عليها عدوها فاحتل بلادها وانتزع أموالها . إن فى ذلك لذكرى لقوم يعقلون .

من تمسك بالسنة دخل الجنة :

المكر والخداع من أمراض المجتمع الانسانى

قال الله تعالى : (ومكروا مكراً ومكرنا(١) مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم(٢) وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) النمل .

. . . المكر : هو التدبير الخفى النافع للماكر له، الضار للممكور به . وقد أخبرنا الله جل شأنه بأن قوم نوح حين مكروا مكرا كبارا عاقبهم أشد العقاب . قال جل شأنه : (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً . فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) .

وهؤلاء كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أمرهم على أن يفتكوا به ليلة الهجرة . فأحبط الله مكرهم وأفسد تدبيرهم وأذلهم وعصم رسوله منهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته فى رعاية الله وحفظ الله . يحثو التراب على رءوسهم . وفى ذلك يقول الله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين) وهكذا شأن الماكرين فى كل زمان ومكان . يحبط الله أعمالهم . ويضل سعيهم، ويرد سهامهم إلى نحورهم : قال الله تعالى : (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها . وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) .

---

(١) المكر يطلق على الله تعالى بدون مشاكلة . والمكر منه الحسن والسيء ، ومكر الله لا يكون الا حسنا .   (٢) أهلكناهم .

وقد أخبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن أبى هريرة بأن عاقبة المكر والخداع عذاب النار فى الدار الآخرة . أما عاقبتهما فى الدنيا فالخزى والفشل والخيبة والخسران ، فإن الماكر المخادع لايلبث أن ينكشف أمره وتظهر حقيقته وينفضح مستوره ، فينبذه الناس ويأخذون منه الحذر .

وقد وعد الله المؤمنين بالحفظ من شر المنافقين الماكرين ، كما توعد هؤلاء بسوء المصير : يقول الله تعالى : (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) ويقول جل شأنه (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .

أما الخداع : فهو إظهار مايوهم السلامة وإبطان ما يقتضى الإضرار بالغير . والمؤمن لطهارة قلبه وصفاء نفسه وكرم طبعه لا يتطرق إليه الشك فى أقوال الناس وتصرفاتهم ولا يسىء الظن بهم لأنه اعتاد الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ، فيعتقد أن الناس يتخلقون بخلقه .

والقرآن الكريم يقص علينا مثلا من أمثلة ذلك . فإن الشيطان حين أراد أن يغرى آدم وحواء بالأكل من الشجرة ، زين لهما مكره وخداعه فى صورة الارشاد والنصيحة . فقال لهما كما جاء فى القرآن الكريم

(ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين(١) أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين . فدلاهما

---

(١) أى لكى لا تكونا ملكين ، ولكى لا تصبحا من الخالدين

يغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين).

فقدم ظن آدم عليه السلام حين أقسم له إبليس بأنه ناصح له ظن أن أحداً من خلق الله لا يجرؤ أن يحلف بالله كذبا .

وأتى رجل إلى الأحنف فلطمه فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : جعل لى جعل أن ألطم سيد بنى تميم . فقال له : أنا لست بسيدهم ، عليك بحارثة بن قدامة فإنه سيدهم . فمضى إليه فلطمه فقطعت يده .

وبلغ عضد الدولة أن قوما من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شاهقة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع إليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لأحد نساء الأمراء . ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة ، فنزل القوم فأخذوا الأمتعة والأموال ثم انفرد أحدهم بالبغل وصعد به إلى الجبل فوجد الحلوى ، فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه . فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الأموال أموالهم .

وإذا كان القرآن الكريم قد دعانا إلى اجتناب كثير من الظن

لأن بعض الظن إثم ، فإنه دعانا إلى أخذ الحذر من الأعداء ، ومن نتهم فيه العداوة والبغضاء .

فالمكر والخداع غش وكذب وخيانة وإيذاء للناس . وجدير بالمؤمن أن يتجنب ذلك فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .

فمن أراد السلامة فى الدنيا من عقاب الله العاجل ، وأراد النجاة فى الآخرى من عذاب الله الآجل ، فليطهر قلبه من خبائث المكر السيء فى معاملته مع الناس ، ويغمره بإيمان مصحوب بمكارم الأخلاق ، حتى يكون سعيد العيش فى الدنيا ، مرضيا عنه فى الآخرة ، وذلك هو الفوز العظيم .

روى الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً فإن الله يقول : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) » أى ولا يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم ، ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا .

فإن الله سبحانه وتعالى يقول : (إنما بغيكم على أنفسكم) ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا) .

فإن الله يقول : (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) .

وقد وقع فى مثل هذا فى كلام العرب . فقد قالوا : من حفر لأخيه جبا أوقع فيها منكبا .

فالعبرة فى الأمور بالعواقب . والله يمهل ولا يهمل . ووراء الدنيا الآخرة ، فإن لم يجاز الماكر فى هذه الدار فسيلقى الجزاء فى

الآخرة : (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

نعوذ بالله من شر النفوس التى لم تتأدب بالآداب الدينية ولم تهذبها التربية الأخلاقية ، ونسأله الهداية إلى الطريق المستقيم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المكر والخداع فى النار(١) » رواه الطبرانى .

المجاملة والمسايرة

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « من تحبب إلى الناس بما يحبون . وبارز الله تعالى لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » .

... المجاملة كما يراها الدين الحنيف أن نحسن القول ، ونتأدب فى الحديث ونرعى حق الجليس — فلا نواجهه بما يغضبه — ولا نجابهه بما يغضبه . من غير أن نبدل الحقائق . أو نقول مالا نعتقد .

لقى الحجاج رجلا من بلاد اليمن يرفع صوته بالتلبية وهو يطوف

---

(١) يعنى أى صاحب المكر وصاحب الخداع مأواهم النار . وبئس القرار . أما عاقبتهما فى الدنيا فالخزى والفشل والخيبة والخسران. فإن الماكر المخادع لايلبث أن ينكشف أمره . وتظهر حقيقته وينفضح مستوره . فينبذه الناس ويأخذون منه الحذر . والمؤمن لايلدغ من جحر مرتين

بالبيت الحرام فقال له : كيف تركتم واليكم محمد بن يوسف ؟ فقال اليمني : تركته جسيما وسيما . فقال الحجاج : لم أسألك عن صحته ، وإنما أسألك عن سيرته . فقال اليمني : أما عن هذا فقد تركته ظلوما غشوما يرضي المخلوق بمعصية الخالق . فقال الحجاج : ويحك . ألم تعلم أنه أخي ؟ فقال اليمني : وهل تطمع في أن أحابيك في أخيك على حساب الحق وأنا في بيته : !!

هذه سنة أسلافنا الصالحين الذين لم يسايروا ظالما مهما بغى ولم يجاملوا أحدا على حساب الحق مهما طغى .

أما سبيلنا الآن في المجاملة والمسايرة ، فقد أسرفنا في المجاملة ، وأفرطنا في المسايرة والمصانعة ، حتى كدنا لا نرى ناقدا لمخطيء ، ولا معترضا على مبطل ، وعددنا ذلك كياسة ولباقة .

فهذا رجل يكتم الشهادة أو يؤديها على غير وجهها . مجاملة لصديق ، أو مسايرة لغني ، أو مصانعة لقوي . فتضيع الحقوق . وتكثر الجرائم ، ويعاقب البريء ، ويفلت الآثم . وتنعدم الثقة ، وتفسد الأخلاق .

وهذا صديق يحادثك ليسرك ويسامرك ليضحكك فإذا جد الجد وحزب الأمر توارى واستتر .

يعطيك من طرف اللسان حلاوة

ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وهذا جليس يلقاك بالبشر والترحاب ، ويشاركك الحديث . فتطلعه على سرك ، وتشاوره في أمرك . فيحسن لك المسلك المعيب .

ويمتدح عملك الشائن المريب ، يسايرك ولا يغايرك ، ويوافقك ولا يعارضك وإذ انتهى مجلسك والتقى بغيرك أفشى سرك . وسفه رأيك : (كمثل الشيطان إذ قال للانسان أكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك) .

ومن أعجب ماسمعناه فى المسايرة والمداهنة أن رجلا له قيمته كان فى حضرة عظيم أراد أن يعرف رأيه فى أحد العلماء وظن المسئول أن العالم من المقربين فأجاب على الفور : إنه تقى صالح ، يرجى خيره وتلتمس بركاته وما كاد يتم قوله حتى لمح الغضب فى وجه سائله العظيم ، فاستدرك قائلا : لكنه جاهل أحمق . ومادرى هذا وأمثاله أنهم بهذه الموافقة المطلقة ، والمسايرة التامة ، قد حاربوا الحق والصدق والصراحة ، وهى من أعظم مكارم الأخلاق له .

وهذا . . . وهذا . . . وهذا . . . مما يطول شرحه وعده .

رحم الله تلك الأيام التى كان الإنسان فيها يقول الحق ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين ، ويجهر بالمعروف ، ولا يخشى فى الحق لومة لائم .

ذاكرا قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) .

نعم رحم الله أياما كانت فيها النفوس صادقة ، وكانت الألسن فيها بكلمة الحق ناطقة : رحم الله عمر بن الخطاب — تجاهره عجوز بالحق وهو على المنبر فيقول : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

وهو الذى يقول غداة خلافته : إن رأيتم فى اعوجاجا فقوموه ، فيسمع من يقول له فى شجاعة وحزم : والله لو نعلم فيك اعوجاجا

لقومناه بسيوفنا . ثم لايغضب ذلك عمر . فيقول : الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم عمر بسيفه .

رضى الله عنك يا عمر فقد قلت الحق . وطلبت أن يقال لك . ولما قيل قرت به عيناك ونزلت على حكمه ، فلا مواربة ولا مداجاة ولا مصانعة ولا محاباة . ولا مداهنة ولا مراءاة ولا مجاملة — ولا مسايرة .

فيأيها المسلمون : اعلموا أنه لا حياة للأمم مع الغش والنفاق ، ولا بقاء لها ولا تقدم إلا بالشجاعة الأدبية والصراحة : فبهذا تعرف الأمة وضعها الصحيح وموقفها الصريح فتهدف إلى الإمام ، وتسير إلى الكمال .

ورحم الله سلفنا الصالح . فقد كان حرصهم على الحق مضرب الأمثال : لا يهابون أحداً ، ولا يخشون رهبا : فالنا لا ننهج ونحن نتلوا من آيات الذكر الحكيم ما كان خليقاً أن يزيدنا حرصاً على الحق، وتعلقا له والحق أحق أن يتبع .

قال الله تعالى : (والعصر. إن الإنسان لفى خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

والله يقول الحق . وهو يهدى السبيل .

قال رسول الله ﷺ : « من تحبب إلى الناس بما يحبون وبارز الله تعالى لقى الله وهو عليه غضبان » .

الابتلاء

قال تعالى (ولنبلونكم (١) بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) .

يختبرنا الله سبحانه وتعالى ويمتحن إيماننا وصبرنا ورضانا بقضائه وقدره : يختبرنا بأنواع المصائب والملمات . ويمتحن شكراً وتقديراً بالفضيلة وإحسانه بأنواع النعم والملذات .

وأنواع المصائب والملمات كثيرة . منها الخوف . والاشراف على الهلاك. والجوع . والفقر . والمرض . والألم والحزن . والموت إ. ونقص الثمرات . وإتلاف المزروعات . بالميكروبات والآفات : ومنها غير ذلك مما يطول ذكره وشرحه ، وأنواع النعم والملذات كثيرة أيضاً : منها : الثروة . والجاه ، والقوة . والسعادة ، والصحة ، ومنها غير ذلك مما لا يمكننا حصره وعده .

---

(١) لنمتحنكم . والمراد نصيبنكم إصابة من يختبر أحوالكم . والمعنى :

ولنصيبنكم أيها المؤمنين بشيء قليل من الخوف والجوع والنقص في الأموال بضياعها وفي الأنفس بموتها وفي الثمرات بقلتها (أو بموت الأولاد) وأخبر الله بهذا لتهدأ قلوب المؤمنين وتسكن . مستسلمين إلى الله راضين بقضائه وقدره اذا ما أصابهم شيء من ذلك في الدنيا محتسبين الأجر عند الله قائلين : إنا ملك لله . وإنا اليه راجعون .

يمتحننا الله جل شأنه ويختبرنا بذلك ليرى - وهو العالم بكل شيء - أنصبر أم نكفر ونشكر أم نبطر ونتوب إليه ونرجع عن ضلالنا أم نصر على عصياننا . قال تعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)

فكم من غافل جاهل هلع وجزع وسخط على قضاء الله . وندب حظه ، وما شعر ولا فهم أن هذا الكدر والضيق ابتلاء من الله وتذكير - وزجر له على تقصيره وتحذير وما رجع إلى ربه — ولا اهتم لغضبه — ولا أقلع عن ذنبه . بل ظل على ما كان عليه — ولم يتأدب بزجر الله — ولم يتعظ : وغفل عن قول الله تعالى : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)

فكل من الخير والشر فتنة وابتلاء . أو منة وعطاء أو عقاب وجزاء : مصداقا لقول الله تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون).

فكل ما يصيب المرء من خير فمن الله . وما يصيبه من شر فمن نفسه وما جنته يداه : وهو بعض ما يستحق من عقاب : لأن الله تعالى يعفو عن كثير ويرجىء أكثر العقاب — ليوم الحساب : قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) : وقال جل شأنه : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقال : (ما أصابك من سيئة فمن نفسك).

وهناك نوع آخر من الابتلاء : وهو تقسيم الحظوظ بين الناس

وتفاوتهم فى الأموال . والأولاد . والقوة . والمراتب : فقد جعل الله تعالى من الناس الفقير . والغنى . والضعيف . والقوى . والسليم والسقيم . والولود . والعقيم : جعل الله من الناس ذلك ليعلم وهو العليم الخبير - من يحمد ويشكر ويرضى بقضائه وقدره ويصبر : قال تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) وقال جل شأنه : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) .

فالله تعالى يبتلى المؤمن بالضراء ليكفر عنه سيئاته . ويكافئه على صبره ويبتليه بالسراء ليزيده رضا وشكرا ويكافئه على شكره . يقول رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله لخير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » .

ويبتلى الله المجرم بالضراء ليذيقه من العذاب الأدنى قبل العذاب الأكبر عقابا لما جنت يداه — ويملى له بالسراء ليزداد إثما وبعدا عن رحمة الله .

فالمؤمن أسعد خلق الله فى ضرائه وسرائه وسرائه . والفاسق أشقى خلق الله فى سرائه : قال تعالى : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرا لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) .

فالبلوى للمؤمن نعمة عظيمة وخير كثير . فهى تكفر عن ذنبه ولقد تطهره وتنبهه من غفلته وتذكره . وتردعه عن هفواته وتحذره .

صدق من قال :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت .·. ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

فاحذر أيها العاقل الغفلة عن آثامك . وإذا ابتلاك الله فنقب عما أغضبه واستوجب عقابه ، واجتهد أن تتحلى بالفضائل . وتتجرد من الرذائل فإذا أصابك الله بمحنة كانت لك أجراً وثواباً ، أو رجزاً وإيقاظاً لتكون أحسن مآباً . (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

قال رسول الله ﷺ :

« إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » .

التربية الدينية للأسرة الاسلامية

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة . عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

خلق الله الناس من ذكر وأنثى ، وجعل الرجال قوامين على النساء ليعمر الكون ويتم نظامه تعالى فى عالمه ، فكان لزاما على الرجل أن يقوم بتربية أهل بيته وأولاده تربية صحيحة تكفل لهم السعادة فى الدنيا والنجاة فى الآخرة .

ومن أهم أنواع التأديب أن يعتنى بإرشادهم إلى معرفة الدين .

فيغرس فى نفوسهم حب الله ومراقبته . ويعرفهم الطهارة والصلاة وما إلى ذلك من العبادات الدينية، والأخلاق الكريمة المرضية . حتى يشبوا ويترعرعوا على حب العبادة . وبذلك ينشئون على حب الخير والمحمدة، لأن النفوس فى نشأتها كالعجينة يستطيع المربى أن يصورها إلى الصورة التى يختارها، وكالصحيفة البيضاء التى يمكن المربى أن ينقش فيها ما يشاء من خير وشر، وكالأرض الجيدة التربة مستعدة لأن يزرع فيها البذر النافع .

فاذا عنى الوالد بتربية أولاده وأهل بيته ومن يعولهم من الناس كان بمنزلة من وضع فى الأرض الجيدة أنفع البذور وأحسنها . فلا تلبث أن تأتى بالثمر اليانع، والنتيجة الحسنة .

أما إذا أهمل تربيتهم واقتصر على أن يطعمهم ويعولهم ويتركهم كالأنعام السائمة، لا يعرفون حلالا ولا حراما، ولا يرهبون من عقاب ولا يرغبون فى ثواب - كان مسئولا عن جناياتهم وجرائمهم عند الله تعالى . لأنهم أمانة أهملها ولم يقم بما فرضه الله عليه فيها . مصداقا لقول الرسول الكريم ﷺ : «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع» .

وكان مثله فى ذلك مثل من أهمل أرضه حتى نبتت فيها الأشواك والأحطاب، وسكنت فيه الأفاعى والحيوانات الضارية .

فهذا مثل يريكم ما للقيام على تهذيب النفوس وتأديبها بآداب الدين من الفائدة . لأن عدم غرس مبادىء الدين فى النفوس يجعلها عرضة الزيغ والضلال، ومعرضة للفساد والطغيان، وتكون النتيجة حرمان

لأصحابها من راحة الدنيا وسعادة الآخرة ، ومن خسر دنياه وآخرته فهو من الهالكين .

كان سلفنا الصالح فى تربيتهم لأسرهم التربية الدينية على جانب عظيم . لأنهم يعلمون ان للدين على القلوب سيطرة وسلطانا ليس لغيره أن يقوم بمثلها .

ومما يدلكم على ذلك أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد ربى أولاده البنين والبنات تربية قويمة كريمة .

لما خرج رضى الله عنه مع النبى ﷺ مهاجراً وأخذ معه ماله كله وكان كثيراً يعد بالآلاف ، جاء والد أبى بكر واسمه قحافة ، وكان شيخا ضريراً إلى منزل أبى بكر وفيه بنته أسماء رضى الله عنها . فقال لها جدها : يا بنتاه أظن أن أباكم قد فجعكم فى ماله فأخذه معه كما فجعكم فى نفسه بذهابه عنكم مع محمد ، وكانت أسماء فتاة عربية مسلمة مؤمنة . فصمتت قليلا تفكر فى حيلة تدخل بها الطمأنينة على قلب جدها . فهداها الله إلى ذلك بسرعة ، فقالت لجدها : لا ياجدى لقد ترك لنا أبى مالا كثيرا . ثم قامت مسرعة فى خفة وحذر فجمعت كومة من الحصى ووضعتها فى كوة ، طاقة ، وغطتها بغطاء سميك ، ثم عادت لجدها وقالت : تعال ياجدى لأريك المال الذى تركه لنا أبى ثم قادته من يده إلى الكوة ووضعتها فوق الكومة وأخبرته أن هذا مال : فاطمأن الشيخ الضرير . وأغنى الله أسرة أبى بكر رضى الله عنه فلم يحتاجوا إلى أحد من الناس . فاستوى عندهم الحصى والجواهر .

وأسماء هذه هي التي تسمى في السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي باللقب «ذات النطاقين» ، فهل تعرفون لماذا سميت بذلك اللقب ؟ إنها لحادثة طريفة : فقد كانت أسماء رضي الله عنها تنقل الطعام والزاد خفية إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيها أبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار : وفي اليوم الأخير الذي عزما فيه على استئناف الرحلة إلى المدينة دار النصرة ، ومقر الهداية ، ومركز القيادة : لما عزما على ذلك لم يجدا أربطة يربطان بها الأمتعة . فنزعت أسماء نطاقها ، وهو حزام من الجلد تشده المرأة في وسطها ، ثم شقته نصفين ، فربطت بالنصف الأول فوهة الحقيبة التي فيها طعام النبي ﷺ : وربطت بالنصف الثاني القربة التي كان فيها ماء شربه ، فسميت لذلك «ذات النطاقين» ، وهو لقب كريم يذكر الناس بموقفها النبيل في نصرة الإسلام وتضحيتها بوسائل زينتها في سبيل عقيدتها .

فانتبهوا رحمكم الله تعالى إلى ما أوجب الله عليكم في أهليكم وأبنائكم فعودوهم مكارم الأخلاق ، وأدبوهم بآداب الشرع الشريف تتم سعادتكم بهم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال رسول الله ﷺ : «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع» .

الخوض فيما لا يعني

قال الله تعالى : (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) .

الخوض فيما لا يعنى من أقبح الصفات وأرذل الأخلاق : وهو مع قبحه وشناعته تمكن من الناس حتى كاد يكون غريزة فيهم . واعتاده كثير منهم مع ما ينجم عنه من الشرور والمفاسد .

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

فهذا الحديث الشريف قد حوى أدب الحياة ونظام المجتمع فى قليل من اللفظ وكثير من المعنى : فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول أيها المسلم : خذ ما يعنيك من أمور دينك ودنياك فى هذه الحياة ودع مالا يعنيك منها .

والذى يعنى المسلم من أمر دينه فى هذه الحياة — هو معرفة ما أوجبه عليه الشرع من عقائد وأحكام وأخلاق . والذى يعنيه من أمور دنياه رزق يسعى إليه من طريق مشروع ، وبر يؤديه إلى الإنسانية وعلم نافع ينشره بين الناس . وما عدا ذلك مما ليس فيه نفع للفرد ولا للمجتمع فهو باطل لا خير فيه .

ونحن إذا استعرضنا أحوال كثير من الناس نجدها بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين . لأنهم رغم تذكيرهم بها نراهم دائماً يخوضون فيما

لا يعنيهم . وإليكم مثلا من صور الحياة فى مجتمعاتنا تبين لكم ذلك :

كثيراً ما نجد خلافاً بين الوالد وولده ، أو بين الأخ وأخيه ، أو بين المرء وزوجه . أو بين المرءوسين ورؤسائهم . أو بين المرءوسين بعضهم مع بعض . أو المتعلمين مع أساتذتهم . أو جماعة من الجماعات أو هيئة من الهيئات . وإذا بحثنا عن سبب هذا الخلاف وجدنا أنه يرجع غالباً إلى تدخل بعضهم فيما لا يعنيه .

تجلس إلى صاحبك فتتحدث إليه فى شأن خاص أو أمر عائلى — وإذا بشخص ثالث يتطفل عليكما ويبادلكما الحديث .

جماعة فتوجههم إلى خير عام أو مقصد أسمى ، فيأتى إليك بشخص أو وتجلس إلى أشخاص من ذوى الأغراض ، فيعارضون وجهتك ، أو ينقضون حديثك . وهم فى الحقيقة ونفس الأمر ليسوا أهلا للتوجيه أو القيادة .

ويقابلك صديق فى الطريق العام فيحييك ، ثم يلقى عليك طائفة من الأسئلة المحرجة ويقول لك : من أين أتيت ؟ أو إلى أين تذهب ؟ وما الذى أتى بك إلى هنا ؟ إلى غير ذلك من كلام لا معنى له .

وأنت أمام هذه الأسئلة فى حرج . فإما أن تصدقه وإما أن تكذبه فإن صدقته فربما تكون قد أذعت سراً لا ينبغى أن تذيعه . وإن كذبته كنت قد ارتكبت إثماً . وعلى أى حال فما كان أغنى هذا المخلوق — لو اقتصر على التحية وانصرف إلى عمله دفعاً للحرج — وامتثالا لقول الله تعالى : (ولا تجسسوا) !

إن أكثر المجالس الآن لا تخلو من خوض الناس فيما لا يعنيهم

أو من التفكه بأعراض الناس ـ أو الخوض في الباطل . وهذا أمر لا يسر الدين ولا يرضى عنه رب العالمين . أما آن للذين يخوضون فيما لا يعنيهم أن يتوبوا ويهتدوا إلى الصراط المستقيم ؟ ! !

هذه طائفة من صـــور الحياة لاتزال ماثلة بين أعيننا ، وقائمة في مجتمعاتنا . ومصدر هذه الصور إنما هو اللسان الذي له آفات لها خطرها على المجتمع الانساني .

فالمؤمن الذي يريد النجاة في دينه ودنياه هو الذي لا يخوض فيما لا يعنيه . فمن الخير أن يقتصر الانســان في حديثه على ما يعنيه من أمر دينه ودنياه (كما ذكرنا) ليكون ذلك لســانه أسلم ولقلبه أطهر .

فليتق الله أولئك الذين يرسلون لأنفسهم زمام الخوض في الباطل وليتدبروا قول الله تعالى :

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)

صفات المؤمنين الصادقين

قال الله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين

يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) الأنفال .

... يود كل إنسان أن يعرف مستقبله ، إما إلى جنة . وإما إلى نار . فإن عرفه الجنة اطمأن لها ، وإن عرفه النار . سلك غير طريقها . وفي إمكان الإنسان أن يعرف من الآن عاقبته إن كانت حسنى أو سوأى . فإن الله جل شأنه قد ذكر صفات للمؤمنين . ورتب عليها السعادة .

فلينظر كل امرىء إلى نفسه . فإن كانت تلك الصفات خلاله فهو ممن يرثون الفردوس . وإن كان بعيداً عنها فالنار مثواه .

ذكر الله جل شأنه في الآيات السابقة ، التي ألقيتها على مسامعكم ، خمس صفات . هي علامة الإيمان الحق . علامة الإسلام الصحيح : فمن كان عنده الخمس . فالإيمان كامل : ومن نقص منها شيئاً فإيمانه بقدر مانقص منها . ومن فقدها كلها فلاحظ له في الإيمان . والواجب عليه السعي في تداركها قبل أن ينتهي أجله .

فالصفات الخمس التي يكون بها الإنسان مؤمناً حقاً لا باطلا وكاملا لا ناقصاً .

أولاها : خشوع القلب عند ذكر الله سبحانه وتعالى .

وثانيها هذه الصفات : التأثر عند سماع القرآن الكريم .

وثالثها هذه الصفات : التوكل على الله .

ورابعها : إقامة الصلاة .

وخامسها : إيتاء الزكاة .

تلك أعمال يعملها الإنسان . ولكل عمل عند الله جزاء . وما أحسن جزاءه . وأجزل ثوابه .

أتدرى أيها المؤمن بم يكافئك ربك على هذه الأعمال الحسان ؟ أعد لك ثلاث مكافآت :

أولاها : درجات عنده لاتقاس بها المناصب الدنيوية ولا الدرجات المالية . ولا الرتب السنية : وكفاها شرفاً أنها من عند الله ملك الملوك الذى يقول وقوله الحق . (إن المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) .

والمكافأة الثانية : مغفرة الله وعفوه : فإذا أعطاك الدرجات السابقة . لم يعنفك على ذنب قد فرط منك قد تبت منه ، وأقلعت عنه وندمت عليه . فليس المقام مقام عتاب وتوبيخ . ولا لوم وتقريع . ولكنه مقام إجلال وإكرام وتبجيل . وعطف وتفضيل .

المكافأة الثالثة : تحية يقدمها لك رب الخلق . ليست قهوة . ولا شاياً ولا طعاماً ولا شراباً ولا غير ذلك من أنواع التحيات التى تقدم فى الدنيا إنما هى رزق كريم . كريم على النفس بالهناءة والسعادة : تأكل منه شهياً . وتشرب هنياً . مصداقاً لقوله تعالى :

(كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) تلك هى المكافآت الثلاث التى أعدها لك ربك . فاحرص عليها كل الحرص ولا تكن من الغافلين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

وإذ قد سمعت يامسلم وصف الله للمؤمنين ، فلا يغرنك كلمات تحكيها بلسانك . وتظن أنها محض الإيمان . ولا أعمال جامدة لاصلة

لها بالقلوب ، تظن أنك بعملها من الأبرار المتقين . بل زن نفسك كل ساعة بهذا الميزان الدقيق ميزان الإيمان لتعرف درجتك فيه . ومكانتك منه فإن وجدت خيرا فاحمد الله على ما هداك إليه ، وإن وجدت غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك ، ولكن لا تيأس من رحمة الله فأبواب التوبة مفتحة، وطريق العمل معبدة . فتب إلى الله مما مضى توبة تنسى الناس ماضيك ، وتزيل ما على قلبك من صدإ العصيان . توبة تبدل فيها السيئات حسنات والمعاصي طاعات . توبة عبد عرف مقام ربه . وشديد بطشه ، وعظيم قهره توقف عند حده ، وجد في العمل وألق بثوب الكسل ، وقل : (ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) .

وفقنا الله تعالى إلى ما فيه إصلاح حالنا ومآلنا، ورزقنا الإيمان الصحيح، وجعلنا من عباده المتقين.

قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم .

المثل الحى فى الايمان الصادق

قال الله تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)

أكثر المسلمين يظنون أنهم متى قالوا : لا إله إلا الله . محمد رسول الله . كانوا مؤمنين ولمثوبة الله مستحقين .

أكثر المسلمين يظنون أن هذه الكلمة تنجى قائلها من النار ، ولو كانت من طرف لسانه ، ولو كان ممن انغمسوا فى المعاصى ليلهم ونهارهم وسعوا فى الأرض فساداً وأهلكوا الحرث والنسل . أكثر المسلمين يظنون ذلك . ونحن نقول لهم ليس الإيمان بمجرد نطق بالشهادتين ، ولا أن تقول : أنا مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره . ثم تنصرف بعد هذا عن كل ما يليق بالمؤمنين الصادقين وإنما الإيمان الحق الصحيح هو نطق وعمل ، وهو بذل وتضحية . وهو تفان لا نهاية له فى ذات الله ، وفى سبيل الله .

فالمؤمنون حقا هم الذين لم يرتابوا فى كل ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أمر أو نهى ، وما أخبر به كتابه المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وهم الذين جاهدوا بأموالهم : وأنفسهم فى سبيل الله .

جاهدوا بأموالهم ، فأنفقوها فى وجوه البر والمعروف ، وفى نواحى الإصلاح والخير، وآووا بها اليتامى والمساكين ، وأعانوا بها

إخوانهم المشركين ، ووصلوا بها الأرحام ، ونصبوا أنفسهم عدولا عليها لا ينفقونها إلا في مرضاة الله ذي الجلال والإكرام .

وجاهدوا بأنفسهم : قدموها قربانا لله ، وفي سبيل مرضاة الله . فكفوا الأذى عن الناس ، ونهوا عن المنكر ، وأنقذوا المستضعفين وناضلوا عن حرمات رب العالمين .

ثم هم الذين يخشعون لذكر الله ، ويبكون من خشية الله ، وهم الذين ينفقون لوجه الله . لا يرجون عوضا ولا ينتظرون جزاء ولا شكورا . وأخيرا هم الذين وصفهم رب الأرباب في محكم كتابه الكريم بقوله

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

من هذا كله نعرف ماهية الإيمان الصادق ، وصفاته ومميزاته ، فليزن المرء منا نفسه بهذا الميزان . فإن كان هو ذاك . فنعم الإيمان ونعمت الحياة ، وإلا فليبك على نفسه وليرجع إلى مولاه .

هذه كلمتنا في موضوع الإيمان . أرجو قبل أن أختمها أن أذكر مثلا صحيحاً لمؤمن من عباد الله ضرب بأوفى سهم في سمو الإيمان بالله تعالى واليقين ، ولعل من يقرأ أو يسمع هذا المثل يأخذ لنفسه منه عبرة وعظة ، والسعيد من وعظ بغيره .

اتفق جماعة من المشركين في عهد رسول الله ﷺ على قتل رجل (١)

(١) خبيب بن عدي .

إلا أن يشرك بالله ، ويؤمن بالأوثان ولما اختلوا به قالوا له : ما هو السيف . فإما أن تشرك بالله وتسب محمدا وإلا قتلناك به إربا إربا . فقال الرجل : لا أسب محمدا ولا أشرك بالله .. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . وأما أوثانكم فلا حاجة لي فيها : وافعلوا بي ما شئتم ، وبعد نقاش طويل هموا بقتله وقالوا له : هل لك حاجة ؟ فقال نعم . أصلي ركعتين لربي ، فتركوه يصليهما فصلاهما على عجل ولم يطول فيهما ، فتعجبوا من أمره ، وقالوا له عجبا لك ترى نفسك قادما على الموت وتستعجل الصلاة ؟ ! ! فردعليهم قائلا : إنما استعجلت الصلاة خوفا من أن تظنوا أني خائف من الموت . فقالوا له وكيف لا تخشى الموت ؟ قال لهم : كيف أخاف وأنا قادم على رب كريم . رؤوف رحيم؟

ولما حضر وقت القتل قال لهم : بقيت لي حاجة واحدة وهي أن تتركوا رأسي إلى السماء حالة القتل لكي أناجي ربي : فقالوا له ليس لك هذا . نقتلك وأنت ناظر إلى الأرض : فقال لهم عليكم بالقتل ، وبينما هم يقطعونه إربا إربا إذا هو ينشد قائلا :

إلى الله أشكو كربتي بعد غربتي
وما جمع الأحزاب لي عند مصرعي
فذو العرش صبرني على ما أصابني
فقد قطعوا لحمي وقد ضل مطمعي (١)

(١) تاه رجائي في النجاة من أيدي الكافرين .

وقد عرضوا بالكفر والموت دونه (١)

وقد ذرفت عيناى فى غير مدمع

وما بى حـــذار الموت أنى لميت

ولكن حذارى حر نار تلفع

ولست مبد للعدو تخشعا

ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى

ولست أبالى حين أقتل مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشا

يبارك على أوصال شلو ممزع

يبارك فى البدن الشهيد فيخلد ذكراه وإن تقطعت أوصاله فسيرته منار المجاهدين :

ولست أبالى حين أقتل مسلما

على أى وجه كان فى الله مصرعى

فاخبر به النبى ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام، إنه من أهل الجنة » .

ذلك هو المثل الحى فى صدق الإيمان ولمثل هـذا فليعمل العاملون وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون

روى مسلم عن سفيان بن عبـد الله الثقفى قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحـدا بعدك . قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

---

(١) ساوموه على الكفر ليتركوه . والموت أقرب مما طلبوا

غنى قد استغنى الله عنه

قال الله تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) «سبأ» .

الحياة مليئة بالعقبات ، محفوفة بالصعوبات . وفتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف ، واسعة الأرجاء والأكناف . والمال أعظم فتنها . مصداقا لقول الله تعالى :

(إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) .

وقد حذر الله المؤمنين أن يشغلهم المال عن عبادته : فقال جل شأنه : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) .

ولم يذكر الله المال فى مقام يشرفه فيه أبداً . بل ذكر حيث يستهان به فى نظر العاقل . قال تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا . والله عنده حسن المآب) .

ترون أن الله تعالى قد عد المال مع الشهوات والملاذ وأضافه إلى الحياة الدنيا ، وهى لاشىء فى نظر العاقل .

وقال تعالى : (إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولاأولادهم من الله شيئاً ، وأولئك هم وقود النار) فقد أخبر الله تعالى أن المال

لايغنى عن المجرم شيئاً ولا يفدى الكفار من العذاب . وما لا يفدى لا يجدى نفعا البتة .

وقال تعالى فى موضع آخر : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به) . وهل بعد ملء الأرض ذهبا مال ؟! كلا .

سئل سيدنا عيسى عليه السلام عن المال ؟ فقال : لاخير فيه . قيل : ولم يا نبى الله ؟ قال : لأنه يجمع من غير حل . قيل : فان جمع من حل ؟ قال لا يؤدى حقه . قيل : فان أدى حقه ؟ قال : لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء قيل : فان سلم ؟ قال : يشغله عن ذكر الله قيل : فان لم يشغله ؟ قال : يطيل عليه حسابه يوم القيامة .

والناس فى جمع المال على ثلاثة أقسام :

أما القسم الأول : فلا يرغبون فى جمع المال وإدخاره . ولا يسعون فى اقتنائه واحتكاره ، إنما رضاهم من الدنيا ماسد جوعة وستر عورة وغيامهم فيها ما بلغ الآخرة ، فأولئك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

أما القسم الثانى : فيحبون جمع المال من أطيب أسبابه وصرفه فى أحسن وجوهه . يصلون به رحمهم ، ويبرون به إخوانهم ، ويواسون به فقراءهم ، ولعض أحدهم على الرضف(١) أسهل عليه من أن يكتسب درهما من غير حله . أو يضعه فى غير وجهه . وأن يمنعه من

---

(١) الحجارة المحماة بالنار أو بحرارة الشمس

حقه ، وأن يكون خازنا له إلى حين موته فأولئك إن نوقشوا عذبوا وإن عفى عنهم سلموا .

وأما القسم الثالث : فيحبون جمع المال مما حل أو حرم . ومنعه مما افترض أو وجب ، وإن أنفقوه أنفقوه إسرافاً (١) وبوارا ، وإن أمسكوه أمسكوه بخلا واحتكارا . أولئك الذين ملكت الدنيا أزمة قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم .

فإذا تأملتم ذلك ظهرت لكم منزلة المال عند الله تعالى وعند عقلاء الناس .

وفى هذا المجال وفى هذه المناسبة أقص عليكم ما نزل من القرآن الكريم فى شأن ثعلبة بن حاطب الأنصارى حيث يقول الله تعالى فيه وفى أمثاله الذين يطلبون المال للمال ويعطلون وظيفته الاقتصادية — ولا يؤدون وظيفته الاجتماعية . يقول الله تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن علام الغيوب) ؟ .

ونحن إذا وقفنا موقف العبرة أمام ما نزل من القرآن الكريم فى شأن ثعلبة وجدنا الناس كلهم ثعالب .

فكثيراً ما يعد الفقير إذا اغتنى أنه يفعل كذا وكذا . ويغنى فلا يفعل .

---

(١) مسرفين ومبذرين .

وكثيراً ما يعد المريض أنه إذا صح من مرضه رجع عما يجلب له المرض من آثام وشهوات . ويصح فلا يفعل .

وكثيراً ما يعد العاجز أنه إذا قدر كان صالحا ينفع نفسه وقومه ووطنه . ويقدر العاجز فلا يفعل .

وكثيراً ما يقدر المفلس بأن المال معين على المروءة — دافع لصلة الرحم — فاتح لوجوه البر موثق لأواصر الخير — ثم يغنى . فلا مروءة دافعة ولا رحم موصول . ولا خير ولا بر يعينانه على تحقيق ما وعد ؛

وإذن يعلم المال الكذب ويعلم خلف الوعد . ويعلم المال الخيانة .

تلك خلال الأغنياء . لا يقصدهم القرآن جميعاً : إنما يقصد الذين امتلأت خزائنهم وأوصدت رءوسهم وقلوبهم ونفوسهم من العقل والخير والمروءة .

على العموم فالسعادة ليست هي الغنى والثروة كما يتوهم الكثير من الناس . وإنما هي الهناء في المعيشة وراحة البال ، والشرف . والسيادة في المعاملة : فالمال إذا وضع في أيدي النفوس التقية المهذبة كان من أعظم وسائل الخير ، وأفضل أسباب السعادة على الإنسانية . وإذا صاحب نفوسا خبيثة كان رذيلة من الرذائل وبابا من أبواب الشر على المجتمع الإنساني . وفقنا الله تعالى إلى ما يحبه ويرضاه . إنه سميع مجيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا ائتمن خان » .

مثل عليا تعطرت بها كتب التاريخ الاسلامى

قال الله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) .

. . . سأقص عليكم مثلا عليا تعطرت بها كتب التاريخ الإسلامى فيها عدل وإنصاف ومساواة فى الحقوق والواجبات ، وتمسك بالحق وعمل بأحكام الشريعة السمحة ، وإليكم سياق الحديث .

كان المنذر بن سعيد البلوطى من أعظم خطباء المنابر فى الإسلام وقاضيا عادلا فى الحكم ، جريئاً فى الحــــق لا يخشى فيه لومة لائم . نشأ هذا القاضى الخطيب بالأندلس وكانت الأندلس تزدان بسلطان عبد الرحمن الناصر . الذى كان ملكا جريئا مقداما . جمع الكلمة المتفرقة وأسكن الفتن الثائرة فتجمعت حوله القلوب وخافه أعداؤه ومعاصروه من الملوك .

ولما كان المنذر مثال النزاهة فى القضاء كان له مع الناصر غرائب رائعة فقد ألزمه الحق مرات عديدة ، وهو من هــــو فى سلطانه ودكتاتوريته ، وإليكم بعضاً منها.

(١) كان الناصر حظية من نسائه ملكت قلبه فهام بها . وكلفه برغباتها ، فبنى لها قصراً جميلا : ثم عن له أن يتوسع فى شرفاته ومقاصيره، فأراد أن يشترى داراً مجاورة لبعض الأيتام ، وعرض بعض المال لذلك ، فقال الوصى : إنه لا ينفذ البيع إلا بإذن القاضى منذر بن سعيد ، إذ أن اليتامى فى حجره ورعايته : فهو قاضى الجماعة فى المسلمين وأولى بالتصرف والإنفاذ : فبعث الخليفة إلى القاضى يسأله إنفاذ البيع.

فقال القاضي منذر بن سعيد ، لرسول الخليفة : إن البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه ، منها الحاجة الملحة ، أو الضعف الشديد ، أو الرغبة في مال من غبطة مرتجاة ، وليس بالأيتام حاجة لنقد ، ولا بالدار ضعف فتزال ، وأما الغبطة فهذا مكانها : فإن أعطاهم أمير المؤمنين كثيراً أنفذت البيع وإلا . فلا . وطار الرسول بالخبر إلى الخليفة فأظهر زهداً في شرائها ، وخاف القاضي أن يصمم الخليفة على الشراء . فأمر بنقض الدار وبيع أنقاضها . فبيعت وحدها بأكثر مما عرضه الخليفة في الشراء . عز ذلك على الناصر واستدعى القاضي وناقشه في هدم المنزل .

فقال له المنذر في جرأة جيدة : لقد أخذت في هدمها بقول الله عز وجل . (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ومقومك لم يقدره بمالمعقول وقد قبضت في الانقاض وحدها أكثر منه ، وبقيت الأرض للأيتام فتدبر الخليفة الأمر قليلا وأدرك صدق النية لدى القاضي ، وعلم إخلاصه في اتباع الحق فقال له : نحن أولى بالانقياد إلى العدالة وجزاك الله خيراً ياقاضي الجماعة عن العدل والإسلام .

ترون من هذا أن المنذر بن سعيد القاضي العظيم قد رصد نفسه ناقدا لأعمال الخليفة : فهو لا يكتفي بإقامة العدل في القضاء وحده . بل يتتبع أعمال الناصر حسنها وسيئها في رأيه ، فإذا لم يطمئن لعمل ما جاهر بمحاربته على رءوس الأشهاد ، واتخذ من منبر الجمعة منبراً

يصدع بالمعروف وينهى عن المنكر مهما كانت النتائج : وإليكم مثلا آخر يوضح لكم ذلك :

(٢) كان الناصر كلفا بالعمارة والزخرفة، فبنى (الزهراء) وأفرغ الجهد في تزيينها وإبداعها .

فحشد لها المهندسين الأكفاء ورفع القباب العالية ، وأجرى الجداول الصافية ، حتى صارت تنبىء عن عظمة الملك وجلال السلطان وشغله ذلك كله عن حضور الجمعة في المسجد الجامع ثلاث مرات متعاقبات: فأراد القاضي أن يلقي الموعظة الزاجرة ، وانتهز حضور الخليفة الصلاة في جمعة حافلة ، وبدأ خطبته بقول الله تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين : فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين. وجنات وعيون ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ثم أتبع ذلك بكلام قاس ينهى عن الإسراف والتبذير حتى بكى الخليفة وندم ، ثم قال لولي عهده (الحكم) ، لقد أسرف المنذر في توبيخي وإزعاجي، والله لا أصلي الجمعة خلفه أبدا : فقال له ولي العهد : وما الذي يمنعك من عزله وإيقافه ؟ فرجع الناصر إلى إيمانه ويقينه وقال : ويلك . أمثل ابن سعيد في ورعه وعلمه وفضله يعزل في إرضاء نفس ناكبة عن الرشاد سالكة غير القصد ، هذا ما لا يكون ، وإني لأستحي من الله عز وجل ألا أجعل بيني وبينه شفيعا يوم القيامة مثل المنذر بن سعيد .

وهذا مثل ثالث من الأمثال الرائعة التي يتحدث التاريخ بها عن جرأة المنذر بن سعيد في الحق :

بنى الناصر قصراً فخما وصفحه بالذهب والفضة ، وزخرف سقوفه بالألوان الذهبية البراقة ، ثم دعا إليه أكبر رجاله وسألهم عنه - فبالغوا فى الثناء على إبداعه وكماله . وأسهبوا ما شاء لهم الملق فى تعداد مفاتنه ومباهجه : فسر بتقريظهم سروراً عظيماً : ثم دخل المنذر بن سعيد واجما ساكتا ودموعه تنحدر على لحيته . فسأله الخليفة عن حزنه فى غير وقت الحزن : فأشار إلى السقف الذهبى الوضىء وقال : يا أمير المؤمنين . ما ظننت أن الشيطان يبلغ بك هذا المبلغ . مع ما آتاك الله وفضلك به على العالمين حتى نزلت منازل الكافرين . فانزعج الخليفة الناصر وصاح : أنظر ماذا تقول ويلك : فقال المنذر : الا تذكروا قول الله عز وجل : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون . وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) فوجم الخليفة ، ونكس رأسه معتبراً ثم قال: جزاك الله خيراً من ناصح أمين : ونهض إلى الزخرف الذهبى فأزاله لساعته . ثم أمر بطلاء القبة طلاء عاديا لا رونق به ولا تنميق .

وبهذه المواقف الخالدة للمنذر بن سعيد لقى فى حياته من الإكبار والاجلال - مالقيه بعد مماته من التعظيم والإطراء . وبمثل هذا فليعمل العاملون - وليتنافس المتنافسون .

الهموم والأحزان

يسببان الضر للانسان

قال الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .

... سأقص عليك فى هذا اليوم من العظات الدينية ما يذهب همك وحزنك — ويشرح صدرك — ويسعد نفسك : وسترى فيما أقصه عليك أن الله جلت قدرته قد جعل لكل داء دواء : وما من شىء إلا وله نهاية . فالهم له نهاية . والحزن له آخر . والضيق يعقبه الفرج والعسر يأتى بعده اليسر ، والمرض تأتى بعده الصحه .

فإذا منحك الله الصحة والأمن والقوت فلا عليك بما فاتك من الدنيا : وفى هذا يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه ،عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

ويقول بعض الصالحين : إذا أغنى الله الإنسان عن ثلاثة أشياء فقد تمت عليه النعمة : عن سلطان ، يأتيه وطبيب يداويه . وعما فى يد أخيه .

وإذا كانت نهاية الإنسان معروفة وأنفاسه محدودة ، وعمره إلى انقضاء ، وحياته إلى فناء ، فلماذا ينغص الإنسان نفسه بالهموم

والأحزان التى تحمل أيامه جحيما لا يطاق : وتحرق دمه وتقتل أعصابه.

لو كان الحزن يرد فائتا أو يدفع حاصلا لكنا فيه معذورين . ولكنه سخط على القضاء وسبب للبلاء ، وتعلق بما لا سبيل إليه ، وتكاسل عن عمل ينسى المصيبة ، أو يخفف من آلامها. ويبدد سحبها.

إن العاقل من يبحث عن سبب الهموم ، ويعمل جاهدا على الخلاص منها ، مستعينا بالله ، متوكلا على الله ، الذى لا يحمد على مكروه سواه ، مؤمنا بأن ما كان له لن يفوته ، وما لم يكن له لن يدركه مهما بذل وجد .

فإن أصبت فى ولدك أو زوجك ، أو وظيفتك ، أو عملك ، أو قريبك أو صديقك أو انتابك مرض أو لازمتك عاهة أو اجتاح مالك جائحة أو ذهبت به كارثة أو اتهمت بما أنت منه براء أو حكم عليك ظلما بغرامة أو سجن إن أصابك شىء ذلك فادرع بالصبر .

واعلم أن ذلك مقدر عليك فى الأزل وأن ذلك ما كان ليخطئك.

مصداقا لقول الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها (نخلقها) إلى آخر الآية التى ألقيتها عليك ، فابتعد عن الهم والحزن ما استطعت إلى ذلك سبيلا. ولا تفهم من كلامى هذا أننى أقاوم الفطرة وأحاول منع ما لا يمنع ، وإنما أقصد عدم الاسترسال فى الحزن ، والإسراف فيه .

فالصبر على المصائب والرزايا فيه راحة النفس، وإعظام الثواب والأجر ورضاء بقضاء الله وقدره، فإن صبر الإنسان جرى عليه القضاء وهو مأجور، وإن لم يصبر وجزع جرى عليه القلم وهو مأزور.

إن في الصبر على المصائب من ثواب الله وحسن العقبى ما يرغب الإنسان فيه، فقد ورد: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه، وجعل له خلفا صالحا يرضاه».

وليذكر كل مصاب أن مصيبته أخف بكثير من مصيبة غيره. فالمرض مثلا درجات. وفقد الأحبة درجات. والمصائب درجات فما من بلاء إلا وفوقه أعظم منه. ويعجبني قول القائل:

إذا بليت فثق بالله وارض به

إن الذي يكشف البلوى هو الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته

ما لامرىء حيلة فيما قضى الله

اليأس يقطع أحيانا لصاحبه

لا تيأس فإن الصانع الله

والله مالك غير الله من أحد

فقل بقلب سليم حسبي الله

جملنا الله بفضيلة الصبر. وجعلنا من رفقاء الله بفضل الصبر فإنه تعالى يقول: (إن الله مع الصابرين).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء . وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » .

التعاون(١)

قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

. . . أمرنا الله تعالى أن نتكاتف ونتعاون على البر ، والبر : اسم جامع لجميع أنواع الخير . ومن أهم أنواع الخير وأفضلها — مايعود نفعه على أهل هذا البلد جميعاً فنحن شارعون بعون الله تعالى فى تأسيس شركة تعاونية — أسوة بالبلاد المصرية — التى فيها عناصر وشيجة تعمل لخير المجموع .

ومعلوم أن هذه الشركات توفر لأهل البلد الحصول على ما يحتاجون إليه من لوازم الحياة فى طريق سهل لا عناء فيه ولا نصب . والفرد قليل بنفسه — كثير بإخوانه . واليد الواحدة لا تصفق وحدها . ويد الله مع الجماعة .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاثا جميع المسلمين على التعاون والتضامن فى حديث رواه مسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم

(١) لمناسبة افتتاح شركة تعاونية . بالربدانية . دقهلية

وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وهذا تمثيل صادق . فإن الجسم إذا أصاب عضوا منه ألم أو جرح أو نفذت فيه ولو شوكة اضطرب الجسم وتألم كله لهذا العضو المصاب .

أيها المسلمون : انظروا إلى الجسم وأجزائه تروا أن كل عضو منه يعمل لمصلحة الجسم كله : فالرجل تسعى ، واليد تعمل ، والفم يطحن الطعام ويسلمه للمعدة . والمعدة بدورها تحوله دما ، وتسلمه للقلب يوزعه في الأوردة والشرايين التي هي في الجسم بمنزلة الأنهار في الأرض . وبذلك التوزيع — تتم الحياة على نظام بديع .

اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المثل الظاهر الواضح — ليعرفنا بأن سعادتنا وخيرنا متوقف على التعاون الذي مثله بحالة الجسم — وصوره تصويراً بديعا .

أيها المسلمون : إن الجمهورية العربية المتحدة تنظر في توزيع التموين إلى شركات التعاون نظرة عناية واهتمام . فترسل حاجيات التموين إلى هذه الشركات بمقادير منظمة وافية ، ولهذا نرى أن الذين يشتركون في شركات التعاون يحصلون على حاجياتهم وكمالياتهم بأثمان معتدلة — وبطريقة سهلة قبل أن ينال الأفراد مطالبهم . وقد كثرت هذه الشركات وانتشرت في القرى والمدن — وسهلت على الجمهورية المصرية تموين الشعب — فاستراح الناس بها راحة كبرى .

فهلموا أيها المؤمنون نكون شركة تعاونية . فالرجال فيها

حمدوا الله كثيرون ، والأمانة بيننا موفورة فلنبرهن على أننا عقلاء نقدر المصلحة حق قدرها ، وفى عملنا هذا مثال لما يأمر به الدين الحنيف وأخذ بارشاد الله وتعليمه . والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

وها نحن أولاء نشاهد حالة البلاد التى خلت من شركات التعاون لا ينال أهلها حاجياتهم إلا بأغلى الأثمان وبشق الأنفس .

على أن جمهورية مصر جعلت وزارة الشئون الاجتماعية مرشداً أمينا نهتدى بهداه فيما يستعصى علينا من الأمور ، ونستفهم منها عما لا نفهمه وهى من ناحيتها تساعد مالياً على تأسيس هذه الشركات وتعمل على نموها سواء أكانت شركة تعاون منزلية أم زراعية .

فلنبدأ بجمع الاشتراكات على بركة الله تعالى . بعد أن نؤلف لجنة نختار منها الرئيس ، والوكيل ، والسكرتير ، والمراقب ، وأمين الصندوق وبقية الأعضاء .

على أن الاشتراك الذى سيدفعه كل واحد منا قليل بالنسبة لما يترتب عليه من المنفعة ، وهو على كل حال محفوظ لصاحبه فى النهاية . فلا محل للتقاعد عن هذا العمل الجليل .

أيها المسلمون : لا تعيروا الذين يثبطون العزائم أذنا صاغية ، فإنهم شياطين الإنس ، وأعداء الإنسانية ، يصدونكم عن سبيل الهداية ، ويغلقون فى وجوهكم أبواب الخير لأغراض سيئة ، وإما لأن نفوسهم نمت وفيها بذور الشر قد طبعت فيها .

فاستعينوا بالله ، واجعلوا العمل خالصا له تعالى ، واجمعوا المال

اللازم لهذا المشروع الجليل ، وابدأوا في العمل فوراً ولا تتكاسلوا ، يهيء لكم الله قوة من عنده ، ويهيء لكم من أمركم رشداً .

... « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

الاشتغال بعيوب الناس

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ١٩ النور .

... من الآداب الإسلامية أن يحترم الإنسان شعور غيره ، فلا يلتمس عيوبه ولا يكشف دخائله ، ولا يذيع فيه قالة السوء : بل يعمل دائماً على ستر عيوب أخيه ، ولا يعمد إلى إذاعتها .

وقد وعد الله من يستر عيوب الناس بستر عيوبه وعدم إعلانها على رءوس الأشهاد يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ من حديث رواه مسلم : « ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة » .

واعلم أن هذا الستر مشروط بشروط لابد من ملاحظتها .

منها : أن تكون الزلة حقا لله تعالى ليست متعلقة بالعباد ، أما إذا كانت متعلقة بحقوق العباد كالسرقة وغيرها مثلا : فيجب المبادرة بضبط السارق أو منعه منها حتى لا تضيع الحقوق .

ومنها : أن يكون المستور عليه من ذوى الهيآت والمروءات الذين لم يعتادوا الإجرام . أما إذا كان من هؤلاء السقاط الأشرار ، المجرمين الفجار الذين لم يبالوا بفعل المنكرات والمجاهرة بها ، فيجب الضرب على يديه ، وإبلاغ أمره إلى أولى الأمر حتى يسلم الناس من شره وظلمه ، لأن الستر عليه والحالة هذه يطمعه فى التمادى على ما هو عليه ، فيصبح الناس فوضى .

والإسلام دين الفطرة الخالد ، جاء لإصلاح حال الناس فى معاشهم ومعادهم ، وحفظ الإنسانية كلها من داء اختلال الأمن العام .

فالله جل شأنه يكره من المسلم أن يتحدث بأخبار الناس ، ويتتبع عوراتهم ، أو يتقول عليهم ، ويذيع فيهم الشائعات الكاذبة دون تحرج ولا تثبت ، فإن هـذا إيذاء لهم ، ونيل من كرامتهم ، واشتغال بما لا جدوى فيه ولا نفع .

ثم هو إثارة للفتن والعداوة ، وفتح لأبواب الشر والفرقة : إن من يشغل (١) نفسه بعيوب غيره لا يخلو من ثلاثة أغراض :

فإما أن يكون غرضه الشماتة والمجاهرة بسروره بذلك .

وإما أن يقصد التشهير بصاحبه وفضيحته بين الناس .

وإما أن يدعى إظهار التحزن والتحسر لما ابتلى به ، ومن البداهة أنه لا شىء من هـذه الأمور الثلاثة يصلح أن يكون عذراً أو مبرراً يسوغ له إهمال عيوب نفسه ، واشتغاله بما لا يعنيه ولا يفيده من عيوب الناس

---

(١) شغله : من باب قطع فهو شاغل : ولا تقل أشغله لأنها لغة رديئة .

فالخوض فى أعراض الناس وسيرهم ، وترويج الشائعات الكاذبة عنهم واغتيابهم والإيقاع بهم، منكرات تسىء إلى المجتمع أيما إساءة وتصير به إلى التفرق والنزاع .

فاتق الله أيها المسلم : ولا تخض مع من يخوضون فى الباطل ، ولا تندفع مع دعاة السوء ومختلقى الأراجيف والشائعات الكاذبة ، فإن فى ذلك جناية على نفسك وعلى المجتمع الإنسانى .

وقصارى القول إن طريق الخير ممهدة للجميع ، فمن أقبل عليها وفقه الله وزاده هدى ، ومن أعرض عنها خذله وصرفه إلى ما أراد مصداقا لقول الله تعالى : (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) .
وجهنم رهيبة هائلة ، وقسوة العذاب فيها فوق ما تتصور العقول .
فاتق بالإيمان والطاعة شرها ، وبادر إلى ما ينجيك من عذابها : إن فى ذلك لذكرى لقوم يعقلون .

قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » أخرجه البزار .

وجوب المجاهرة بالحق

قال الله تعالى : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الصف .

... إعلان الحق ، والدفاع عنه أمام الحكام والظالمين وذوى البأس والسطوة : شجاعة أدبية لا يتصف بها إلا أفذاذ الرجال . والعجز عن المجاهرة بالحق لون من النفاق يضعف الأمة ، ويقضى على الرأى العام فيها ، ويجلب عليها الوبال والدمار ، وإصلاح المجتمع وترقيته ، ومحاربة عوامل الفساد والضعف فيه أمانة فى عنق أبنائه .

فليقدر كل فرد منهم هذه التبعة ، وليؤد واجبه فى هذا السبيل على على خير وجه .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحقرن (١) أحدكم أن يرى أمراً لله (٢) فيه مقال فلا يقول فيه : فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تكون قلت فى كذا وكذا . فيقول : مخافة الناس . فيقول الله : إياى أحق أن تخاف » (٣) .

فهذا الحديث الشريف يبين فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : أن الرجل إذا رأى أمراً يقتضيه أن يجاهر بكلمة الحق ، ويقول فيه القول الذى يرضى الله ، ثم أمسك عن ذلك ، فإنه يكون قد أغضب ربه وارتكب خطأ لا يستهان به .

وسوف يحاسبه الله يوم القيامة على مسلكه هذا ويسأل عن السبب الذى دعاه إلى الإمساك عن قول الحق إذ ذاك ، فإن أجاب بأن الذى حمله على ذلك خوفه من الناس ، لم ينجه هذا العذر من

---

(١) يحتقرن (٢) لله فيه حكم وكلمة حق يرضيه أن تقال .
(٣) الله وحده أحق أن يخشى.

سخط الله فإنه سبحانه وتعالى أحق بأن يتقى ، ويخشى عقابه .

فإن رأيت مظلوما يئن من الظلم ، أو ظالما يستبد بغيره ، أو شهدت حرمة تنتهك ، أو منكراً يرتكب ، فاعلم أن هذه وأمثالها مواقف لله فيها مقال .

فإن أمسكت عن قول الحق عجزاً عن المجاهرة ، أو خوفا من أذى الناس ، فذلك أمر قد تحسبه هيناً وهو عند الله عظيم .

إن السكوت عن قول الحق في موطنه مظهر من مظاهر الجبن وضعف الثقة بالله وعدم الغيرة على دينه ، وهو خذلان للمسلمين ، وقلة اكتراث بخيرهم ونفعهم ، وشيوع هذا الداء في الأمة يجرىء الطغاة على طغيانهم ، ويبعث الجهلاء على التمادى فى سفاهتهم . فيعم الفساد ، وتشيع المنكرات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

حقا إن المجاهرة بما يرضى الله قد يكون فيها مخاطرة ، وتعرض لبطش الأقوياء ، وذى النفوذ والسلطان ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم ينزع الخوف من نفوس الذين يضعفون فى مثل هذا الموقف وينبههم إلى أن سطوة الله أقوى ، وعقابه أشد . ثم هو يعتبر الشجاعة حينئذ من أعظم ألوان الجهاد . فيقول : « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

والتاريخ الإسلامى يسجل فى كثير من مواطنه مواقفا لأبطال المسلمين وأئمتهم وقفوا فيها يعلنون كلمة الحق ويناضلون الباطل .

وطالما نالهم بسبب ذلك الأذى ، ولكنهم لم يكتموا الحق . ولم يلتمسوا رضى الناس بما فيه غضب الله .

« وفد عقيل بن أبي طالب على معاوية فأكرمه وقربه وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام يا عقيل : أنا خير لك من أخيك على ، قال صدقت . أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك دينك ، فأنت خير لي من أخي ، وأخي خير لنفسه منك لنفسك » .

« ولقى عبد الله بن عمر رضى الله عنه الحجاج بن يوسف الثقفي ، طاغية القرن الأول ، فقال عبد الله في مواجهته هذا عدو الله استحل حرم الله وخرب بيت الله ، وقتل أولياء الله فقال الحجاج ، من هذا ؟ فقيل له : عبد الله بن عمر : فقال الحجاج : اسكت ، ياشيخا قد خرف . ثم أوعز إلى بعض أعوانه أن يتعقبه ، فسدد إلى ساقه حربة مسمومة مات من أثرها وعمره أربعة وثمانون عاما » .

فهذه الحادثة الأليمة تكشف لنا عن جلال شخصية ابن عمر حيث نطق بالحق وهو يعلم مصيره على يد هذا الطاغية ، ولكنه لم يبال أن يقتل في سبيل إيمانه المكين .

إن من أظهر نواحي النقص الخلقي والعقلي أن ينفر المرء من الحق دون تفكير وروية ، أو يمعن في معارضته بدافع من هوى أو مصلحة أو رغبة ذاتية ، كما أن من أقبح صور الضلال محاربة المبادىء الحقة ، ومحاولة هدمها لمجرد العناد والاستكبار ودون تعقل وتدبر فيجب أن يكون الإنسان ذا شجاعة أدبية ، يجاهر بالحق ولا يخشى فيه لومة لائم ،

ولا يطلب رضا الناس بسخط الله فإن ذلك من ضعف الإيمان .
(وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) .

التقوى وما أعده الله للمتقين

قال الله تعالى : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم . أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم ؟ ! ! كيف تحكمون ؟) .

... خير شيء يستفيده المؤمن في دنياه هو تقوى الله : باتباع أوامره . واجتناب نواهيه ، والوقوف عند حدود شريعته ، والإقبال على طاعته ، والابتعاد عن معصيته ، والتزود بالأعمال الصالحة التي تنفعه يوم القيامة وتنجيه من عذابها .

خير شيء يستفيده المؤمن في دنياه وأخراه ، ألا يكون كقوم ألهتهم شواغل الحياة الدنيا عن الله ، وحقوق الله ، فكانت عاقبتهم أن صرف الله عنهم توفيقه ورعايته حتى نسوا أنفسهم وغفلوا عن تطهيرها وتربيتها على الخير والفضيلة والعمل الصالح ، وبهذا خرجوا عن طاعة الله ، واستحقوا في دنياهم غضب الله ، كما استحقوا عذاب النار يوم القيامة : وفرق كبير بين أصحاب النار وما يلقون فيها من العذاب الأليم ، وبين أصحاب الجنة وما يتمتعون به من نعيم مقيم وفوز عظيم ، وليس هذا كلاما أقوله من عندي ، ولا أحكيه من

تلقاء نفسي ؛ فهذا كتاب الله ينطق بلسان عربي مبين .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) .

فالإسلام لا يعنى بالمظاهر الكاذبة . وإنما يعنى بالقلوب والأعمال مصداقا لقول الرسول ﷺ « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

إن طريق الوصول إلى الله سهل لمن أراد ، سهل لمن شاء ذلك هو تقوى الله فى السر والعلن . والعمل بكتابه الكريم . والاقتداء بسيد المرسلين وأصحابه الأكرمين .

وإليكم قصة رجل من المؤمنين المتقين . وصل إلى الله تعالى بالعمل الصالح وبذل غاية الجهد فى طاعته والتقرب إليه .

يروى أن عبدا مملوكا ذهب به سيده إلى السوق ليبيعه . فجاء رجل يشتريه : فقال المملوك :

ياسيدى قبل أن تشترى — لى عليك ثلاثة شروط . . قال ماهى ؟ قال : إذا حان وقت الصلاة دعنى أصلى ، وأخدمك نهاراً ، وأما الليل فلا سبيل لك على ، وتفرد لى فى بيتك حجرة لا يدخلها غيرى فقال : قد قبلت الشروط .

واستمر المملوك يخدم سيده الجديد حسب الاتفاق والشروط .

وفى ذات ليلة أرق سيده وجفاه النوم . فقام يمشى فى رحبات

قصره حتى وصل إلى حجرة الخادم ، فرأى عجبا ، رأى نوراً يحيط على الحجرة ، ورأى العبد ساجدا ويقول : والله يارب لولا أنك أمرتني بخدمة سيدي نهاراً . لخدمتك ليلا ونهاراً .

فرجع الرجل إلى زوجته وأخبرها بما رأى : فقالت له : هيا معى لأرى ما رأيت . فقال لها : على رسلك إلى الليلة المقبلة ، في مثل هذا الموعـــد .

وفي الميعاد توجه الرجل وزوجته إلى حجرة الخادم . فرأيا المنظر بعينه ، والعبد ساجدا يقول قولته السابقة : فنادت المرأة بأعلى صوتها:

ياهذا . قد عرفناك . أنت السيد ، ونحن العبيد

فلما علم أن أمره انكشف قال :

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا

ولا أريد حيـــاة بعـــد ما اشتهرا

وهكذا يفعل الله بالمتقين المخلصين . فيعطيهم الكرامة في الدنيا . ويوم القيامة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(ترون من هذا أن الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده بالتقوى وتهيم إليها رجعلها دائما نصب أعينهم وأكثر من ذكرها في كتابه ذلك لأنها تنطوى على خيرى الدنيا والآخرة ، وإن نظرة واحدة إلى القرآن الكريم ترينا مبلغ عنايته بالتقوى ، فكم ذكرها في مواضع متعددة . وكم علق عليها من خير . ووعد عليها من ثواب . وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية).

فالتقوى تستنزل النصر من السماء والتأييد من الله تبارك وتعالى مصداقاً لقوله عز وجل : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

والتقوى تذلل كل صعب ، وتحطم كل عقبة وتيسر كل عسير . مصداقاً لقول الله عز وجل : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) .

والتقوى حفظ ووقاية ونجاة من المهالك والمخاوف مصداقاً لقول الله عز وجل : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) .

والتقوى تصلح الأعمال وتبدل سيئات المذنبين حسنات . مصداقاً لقول الله عز وجل : يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) .

والتقوى حجاب من النار مصداقاً لقول الله عز وجل : (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) .

والتقوى سعادة أبدية : مصداقاً لقول الله عز وجل : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .

وحسب المتقين شرفا وفخراً أن الله يحبهم ويحبونه . وهو معهم بالحفظ والرعاية أينما كانوا . فليسوا في حاجة إلى جاه أو عز أو منصب أو مال . فذلك كله عرض زائل . وذلك كله متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد) .

فيأيها المسلمون : إن كنتم تبغون السعادة الدائمة لأنفسكم فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . وإن كنتم في خوف من عذاب الله وسخطه فتعرضوا لرضوانه بالتقوى . فهي برد وسلام على المؤمنين . فلا يخافون إذا خاف الناس . ولا يحزنون إذا حزن الناس. إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب .

قال رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

حب الإنسان لأخيه الانسان من كمال الإيمان

قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

المسلم مأمور بأن يحب لإخوانه المسلمين من الخير ما يحبه لنفسه ويكره لهم من الشر ما يكره لها، بل إن إيمانه لا يكمل ولا يعتد به في عداد كاملي الإيمان وأهل الدرجات العلى إلا بذلك . فلا حسد ولا عداوة وإنما كمال ومودة وحسن خلق وكبير عطف وعظيم شفقة .

فالمسلمون لا ينبغي أن يكون بينهم إلا التعاون على جلب الخير ودفع الشر والتناصح والتعاطف والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر. فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يغتصب ماله . ولا يسرق منه شيئاً .

المسلم أخو المسلم : لا يغتابه ، ولا يسيء إلى سمعته ، ولا يشتمه ، ولا يمنعه حقه . المسلم أخو المسلم ، لا يكيد له ولا يحرض عليه من ينغص عيشه . ولا يأكل ماله بالباطل . المسلم أخو المسلم لا يشهد عليه زورا ولا يغشه ، ولا يخدعه ، ولا يحقد عليه . المسلم أخو المسلم ، لا يضمر له شرا ، ولا يعين عليه عدوا . ولا يساعد على إلقائه فى التهلكة . بل يسارع فى نجدته ، ويحميه ممن يقصد مضرته .

كل هذا ليتم الإخاء بين المسلمين ، ويصيروا يداً واحدة متحابين متآلفين .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وعلى هذا فلا يكون إيمان المرء كاملا حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه . ويكره له من الشر ما يكره لها ، ومن كان غير ذلك كان إيمانه ضعيفا ، وضعيف الإيمان لا يكون كاملا فى الإنسانية ، ولا كاملا فى الدين .

ليس عجيبا أن يكون المرء محبا لنفسه ، لأنه مدفوع إلى هذا الحب بمقتضى الفطرة وبمقتضى حبه للحياة وكراهيته للموت ، ولكن العجب أن يحب الخير لنفسه ، ولا يحبه لغيره مع أن حبه وكراهيته له لا يؤثران فى قضاء الله وقدره شيئاً ، ولم يعود الإنسان نفسه على هذا الخلق الذميم الذى يدل على الشره والطمع !! .

جدير بك أيها المسلم أن تحب لأخيك كما تحب لنفسك ، وتكره

له ما تكره لها كما علمت ، وإذا عظمت منزلتك عنـــد نفسك فلا يحملنك ذلك على أن تعتقد أن غيرك حقير أو صغير .

لا تجعل على قلبك حجابا من الطمع وحاجبا من الشره ، ولا تكن شيطانا فى صورة إنسان ، ولا سبعا ضاريا على عشيرتك وأهلك . ولا جبارا تطغى على من دونك وجاهة وطولا لأن الذى خلقك هو الذى خلقهم .

ولا تكن غداراً لأهلك وأصفيائك . ولا تكن منافقا تعطيهم من لسانك ومظهرك مالا تعطيهم من قلبك ومخبرك فإنك لن تعيش وحدك ، ولن تستطيع أن تعيش وحيداً . من أجل ذلك خلقت ومن أجل ذلك ولدت ومن أجل ذلك تمرض وتموت . فانك لم تخلق لنفسك فقط ، ولكن لغيرك شركة فيك . فأحسن معاملة الشركاء ، والله يتولاك بفضله وكرمه ، ويثبتك فى الآخرة بجنات النعيم .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

الاصلاح بين الناس

قال الله تعالى : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) .

. . . الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده رحيم بهم . أشفق منهم من الوالد على ولده . يأمرهم بما لو اتبعوه لنعموا بالعز الدائم في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة : وينهاهم جل شأنه عما يضرهم ويفسد أحوالهم . ويجعلهم عرضة الشقاء والمصائب المتكاثرة .

ومما أمر الله به عباده الإصلاح بين المتخاصمين ، والقضاء على النزاع بين المتقاتلين . ليعيش الناس في أمن وأمان ، وهدوء واطمئنان ، فلا يضيعوا أوقاتهم في النزاع والقيل والقال . ولا يضحوا بأرواحهم في المشاكل ومطاوعة الشيطان الرجيم الذى يوقعهم في الوبال والنكال .

جعل المؤمنين إخوة . وأمرهم بالتآلف والتآزر . ورغبهم في السلام . وحضهم على إزالة أنواع الخلافات التى توجد بينهم . وعلق عطفه عليهم . ورحمته بهم على ذلك فقال جل شأنه :

. . . . (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم . واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ولقد وعد الله المصلحين خيراً كثيراً . وأجراً عظيما . ونفى الخير عن الذين لا تتوجه نفوسهم إلى إصلاح ذات البين فقال عز وجل : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .

أيها المسلمون : النزاع مخرب للبيوت . مهدم لكيان الأسر . مبدد للأموال . مريق الدماء ، ولذلك أمر الله بالابتعاد عنه . وحث

على الاتحاد ، حفظا للأرواح والأموال . وحقنا للدماء . وصيانة للكرامة : فقال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال جل شأنه : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

ولقد جاءت السنة الشريفة تدعو كذلك إلى الألفة . وتحذر من الفرقة ، وتبين أن المؤمن للمؤمن . فلا يحل قتاله ولا تجوز مقاطعته أو إرهاقه فقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقال عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » .

هذا حكم القرآن الكريم والسنة النبوية الحكيمة فى النزاع وما يترتب عليه من الآثار الضارة ولكن المسلمين أعرضوا عنه . ومشوا وراء أغراضهم ومطامعهم ، واتبعوا أهواءهم ، فدب الفشل بينهم . وانقسموا إلى أحزاب وطوائف . كل يكيد لصاحبه . ويمكر به . ويرميه بأفظع التهم : فكثرت الفتن . وانحلت الروابط وضاعت الثقة . وامتلأت المحاكم بالقضايا المختلفة ، وتعطلت المصالح وانتشر الفجور . وكثر الباطل والزور ، فلو أن المسلمين رجعوا إلى كتاب ربهم . وحكموه فى شجارهم وخلافاتهم لو أنهم اتبعوا تعاليمه وساروا على سننه لعز شأنهم ، وانتشرت الطمأنينة بينهم . ولما طمع فيهم عدوهم . ولأغدق الله عليهم الخيرات والبركات .

يها المسلمون : اتقوا الله ولا تضيعوا أوقاتكم فيما لا فائدة فيه ولا طائل تحته ، ولا تعرضوا أموالكم للضياع ، وأرواحكم للفناء بالشقاق والخلاف ، إحذروا مغبة الخصام ، وما يجره عليكم من الويل والشقاء ، إغتنموا الفرص للوفاق والاتحاد ، يصلح الله شأنكم ويغفر لكم ذنوبكم ، وأطيعوا الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما .

قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى . قال : إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

أمانات الناس

قال الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقال جل شأنه : (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

. . . الأمانة خلق كريم ، وصفة عالية ، وعنوان الخير والمحبة وهي رعاية حقوق الله وحقوق العباد : وليست الأمانة خاصة بحفظ أموال الناس وودائعهم . بل هي شاملة لكافة الحقوق التي وكل إلينا أمرها ، وكلفنا بحفظها ومراعاتها . فالتكاليف الشرعية كالطهارة والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وفعل الخير ، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، أمانة يجب أداؤها ، وحفظ حقها .
قال تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) .

ونعم الله التي أنعم بها على عباده أمانة كلفهم الله بالمحافظة عليها واستعمالها في الوجوه المخصصة لها والبعد بها عما يسبب زوالها ، من ارتكاب المحرمات ، واقتراف المنهيات : فالحياة أمانة . فلا يصح أن تعرضها للمهالك ، إلا لحماية الوطن والدين ، والعرض أمانة . فيجب المحافظة عليه وصيانته ، والمال أمانة . فلا ينفق في اللهو والعبث أو فيما يعود بالضرر والخسران ، والعقل أمانة فلا ينبغي إفساده بأي نوع من أنواع المخدرات ونحوها والعافية أمانة فيجب صيانتها عن التلف والعدوى ، وأموال الناس أمانة فلتؤد إلى أصحابها بالمعروف .
قال رسول الله ﷺ :

« من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » .

والمعاملة في البيع والشراء أمانة ، فلو راعى التجار الأمانة فلم يغشوا في بضائعهم ، ولم يطمعوا في ربحهم ، ولم يطففوا في كيلهم وموازينهم ، بل قنعوا بالربح المعقول وبينوا للمشترين الطيب من الخبيث ، لو فعل هؤلاء ذلك لكانوا أمناء حقا ، وكانوا جديرين بأن يربحوا ربحاً مباركا فيه .

والعمل أمانة : فيجب على العامل أن يؤديه على الوجه الذي طلبه منه صاحب العمل ، والسر أمانة : فإذا أسر أحد بشيء إليه

آخر فلا يليق به أن يذيع سره ، أو يفشى خبره ، وشهادة الحق أمانة : فإذا طلب من أحد أداؤها كما رأى ، وترتب على شهادته إحقاق حق وإزهاق باطل وجب عليه أداؤها ، عملا بقول الله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم).

هذه كلها أمانات استودعكم الله إياها ؛ واستحفظكم عليها، وكلفكم مراعاتها ، فارعوها حق رعايتها ، ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

هذا واعلموا أن الخيانة مذمومة شرعا وعقلا ، لأنها تدل على دناءة النفس وخسة القدر ، وصاحبها مكروه بغيض ، ينفر منه إخوانه وأحبابه ، وأقاربه وأصحابه . إن عاش عاش حقيرا ، وإن مات مات ذليلا . لأن خيانته هدمت مجد نفسه وجلبت له الشقاء وكراهة الناس، وما للخائنين من أنصار .

وعلى العموم فالخائن غير شريف ، وهو شر على نفسه ، وشر على أهله وعشيرته ، وشر على المجتمع الذى يعيش فيه . ومتى كان ذلك كذلك ، وقد عرفتم آثار الخيانة ونتائجها ، فعليكم باجتنابها والبعد عنها ، وكونوا من ذوى الأمانة المبرئين من الخيانة ، وقفوا عند حدود الله تعالى لتستحقوا منازل الأبرار والأطهار ، وتحظوا بجنات تجرى من تحتها الأنهار . جعلنى الله وإياكم ممن يعملون بما يعلمون .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهر له) رواه الطبرانى .

الفهرس

صفحة الموضوع

تم بحمد الله وتوفيقه